سيدة قصر الشيطان

رواية

تأليف

محمود شاهين

obeikan.com

طبعة ٢٠١٧

شاهين، محمود.

سيدة قصر الشيطان: رواية/ محمود شاهين– .- الجيزة: أطلس للنشروالإنتاج الإعلامي، ٢٠١٦ .

٣٢٠ ص ,٢٠ سم

تدمك: ٣ ٥١٣ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص العربية.

أ - العنوان

٨١٣

obeikan.com

سيدة قصر الشيطان

رواية

تأليف

محمود شاهين

obeikan.com

رئيس مجلس الإدارة

عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة

المنتدب

نوران المصرى

رقم الإيداع

٢٠١٦/٢٧٣٩٢

الترقيم الدولى

٩٧٨-٩٧٧-٣٩٩-٥١٣-٣

الطبعة الاولى

طبعة ٢٠١٧

الكتاب : سيدة قصر الشيطان

المؤلف : محمود شاهين

الغلاف : أحمد الصباغ

الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ ش وادى النيل – المهندسين – الجيزة

atlas@innovations-co.com

www.atlas-publishing.com

تليفون : ٣٣٤٦٥٨٥٠ – ٣٣٠٤٢٤٧١ – ٣٣٠٢٧٩٦٥

فاكـــس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

****

obeikan.com

مقدمة

كانت الموسيقة الغامضة التي تجمد الدماء في العروق تملأ المكان، تلك الموسيقى التي تتجول فوق وداخل رؤوس كل هؤلاء الأشخاص المتشحين بالمعاطف السوداء الطويلة والتي تخفي حتى وجوههم، حتى القاعة التي كانوا واقفين فيها كانت سوداء مقبضة من الرخام الأسود اللامع، كانت قاعة بيضاوية كبيرة تبدوا مثل بهو الفنادق الفاخرة وتمتلئ بالأعمدة الكبيرة والتماثيل المرعبة كبيرة الحجم، كان عدد المتشحين بالسواد يربوا على العشرون فرداً، اتخذوا شكل دائرة كبيرة حول ذلك الضريح الرخامي الأسود والذي ترقد فوقه تلك المرأة الباكية المرعوبة والتي تحاول بكل استماتة التخلص من قيودها الحديدية الثقيلة التي تحيط بأطرافها بقوة وغلظة، كانت يديها وقدميها تنزفان بسبب تلك الرؤوس المدببة التي تملأ قيودها المعدنية والتي كانت تخترق لحم معصميها وقدميها مع كل حركة منها ولكنها رغم ذلك ظلت تحاول التحرر من قيودها وهي تصرخ عالياً، كانت صوت صراخها يختلط بدمائها المتساقطة من جروحها العديدة وتمتزج بالموسيقى المرعبة التي تحوم كالموت فوق رؤوس الجميع، تلك الموسيقى التي كان يرافقها همهمات مكتومة من حلق الأشخاص الواقفين حول الضحية، كانت تعلم معنى كل ما يحدث ولكنها ترفض

obeikan.com

تصديقه، ترفض تصديق أن من أحضرها إليهم وقدمها لهم هو زوجها نفسه لكي يرضي سيدته والتي تتحكم في كل هؤلاء، كانت ترفض تصديق أنه باعها لتلك السيدة لكي يثبت ولاؤه وجدارته بخدمتها، تلك المرأة الغامضة المثيرة للرعب، كانت ترفض تصديق أنه أتى بها إلى هنا لتعيش أقسى وأفظع وآخر لحظات حياتها، كانت تتفحص وجوه الجميع ولكنها لا تستطيع تمييزه بينهم بسبب تلك الأغطية التي تخفي وجوههم، كانت تنادي على زوجها الواقف وسط كل هؤلاء وهو يعلم أنها ستلقي حتفها بسببه، كان أشرف واقفاً يهمهم تلك الهمهمات المكتومة التي تزيد من رعب الموقف وكأنه منوم مغناطيسياً، كان يسمع صراخ واستجداء زوجته لتركها تذهب في حال سبيلها ولكنه لم يبدي أي رد فعل تجاه ذلك، زوجته التي عاش معها طوال العشر سنوات الماضية في سعادة ودفء، تلك الزوجة التي صبرت معه حتى أصبح من أشهر المخرجين في مجال عمله، نفس الزوجة التي ستموت اليوم فقط لكي يثبت ولاؤه لهم، أو لها على وجه الخصوص، لسيدته الغامضة، كان يستمع لصرخات زوجته باسمه وهي تبكي منادية إياه كي ينقذها مما هي فيه، ولكنه كان في عالم آخر الآن، كان جسده واقفا بين الرجال الآخرين ولكن عقله كان في مكان آخر، مكان أكثر شراً ودموية مما يمكن تخيله، مكان رآه وعرفه عندما عرف السيدة، تلك المرأة التي جعلته يتخلى عن أغلى ما يملك ومن يملك

لكي يرضيها و يقدم لها فروض الطاعة العمياء دون قيود أو شروط، وكانت زوجته هي الثمن الأكبر والأغلى لكي يثبت ولاؤه للسيدة، وها هي زوجته كما وعد السيدة تواجه آخر لحظاتها في الدنيا فقط لإرضاء من غيرت حياته.

فجأة توقف كل شيء، الموسيقى والهمهمات توقفت بشكل مفاجئ، حتى الرجال المتحلقين حول ضحية السيدة الجديدة توقفوا عن الحركة تماماً، وكأن الزمن نفسه توقف لدى دخول السيدة لتلك القاعة الموجودين بها الآن، وكأن الزمن نفسه يهابها ويخشاها، كانت الآن السيدة على بداية السلم وهي ترتدي ذلك الثوب الأسود اللامع رائع الجمال، بدأت في النزول على السلالم ببطء شديد وهي ترمق الجميع بنظرات نارية بينما كل من بالقاعة يركع على ركبتيه ووجهه لأسفل، كانت تنظر لهم وتتفقدهم كجنرال نازي ينظر لقواته المهولة قبل معركة ما، بدأت بوادر ابتسامة شرسة مريضة تطفو على وجه السيدة بينما هي ترى جباه الرجال تنحني بمجرد رؤيتها في المكان، كانت تشعر بكل السطوة والقوة والنفوذ الذي يمكن تخيله أو تمنيه، بدأ الرجال بالتحرك لدى اقترابها من نهاية السلالم ليقفوا صفين متراصين بعناية في انتظار نزول السيدة المهيبة، مرت من بين الصفين ببطء وهي تنقل نظراتها بينهم في إعجاب بنفسها وبقدرتها على تحويل أفضل وأقوى الرجال إلى مجموعة من الفئران تنفذ كل ما

تأمر به، توقفت عند نهاية الصفين لتنظر إلى أحد الرجال وهي تقول له:

– لقد أثبت ولائك لي اليوم، أنت تستحق أن تكون أحد خدمي المخلصين، لقد فعلت ما أمرْتك به دون نقاش ولذا لك مني جائزة خاصة جداً، ولكن الآن عليك إكمال مهمتك المكلف بها لتستحق مكانك بينهم، بين أقرب خدمي وحاشيتي إليّ.

كان يعلم ماذا تقصد السيدة بما يجب عليه فعله، توجه في حركة ثابتة إلى الضريح المثبت عليه زوجته بينما ترمقه السيدة بنظراتها المتعالية الخالية من أي مشاعر سوى الحقد والكراهية والشر المطلق، كانت ترمقه بنظراتها وهو يتناول ذلك السكين البارد والمرسوم عليه بعض الرموز الغير مفهومة، كانت ترمقه وهو يرفع ذلك السكين عالياً في الهواء كما ارتفعت صرخات زوجته في الهواء، كانت ترمق وجه زوجته وهي تستجديه بألا يفعل ذلك وألا يستمع لكلام تلك الشيطانه وهي تذكره بزواجهما لعله يستفيق مما هو فيه، كانت ترمق وجه زوجته وهي ترى ذلك السكين يرتفع في الهواء ويبدأ رحلة السقوط، كانت ترمق ذلك النصل البارد القاسي وهو يتوجه بكل عنف وقوة لجسد تلك المسكينة ليخترق قلبها مباشرة، كانت واقفة بينما الرجال ما زالوا في أماكنهم دون حركة وكأنهم تحولوا إلى تماثيل لن تتحرك

إلا بأمر من السيده، ظلت واقفة وهي ترى وجه ضحيتها المسكينه ينظر تجاهها للمرة الأخيرة وهو يخلو من الحياة بكل ثانية تمر، كانت مستمتعة وهي ترى الحياة المزوجة بدموع الزوجة تفارق عينيها اللتين بدأتا في الانغلاق للمرة الأخيرة، راقبت كل شيء وهي ترى النهاية، نهاية حصاد تلك الليلة.

●●●

obeikan.com

obeikan.com

– وبهذا يكون قد انتهى حصادنا لهذه الليلة، كان معكم أدهم فريد، حتى نلتقي في بداية الأسبوع المقبل بإذن الله لكم مني كل التمنيات الطيبة وإلى اللقاء.

نطق أدهم تلك الكلمات لينهي بذلك حلقة اليوم من برنامجه (أخباركم من القاهرة)، ذلك البرنامج الذي بدأ في التربع بقوة على عرش البرامج الحوارية في سماء القنوات الفضائية، كان بدأ نجم ذلك المذيع اللامع و الذكي في البزوغ بشدة وخلال فترة وجيزة، على الرغم من كونه لم يتعدى عامه الخامس والثلاثين بعد ولكنه أصبح واحد من أشهر الإعلاميين الموجودين على الساحة الإعلامية في مصر، نهض أدهم من مقعده ليصافح آخر ضيوفه الذي كان معه على الهواء منذ لحظات، ثم التفت ليجد زوجته نور واقفة في انتظاره والتي ابتسمت له في رقة وهي تقول:

– لقد انتهيت من تسجيل حلقة برنامجي و فكرت في زيارة زوجي العزيز، عندما أراك تحاور ضيوفك بتلك الصرامة والقوة لا أصدق أن ذلك هو أدهم ذلك الزوج الرقيق في البيت.

إبتسم أدهم بدوره وهو يقبل يدها في رفق ويقول لها:

–أولاً حبيبتي مرحب بها في أي وقت للقدوم، ثانياً إذا كان هذا هو رأيك يمكنني أن أكون بنفس الصرامة والحزم في البيت أيضاً.

openkan.com

نظرت نور إلى السقف وهي تتصنع التفكير ثم قالت:

- لا، يكفي الحزم هنا، في البيت لا أريد سوى الزوج المحب الرقيق، والآن هل نستطيع الذهاب إلى البيت أم ما زال هناك المزيد من العمل؟

إبتسم أدهم في وجه نور ولم يرد بينما صديقه المقرب ومخرج البرنامج قادم نحوه وهو يقول له:

- حلقة رائعة كالعادة يا أدهم، معدلات المشاهدة في ارتفاع متواصل وهواتف البرنامج لم تصمت طوال الحلقة، الجميع يشاهدك بلا استثناء يا صديقي، الجميع.

لم يكن يعلم أدهم كم كان المخرج صادقاً في كلمته تلك، فعلاً الجميع كان يشاهده دون استثناء، لم يكن يعلم أن تلك الشهرة الكبيرة سوف تجلب له أكبر وأسوأ كوابيس حياته على وجه الإطلاق، لأنها كانت تشاهده هي الأخرى مثل باقي المتفرجين ولكن الفرق أنها كانت تشاهد لهدف آخر في رأسها الشيطاني، كانت السيدة جالسة على مقعدها الجلدي المريح بينما تمسك في يدها كأس نبيذ ترتشف منه ببطء وهى تشاهد آخر حلقات أدهم فريد وبجوارها كلب أسود اللون قريب في الشكل للذئاب، أشارت بيدها ليأتي شخص ضخم البنية كان واقفاً خلفها في انتظار أوامرها، وقف بجوارها وهو ينظر للأرض

obeikan.com

في صمت في انتظار تعليمات وأوامر السيدة المهيبة، بعد لحظات من التفكير العميق المليئة بالصمت نطقت السيدة لتقول:

- أريد كل المعلومات عن هذا أدهم فريد، فلترى مَن مِن رجالنا يعمل معه في المحطة ولتحضرهم لي لأعرف أكثر عنه، وبالنسبة لك ستقوم بجمع كافة المعلومات عنه شخصياً، أريد أن أعرف عائلته وأقاربه وأسراره، كل ما يمكنك الوصول إليه من معلومات عنه، هل تفهمني ؟

لم يجب الحارس الشخصي للسيدة ولو بكلمة، فقط إكتفى بإيماءة من رأسه وانطلق على الفور لتنفيذ أمر سيدته، بينما داعبت الأخيرة بأناملها رأس كلبها الجالس بجوارها على الأرض وهي تقول له في نعومة:

- هل تظن أنه مناسب يا عزيزي؟ أعتقد ذلك، ما رأيك؟

زمجر الكلب في صمت وهو ينظر للشاشة بعينين مليئتين بالشر مثل سيدته وكأنه فهمها لتطلق بعدها السيدة ضحكة باردة قصيرة وهي تقول:

- نعم، كنت أعرف أنك ستوافقني الرأي، أنه هو من نبحث عنه، هو من أريده بالضبط، من نريده لخطوتنا الكبيرة المقبلة، أعلم أنه سيوافق، حتى لو اعترض في بداية الأمر، ولكننا نعلم يا عزيزي أنهم جميعاً يوافقون في النهاية على ما أريد، جميعاً يوافقون .

لتطلق بعدها ضحكة عالية تردد صداها في أنحاء قصرها الكبير، كانت تعلم ما تريد فعله و كيف تفعله، كانت واثقة من الفوز بتلك المعركة أيضا كما فازت في كل معاركها السابقة ضد كل من تخيل أن إرادته يمكن أن تحميه من قوتها وسطوتها وشخصيتها الكاسحة المسيطرة، ولكن هذه المرة لم تكن لتعلم حينها أنها سوف تكون معركة خاصة جداً وقوية جداً، لم تكن تعلم.

●●●

إستيقظ أدهم من نومه في الصباح على أشعة الشمس الدافئة وهى تغمر وجهه، اضطر لإغلاق عينيه للحظات حتى تعتاد على الضوء الساقط على وجهه الناعس، نظر بجانبه ليجد نور ما زالت نائمة كالأطفال بجواره، ظل يتأملها لبعض الوقت بوجهها الطفولي البريء لتعلو وجهه ابتسامة حانية وهو يتأملها، رغم أن نور لا تعلم ذلك لأنه لم يصرح به أبداً لها ولكنه كل صباح يحرص على الاستيقاظ قبلها حتى يتسني له التطلع إلى وجهها الجميل كل صباح، كانت تلك بالنسبة له هي أفضل أوقات يومه وأروع بداية يوم يمكن أن يحلم بها، طبع على جبهة نور قبلة حانية خفيفة ونهض من فراشهما بكسل متوجهاً للحمام للاستحمام، بعد أن انتهى وبدأ يشعر بالانتعاش يغمره توجه إلى المطبخ ليقوم بإعداد الإفطار لكليهما، كان قد مر

على زواجه بنور بضع سنوات ولكن بالنسبة له كانت بضعة أيام، لم يكن أدهم من ذلك النوع الذي تغيره الشهرة أو المال، ما زال يشعر بأنه نفس الشخص البسيط الذي كان عليه منذ سبع سنوات بالضبط عندما بدأ عمله في مجال الإعلام، كان حينها مجرد شاب يطمح أن يكون صوته مسموعاً للجميع لذا فقد تقدم لتلك المحطة الإذاعية الجديدة والتي اختبرته مراراً حتى أصبح مذيعاً بها في برنامج صغير لا يتعدى النصف ساعة ولكنه ها هو بعد مرور السنوات يتحول لذلك الإعلامي البارز الذي يُتوقع منه الكثير والمزيد من الشهرة والنجاح، مر على أدهم شريط حياته في السنوات الماضية القليلة والتي صنعت به وله الكثير، كان يعد الإفطار ولكن عقله يفكر و يتذكر كل ما حدث له حتى وصل إلى ما وصل اليه الآن، لذا لم يشعر بمن يتسلل خلفه في رشاقة وصمت محاولاً ألا يشعر به أدهم، وبالفعل لم يشعر أدهم بمن هو قادم من خلفه إلا وقد وجد نفسه محاطاً بذراعين رقيقتين تلف خصره، جفل أدهم للحظة جعلت نور تطلق ضحكة طفولية لنجاحها في إخافته وقالت له:

– من يراك الآن وأنت مذعور لا يصدق أنك أنت أدهم فريد الذي لا يهاب شيء وهو على الهواء ويحقق مع كبار المسئولين وكأنه وكيل نيابة مخضرم.

التفت أدهم ناحية نور ليقبل رأسها ويحتضنها برفق ويقول:

– مذعور؟ من المذعور؟ هل لديكِ يا سيدتي ما يثبت ذلك؟ هي فقط كلمتك أمام كلمتي.

أجابته نور وهي تحدق في وجهه بغيظ مصطنع:

– هكذا إذن هو الأمر، حسناً، سوف نرى ذلك فيما بعد ولكن قل لي أولاً ما تلك الرائحة الطيبة التي أشمها الآن؟

رد عليها أدهم وهو يلتفت مرة أخرى لتحضير الإفطار:

– تلك الرائحة هي رائحة خطتي التي فشلت بسببك في إحضاري الإفطار لحبيبتي في فراشها.

قالت له نور وهي تبتعد عنه:

– لا تقلق، لم تفشل بعد يا عزيزي، إعتبرني كأنني لم آتي إليك ولم أرى ماذا تفعل، يمكننا إنجاح خطتك لا تقلق.

إبتسم أدهم وهو يكمل الإفطار وبالفعل انتهى وأخذ الإفطار للفراش لزوجته نور التي تظاهرت

بالمفاجأة وهي تضحك وتقول له:

– ماذا؟ هل قمت بتحضير الإفطار لي يا حبيبي؟ لم أكن أتوقع ذلك.

obeikan.com

بعد أن تناولا إفطارهما قام أدهم متوجهاً نحو خزانة الملابس فسألته نور بخيبة أمل:

- الي أين أنت ذاهب؟ هذا هو يوم إجازتنا يا أدهم.

رد عليها أدهم قائلاً وهو يختار الملابس التي سيخرج بها:

- أعلم ذلك يا حبيبتي ولكني يجب أن أذهب للاطمئنان على صديق لي و عليّ إنهاء بعض الأمور الأخرى، لا تقلقي، سوف أكون هنا قبل موعد الغداء.

ردت عليه نور قائلة وهي تساعده:

-حسناً، سوف أخرج أنا الأخرى لشراء بعض مستلزمات البيت، لا أحب أن أبقى وحيدة وأنت بعيد عني.

إبتسم أدهم ولم يعلق وبدأ في ارتداء ملابسه بالفعل لينطلق في طريقه، ظلت نور على الفراش لبعض الوقت تشاهد التلفاز وتغير بين المحطات، بعد فترة نهضت لتستعد هى الأخرى للنزول، وبالفعل ركبت سيارتها لتتوجه لذلك المول التجاري القريب منها وبينما هي في الطريق قامت بتشغيل بعض الأغاني، كانت نور غافلة تماماً عما سوف يحدث لها خلال الساعات القليلة المقبلة، كانت خيوط العنكبوت الجهنمية يتم نسجها بينما هي تمضي في طريقها لتكون نور فى منتصف تلك

الشبكة وتكون أولى ضحاياها لهذا اليوم، بعد فترة ليست بالطويلة وصلت بالفعل لمكان ذلك المول وتوجهت لركن سيارتها في مكان انتظار السيارات وبينما هي تقوم بذلك وفجأة وكأنها ظهرت من العدم وجدت تلك المرأة تعبر أمامها وكأنها لا ترى نور وهي قادمة بسيارتها، كانت نور بعادتها حريصة خلال قيادتها ولكنها تفاجأت تماماً بتلك السيدة التي تعبر من أمام سيارتها، وعلى الرغم من سرعة السيارة المنخفضة إلا أن نور لم تستطع تفادي الاصطدام بتلك المرأة التي أطلقت صرخة صغيرة وارتمت على الأرض أمام السيارة، شهقت نور بعنف وظلت يداها قابضة بعنف على مقود السيارة للحظات وكأنها لم تستوعب بعد ما حدث، ولكن بعد مرور تلك اللحظات استجمعت نور نفسها وترجلت وهي تحاول التقاط أنفاسها بصعوبة لتجد تلك المرأة ممددة بلا حركة أمام سيارتها، كانت تعلم أن السيارة لم تكن مسرعة، لقد كانت سرعتها منخفضة جداً لإحداث ضرر بتلك المرأة ولكنها على أي حال جثت على ركبتيها وهي تغالب دموعها التي بدأت في الانهمار منها دون توقف في صمت وبدأت في إمساك يد المرأة لتحاول إيقاظها، بدأت المرأة في فتح عينيها و التطلع في المكان حولها ببطء، سألتها نور وهي تبكي:

– أنا آسفة جداً، أنا لم أقصد ذلك، أقسم لكِ، لا أعلم ماذا حدث، هل أنتِ بخير ؟

ردت عليها المرأة بضعف وهي تقول:

-أعتقد ذلك، يبدو أنني فقدت الوعي لدى ارتطامي بالأرض، لاتقلقي، سأصبح بخير.

كانت نور ما زالت في حالة من الصدمة ربما أكثر من المرأة نفسها التي صدمتها، ولكنها على أي حال ساعدتها على النهوض، كانت نور مصممة على الإسراع بالمرأة الى أقرب مستشفى للاطمئنان عليها ولكن المرأة أصرت على أنها بخير ولا داعي لكي تقلق نور عليها، لذا وأمام إصرار المرأة بدأت نور في الاطمئنان قليلا ولكنها أصرت على دعوة المرأة على قدح من القهوة بأي كافيه داخل المول حتى تعوضها ولو قليلاً عما حدث، لم تأخذ المرأة وقتاً طويلاً في التفكير ووافقت على ذلك وبالفعل دخلا ذلك الكافيه الشهير داخل المول ليجلسا على تلك الطاولة الشاغرة، خلعت المرأة معطفها لتضعه على المقعد المجاور لها، كانت نور قد بدأت في الهدوء قليلاً بعدما حدث حين دق جرس هاتف تلك المرأة التي استأذنت في النهوض لترد على المكالمة، ولأول مرة بدأت نور في تفحص المرأة جيداً، كانت ملفتة للنظر، هذا كان أول فكره خطرت على بال نور، كانت المرأة ترتدي بنطلون ذو لون داكن وضيق جداً مع الكثير والكثير من الذهب الذي يزين معصميها ورقبتها، كانت المرأة تبدو في غاية الثراء بكل تلك المجوهرات التي

ترتديها ولكن أكثر ما لفت انتباه نور كان ذلك المعطف الأسود الجلدي الطويل الذي ترتديه تلك المرأة، كانت نور تحب الملابس الجلدية كعادة معظم النساء ولكن كان ذلك المعطف ملفتاً جداً للانتباه، عندما ركزت أكثر فيه لاحظت أن الجلد نفسه مكتوب عليه كتابات غريبة وبخطوط صغيرة جداً وبشكل دوائر ، كانت الكتابات بحروف لا تعلمها نور وبأشكال دائرية ولكنك لا تستطيع ملاحظة ذلك إلا اذا اقتربت من المعطف وركزت فيه، كانت المرأة ما زالت تتحدث في الهاتف بعيداً عن نور لذا اقتربت نور أكثر من المعطف لتحاول لمسه، كان ملمسه ناعم جداً لدرجة لم تعهدها من قبل، حينما فاجأها صوت المرأة وهي تقول لها:

- هل أعجبكِ؟

جفلت نور للحظة ونظرت أمامها لتجد المرأة واقفة وهي مبتسمة، بادلتها نور الابتسامة وهي تقول لها:

- أنا آسفة، لم أستطع المقاومة، أنا أحب الجلود واسترعى انتباهي معطفك يا ... تخيلي أنني لم أعرف اسمك حتى الآن.

جلست المرأة أمامها على مقعدها وهي تقول لها:

- يا لي من خرقاء، لقد نسيت تماماً أن أعرفك بنفسي، أنا داليا الشرقاوي، سيدة أعمال.

ابتسمت نور في لطف وهي تمد يدها لمصافحة داليا:

- تشرفت بمعرفتك يا مدام داليا، وأنا نور رش....

قاطعتها داليا قائلة:

- نور رشدي المذيعة اللامعة وزوجة المذيع والإعلامي أدهم فريد، أعلم من أنتِ يا عزيزتي كما أعلم عن زوجك، أعلم عنكما كل شيء.

شيء في لهجة داليا لم يَرُق لنور خاصة عندما قالت أنها تعلم كل شيء، لقد قالتها وكأنها وكيل نيابة يحقق مع متهم، لذا سألتها نور في تعجب:

- تعلمين كل شيء؟ ماذا تعني بذلك؟

استدركت داليا الموقف وقالت لها وهي تعبث بمحتويات حقيبتها الجلدية وتخرج علبة سجائرها والقداحة:

- أعني أنكما من المشاهير وأتابع برامجكما كما يتابعه الملايين يا عزيزتي، وأنا عندما أعجب بشخص ما أحب أن أعرف كل شيء عنه حتى أتعرف عليه بصورة جيدة.

أشعلت داليا سيجارتها وكان هذا تصرف غريب بعض الشيء خاصة أنه توجد عدة لافتات في المكان تفيد بعدم التدخين، قالت لها نور وهي تشعر ببعض الحرج:

obeikan.com

- معذرة يا مدام داليا ولكن ممنوع التدخين في هذا المكان.

لم ترد داليا و اكتفت بابتسامة صغيرة وهي تنظر لنور وتنفث دخان سيجارتها في السقف وكأنها لا تأبه بما قالته نور للتو، كان بعض زبائن الكافيه ينظرون إلى داليا ويتهامسون وقام أحدهم وتوجه إلى مدير الكافيه وكان يبدو عليه الغضب ويشير بإصبعه باتجاه داليا، طبعا داليا لم تكن ترى ذلك لأنها تابعت تدخين سيجارتها وهي تتحدث مع نور والتي بعد لحظات شاهدت المدير وهو يقترب من طاولتهما ويقول لداليا بلباقة وهو يقف خلفها قليلاً أنه ممنوع التدخين في هذا المكان، لم ترد داليا وواصلت التدخين كأنها لم تسمع أي شيء، كرر المدير جملته مرة أخرى ببعض الحزم هذه المرة، حينها فقط استدارت داليا لتواجهه، لسبب ما رأت نور ذلك المدير وهو ينظر لداليا في عينيها و بدأ في التلعثم في الكلام وكأنه ارتعب عندما علم من هي، بدأ المدير في الاعتذار وأخذ يقسم بأنه لم يعلم أنها هي ولو كان يعلم لما قدم إليها وطلب منها ذلك، لم تقل داليا أي شيء بل أشارت بإصبعها للمدير لكي ينصرف، وقد انحنى الأخير وانصرف في سرعة، عندما رأت داليا الاستغراب على وجه نور ضحكت وقالت لها:

- أنا من زبائن الكافيه المعتادين كما أنني صديقة شخصية لصاحب سلسلة الكافيهات تلك لذا يمكنني فعل ما أريد.

ثم وقفت داليا وهي تطفئ سيجارتها في قدح القهوة وقالت لنور:

– على كل الأحوال لقد أصبحت أفضل الآن وأنا مضطرة للرحيل لأني مرتبطة بعدة مواعيد هامة خاصة بحفلتي التي أقيمها الليلة في منزلي، بالطبع أنتِ مدعوة للحفل بصحبة زوجك الأستاذ أدهم، وقبل أن ترفضي يجب أن تعلمي أنني لا أقبل كلمة لا، منزلي في المريوطية، فقط اسألي عن فيلا الشرقاوي.

وقفت نور لتصافح داليا وتقول لها:

–أنا يشرفني بالطبع تلك الدعوة يا مدام داليا ولكني لا أعدك بأننا سنستطيع القدوم، سوف نحاول بالتأكيد.

ابتسمت داليا وهي تنظر لنور في عينيها واقتربت منها وقالت بصوت أقرب للهمس:

– سوف تأتين، أنا أعلم ذلك يا عزيزتي، لا تنسي أنكِ اصطدمتِ بي وقدومك لحفلتي سوف يكون اعتذارك لي ولن أقبل غيره، كما أنها ستكون حفلة رائعة وسترين بنفسك، لن تندمي على القدوم.

لم تنتظر داليا حتى ترد نور عليها، قالت جملتها الأخيرة وأخذت حقيبتها وانطلقت في طريقها، ظلت نور واقفة لبعض الوقت وبعد فترة جلست على مقعدها تفكر في حديث داليا، كانت نور شاردة

الذهن، لم تقابل في حياتها شخصية معتدة بنفسها لحد الغرور مثل داليا، شخصية تجعلك تشعر بالنفور من تصرفاتها ولكن في نفس الوقت بالانجذاب إليها، كانت داليا واثقة من نفسها بدرجة كبيرة أو يمكنك أن تقول مخيفة ولكن نور شعرت بأن داليا لم تكن تمزح أو تبالغ حين قالت لها أنها سوف تأتي إلى حفلتها، شيء في أعماقها كان يخبرها بأن داليا على حق وأنها فعلاً ستذهب إلى تلك الحفلة، على الأقل بدافع الفضول لمعرفة المزيد عن تلك السيدة التي تتصرف بكل هذا الكم من الثقة بالنفس، على كل حال قالت نور لنفسها أنها ستخبر أدهم وحينها سيقرران هل يريدان الذهاب أم لا.

أكملت نور جولتها في المكان وانتهت سريعاً من التبضع وتوجهت إلى المنزل مباشرة لتجد أدهم قد وصل قبلها وها هو في غرفتهما يشاهد تلك المباراة الأوروبية، كانت على ما يبدو مباراة هامة من انفعالات أدهم، بدأت نور في تغيير ثيابها حين قالت له عما حدث معها اليوم وعن مقابلتها لداليا وما حدث وعن الحفلة التي دعتهما إليها في منزلها.

خفض أدهم من صوت التلفاز قليلاً و نظر إليها قائلاً:

– داليا الشرقاوي!! لم أسمع عنها من قبل، على أي حال نستطيع الذهاب إذا أردتِ ذلك، يمكننا الاستفادة من تغيير الجو بعض الشيء، ولكنها لم تقل لكِ العنوان حتى، كيف سنعلم مكان الحفل؟

قالت له نور وهي تجلس بجواره على الفراش بعد أن انتهت من تغيير ثيابها:

- لا أعلم، هي فقط قالت لي أن نذهب للمريوطية ونسأل عن فيلا الشرقاوي، هذا ما قالته بالضبط.

رد عليها أدهم وهو يقوم مرة أخرى برفع صوت التلفاز ليكمل متابعة المباراة:

- حسناً، سوف نذهب ونرى بأنفسنا، دعيني فقط في البداية أنهي المباراة ثم نتناول الغذاء ونتجهز للحفل.

وبالفعل حينما حل المساء كان كلاً منهما في سيارة أدهم منطلقين ناحية منطقة المريوطية، تلك المنطقة التي يقطنها العديد من المشاهير والأثرياء وعلية القوم، كان الطريق مظلماً بعض الشيء وهما في طريقهما ولكنهما أكملا الطريق حتى وصلا إلى المنطقة المنشودة، توقف أدهم بسيارته بالقرب من حارس لفيلا وسأله على فيلا الشرقاوي، بدأ بعض الضيق الغير مبرر لأدهم على وجه ذلك الحارس العجوز الذي امتلأ وجهه بالتجاعيد، ولكنه على كل حال أشار لأدهم إلى أعلى، لم يفهم أدهم ماذا يعني الحارس لذا فقد نظر لاتجاه إشارة الحارس العجوز ليرى خيوط من الليزر والإضاءة القوية في سماء تلك المنطقة الهادئة قادمة من مكان قريب، فهم أدهم أن

obeikan.com

تلك الإضاءة قادمة من مكان الحفل، وقبل أن يشكر أدهم الحارس وجده قد التف راجعاً إلى مقعده الخشبي المتهالك مثل صاحبه دون كلمة، تعجب أدهم من تصرف الرجل ولكنه انطلق على أي حال في طريقه للحفل، وبالفعل في غضون دقائق كان أدهم ونور قد وصلا لمكان فيلا الشرقاوي، نظر أدهم عبر الزجاج الأمامي لسيارته وأطلق صافرة تعجب وهو يقول لنور:

- هذا هو منزلها؟ هذا ليس منزل بل قصر يا حبيبتي.

لم تعلق نور على جملة أدهم الأخيرة لأنها كانت منشغلة بدورها في التطلع لذلك القصر الكبير والخاص بداليا، وجدا نفسيهما يسيران بالسيارة ببطء وسط رتل من السيارات الداخلة للحفل وعندما وصلا أخيرا الي البوابة طالعهما وجه ذلك الحارس، لم يكن مثل ذلك الحارس العجوز الذي صادفاه منذ قليل، لقد كان يبدو مثل المصارعين، عملاق داكن البشرة يرتدي بذلة سوداء أنيقة ولكنها لا تلائم جسده العملاق المحشور بداخلها، قال له أدهم:

- إننا مدعوان الي حفل السيدة داليا الشرقاوي، أنا أدهم فريد وهذه زوجتي نور رشدي.

تطلع الحارس العملاق فيهما للحظة ثم تحدث بصوت خفيض خلال الميكروفون المثبت على ياقة بدلته وبعد لحظات أذن لهما

بالدخول وأشار لأدهم للمكان الذي سيترك فيه سيارته، بدأ أدهم بالتحرك على ذلك الطريق المعبد بالصخور الملساء أو كما يطلق عليها حجر الاسكافي، ورغم أنهما يسيران بالسيارة إلا أن الأمر استغرق عدة دقائق لكي ينهيا ذلك الطريق المعبد بسبب كبر حجم المكان، كان المكان أقرب لضيعة بمساحته الهائلة المترامية الأطراف، بعد أن وصلا إلى المكان المخصص للسيارات ناولهما ذلك الرجل الضئيل الحجم رقم ليقوم هو بركن السيارة بعد نزول أدهم ونور منها، كان المكان كبيراً للغاية بالفعل، في المنتصف كان هناك ذلك القصر الفخم والذي يفصل بين منطقتين، منطقة السيارات والتي كانت كبيرة جداً وتتسع لعشرات السيارات والمنطقة الأخرى هي حديقة القصر، وكل ذلك محاط بسور شاهق وكأنه سور منطقة عسكرية، تأبطت نور ذراع أدهم وهي تسير على طريق مزين بالأنوار ليرشد الضيوف نحو مكان الحفل، كانت تنظر حولها لكل شيء وكأنها طفلة صغيرة تدخل ملاهي ألعاب لأول مرة في حياتها، أما بالنسبة لأدهم فقد كان ينظر للضيوف الآخرين الذين يسيرون بجواره، تعرف على بعضهم بالطبع فقد كانوا من أكبر وأثرى الرجال في الدولة، كان أدهم معتاداً على الحفلات وعلى القصور ولكنه لم يرى مثل ذلك من قبل، وكأنه يدخل عالم جديد لم يراه ولم يسمع به على الإطلاق قبل ذلك، كأنه يدخل قصة أسطورية من قصص الخيال، انتهيا من ذلك الطريق ليروا

ستارة طويلة جداً بطول المكان تخفي خلفها حفل داليا، كانت ستارة سوداء مرصعة بنجوم ذهبية تتلألأ بأضواء المكان وكأنها قطعة من السماء، فتح أدهم الستارة ليدخل هو ونور للمكان وفوجئ بما رأى، بل حتى يمكنك القول أنه ذُهِل مما رآه.

كان الحفل وكأنه قصة خيالية من التي قرأنا عنها في كتب الأطفال، الحديقة تقارب مساحة ملعب كرة قدم كبير وكلها مزدانة بالورود والأشجار العالية على جوانب الحديقة الأربعة ومليئة بالأنوار الصغيرة المتلألئة، حمام السباحة والذي يتوسط الحديقة يتغير لون الماء به كل بضعة ثواني بفضل الإضاءة المثبتة على جوانب حمام السباحة فترى مرة لون المياه أحمر ثم أصفر والكثير من الألوان الأخرى الغريبة، هذا غير النافورة الراقصة التي تتراقص على أنغام الموسيقى المنبعثة من كل مكان، مياه تتراقص وتتلوى وهي تتلون بمئات الألوان كل عدة ثوان، العشرات من مؤدي السيرك متواجدين في المكان، من ينفث النار من فمه ومن يؤدي فقرات خطيرة، وهناك قزم يتجول بين الناس بنمر حقيقي وهو يمتطيه، بالإضافة إلى فريق من راقصات الباليه المائي الذي يهمون بالنزول إلى حمام السباحة لأداء فقرة ما، العديد من السحرة يقفون بين بعض التجمعات من الناس يؤدون فقراتهم والتي يبدو أنها تنال استحسان وربما انبهار البعض نظراً لتصفيقهم وهتافهم الشديد لهم .

ساحر، هذه هي الكلمة الوحيدة التي تصف كل ما يراه الآن أدهم ونور، لم ينبسا بكلمة واحدة طيلة خمس دقائق وقفا خلالها في مكانيهما ينظران لكل ما يدور حولهما، طوال حياتهما وعلى الرغم من حضورهما العديد والعديد من الحفلات إلا إنهما لم يرى مثل ذلك من قبل، كان كل شيء ساحراً لدرجة لا توصف، كان كل شيء أسطورياً بكل ما تحمله الكلمة من معنى، كانا واقفين مشدوهين مما يشاهدانه الآن وكأنهما طفلين صغيرين يخطوان أولى خطواتهما نحو عالم لم يعلما من قبل حتى بوجوده، قاطع أفكارهما صوت ناعم جاء من خلف أدهم، كان صوت داليا وهي تقول:

– أعتقد أنني لن أسألك عما إذا كانت الحفلة قد أعجبتك أم لا، الإجابة ظاهرة على وجهك دون أدنى ريب.

نظر أدهم خلفه ليرى داليا لأول مرة، كانت ترتدي فستان أسود اللون يبرز الكثير من مفاتنها والكثير من جمالها أيضاً، لم يدري أدهم كيف علم أن هذه المرأة الساحرة هي داليا، ربما من وصف زوجته نور لها، ربما لسبب آخر هو نفسه لا يعلمه ولكنه كان يعلم أنها هي داليا فحسب، وجه أبيض كالقمر، الكثير من المجوهرات المتناثرة على أطرافها وحتى قدميها كانت ترتدي فيهما بعض المجوهرات، طول فارع وكأنها فرسة برية شديدة الكبرياء، تأملها أدهم لبعض الوقت ويبدوا أن ذلك أسعد داليا للغاية لأنها قد ابتسمت له وهي تقول:

– إذن أنت الإعلامي الكبير أدهم فريد، لقد كنت في انتظار تلك اللحظة منذ زمن.

قال لها أدهم بلطف وقد بدأ يستعيد قدرته على الكلام:

– لست إعلامياً كبيراً كما تقولين و لكني سعيد بأنكِ ترينني كذلك، وأنتِ بالطبع السيدة داليا الشرقاوي، لقد حدثتني نور عنكِ ولكنها لم توفيكِ حق قدرك يا سيدتي.

أطلقت داليا ضحكة قصيرة وهي ترجع رأسها للوراء ثم نظرت له وهي تمد يدها له، مد أدهم يده إليها ليصافحها ولكنها أدارت له ظهر يدها لكي يقبلها على طريقة السيدات الراقيات فيما مضي، أمسك أدهم بيد داليا وقبلها بخفة وهي تنظر له بإعجاب لم يخفى عليه، ثم نظرت داليا لنور وكأنها نسيت أنها كانت واقفة بجوار أدهم كل تلك المدة لتقول لها:

– أعتذر لكِ يا نور، فرؤية أدهم جعلتني أنسى وجودك معنا.

كان من الواضح أن داليا تتعمد التقليل من نور وإثارة غيظها لسبب غير مفهوم، لذا لم تعلق نور على حديث داليا وكأنها لم تقل شيئاً على الإطلاق واكتفت بابتسامة باهتة في وجه داليا التي قالت لهم:

– مضطرة أن أترككم الآن للتحدث مع باقي ضيوفي، من فضلكم تصرفوا كأنكم في بيتكم، الحفلة ما زالت في بدايتها وسوف تسعدون كثيراً هنا، أنا متأكدة من ذلك.

ثم وجهت عينيها العسليتين إلى أدهم قائلة له:

– سوف نلتقي مرة أخرى، لا تذهب بعيداً.

غادرت داليا وخلفها ذلك الحارس الشخصي مفتول العضلات ذو الوجه البارد القاسي الخالي من أي تعبيرات، غادرتهم وقد خلفت ورائها مزيج من المشاعر عند الزوجين، شعور بعدم الإرتياح والغيرة لدى نور، وشعور بالفضول الشديد لدى أدهم، كان يعلم جيداً ما تفكر به نور الآن لذا فقد قبّل رأسها في حنان وهو يقول لها:

– لا تدعي كلامها يؤثر عليكِ، أنتِ نجمتي وزوجتي الحبيبة.

ردت عليه وعلى وجهها تعبير غضب طفولي:

– كلامها؟ كلامها لامعنى له سوى أنها معجبة بك، لم تشعر بوجودي لدى رؤيتك، تلك المغرورة، سوف نبقى لفترة قليلة ثم نعتذر بلطف وننصرف.

إبتسم أدهم وسحبها من يدها وهو يقول:

– حسناً، دعينا الآن من هذا الحديث ولنرى مَن في الحفل نعرفه لنتحدث معه بدلاً من وقوفنا وحدنا بهذا الشكل.

بدأ الزوجان في المشي ببطء في المكان المكتظ بالضيوف وبالطبع كان الكثير منهم يعرفون أدهم ونور، قام لبعض ممن يعرف الزوجين بالتحدث إليهما وتشعب الحديث للعديد من الموضوعات وإن كان معظمها تمحور حول تلك الحفلة الباهظة التي لم يرى أحد مثلها من قبل إلا فقط في قصر داليا الشرقاوي، كان يبدو أن أدهم لم يكن الضحية الوحيدة للانبهار بهذا المكان الساحر، وفيما هما يتحدثان ويلتقطان الصور مع الحضور شاهد أدهم مخرج برنامجه فاستأذن من الجميع ليلقي عليه التحية، كان واقفاً وحده بالقرب من أحد موائد البوفيه المتناثرة في كل مكان تقريباً، لم يلحظ حتى أن أدهم يقترب منه ولم يشعر به حتى وضع أدهم يده على كتفه، فجفل للحظة ونظر خلفه ليرى أدهم يبتسم له ويقول له في مرح:

– ماذا بك يا رجل؟ لقد رأيتك تقف وحدك فجئت إليك، بصراحة لقد ضقت ذرعاً من الابتسامات المفتعلة والمصافحات والمجاملات العقيمة، لم تقل لي من قبل عن داليا الشرقاوي، لقد بدأت تخفي أسراراً عني يا صديقي العزيز.

لم يبدوا على أشرف السعادة برؤية أدهم، بل بالعكس، كانت تبدوا عليه المفاجأة الممزوجة بالضيق وقد ظهر ذلك في رده على أدهم عندما قال له:

- أدهم؟ لماذا جئت؟ فلترحل الآن، إرحل من فضلك ولا تذكرني أمام داليا.

لم يفهم أدهم سبب ردة فعل صديقه ومخرج برنامجه أشرف على رؤيته، أنهما صديقان منذ بدأ العمل في البرنامج وعلاقتهما ممتازة، إذن لمَ يعامله أشرف بتلك الطريقة الغريبة، ولماذا يريد منه الرحيل، سأله أدهم قائلاً:

- أنا لا أفهم أي شيء، ماذا تقصد بما تقول؟ لمَ يجب عليّ الرحيل؟

كان أشرف على وشك الحديث ولكنه رأى داليا تقترب منهما فشرب ما تبقى من مشروبه بسرعة وقال بصوت هامس متوتر وهو ينصرف:

- ليتك ما جئت يا أدهم، ليتك ما جئت.

كان أدهم في حيرة من أمر أشرف وسبب تصرفه الغريب معه، ولكن داليا قد وصلت فعلاً إليه وقالت له بعد أن طلبت بعض النبيذ لهما والذي رفضه أدهم بلطف:

– أرجو أن تكون مستمتعاً بالحفلة يا أدهم، أم تحب أن أتصرف معك بصورة رسمية وأقول لك يا أستاذ أدهم؟

ابتسم أدهم وهو يقول:

– كما يحلو لكِ يا مدام داليا، كلمة أستاذ لا تعني أن قائلها يحترمني ولا نطق اسمي مجرداً يعني أن قائلها صديقي، ولكن بالنسبة للحفل فأنا أعترف أنكِ تعرفين كيف تبهرين ضيوفك.

قالت له في دلال وهي تقترب منه وتنظر في عينيه:

– أنت لا تعلم بعد كيف يمكنني إبهار الآخرين، هذه فقط عينة بسيطة مما أستطيع فعله.

كان أدهم متعجباً من طريقتها في الحديث معه، هذه السيدة يراها لأول مرة في حياته وها هي تتعامل معه كأنهما أصدقاء قدامى، كان يشعر بوجود سر ما خلف تلك الطريقة الودية للغاية في التعامل معه، لذا فقد سألها بكل صراحة:

– اعذريني على وقاحتي ولكني تعودت أن أكون صريحاً مع من أتعامل معه، لماذا تتصرفي معي بتلك الطريقة؟ كأننا نعرف بعضنا البعض منذ أمد بعيد وتعمدك لإثارة حفيظة نور زوجتي رغم أنكِ من دعوتها الي حفلتك.

كانت داليا تحرك اصبعها على طرف كأس النبيذ وقالت دون النظر إلى أدهم:

– ربما دعوتها للتعرف عليك أنت، أو ربما لسبب آخر، من يدري! عامة سوف تعرف إجابة ذلك السؤال فيما بعد يا عزيزي، الآن تمتع بالحفل، لقد أقمته على شرفك أنت فقط، ولنا حديث آخر فيما بعد، حين تصبح وحدك.

هَمّ أدهم بالحديث وسؤال داليا مرة أخرى ولكن قاطعة صوت نور وهي تقترب منه وتقول:

– إذن أنت هنا يا أدهم، لقد بحثت عنك في كل مكان ولم أجدك، ألم يحن الوقت للانصراف. ثم قالت موجهة حديثها لداليا بينما تتأبط ذراع أدهم أمام الأخيرة:

– حفلة رائعة يا مدام داليا ولكننا مضطرون الآن للانصراف، أليس كذلك يا أدهم؟

أومأ أدهم رأسه بالإيجاب وقال بلباقة وهو يصافح داليا:

–فعلاً، نحن مضطرون للانصراف الآن يا مدام داليا ولكنها فعلاً حفلة رائعة، كنا نتمنى أن نمكث أكثر من ذلك ولكننا على عجلة من أمرنا بعض الشيء.

openkan.com

قالت له وهى تتصنع الأسف لمغادرتهما:

- بتلك السرعة سوف ترحل يا أدهم؟ يا لها من خسارة، كنت أتمنى أن تمكث بعض الوقت لتشاهد باقي الحفل، يوجد الكثير من الأمور الرائعة التي كنت أود أن تراها هنا الليلة، ولكن لا تقلق، سوف أراك كثيراً فيما بعد، ثم نظرت لنور و كأنها لم تنتبه لوجودها وقالت:

- أقصد بالطبع أنني سوف أراكما أنتما الإثنين يا مدام نور، كان يسعدني أن تمكثوا أكثر قليلاً خصوصاً أن الحفل ما زال ببدايته ولكني لن ألح على مكوثكما أكثر من ذلك.

إبتسمت نور بطريقة رسمية وبدأت في الاستدارة لترحل بصحبة أدهم الذي لم تترك ذراعه وكأنها تثبت لداليا أنه زوجها هي ولن تستطيع أخذه منها إذا كانت تفكر في ذلك، ولكن داليا استوقفتها منادية عليها فنظرت نور لمرة أخيرة لداليا التي قالت لها:

- مدام نور، فلتحرصي جيداً على زوجك، أنتِ محظوظة لحصولك عليه ولكن المرء منا لا يظل محظوظاً طوال عمره، إلي اللقاء يا عزيزتي.

لم ترد نور وانطلقت تسرع الخطى لترحل من هذا المكان، كان أدهم متفهم سبب عصبية نور لذا لم يقل شيئاً وبدآ في المشي للخروج

من الحفل حتى وصلا إلى سيارتهما وبينما كان ما زال يفتح الباب وجد الألعاب النارية من خلفه تنطلق بقوة في السماء لتضيء المنطقة بأسرها، نظر إلى الأعلى لبعض الوقت يشاهد تلك الألعاب النارية المذهلة والتي لم يرى مثلها من قبل ولكن صوت نور العصبي أفاقه من استمتاعه بالمشاهدة وهي تقول:

- هيا بنا يا أدهم من فضلك، أريد مغادرة هذا المكان بسرعة.

حينها رجع نظر أدهم إلى الأرض مرة أخرى ليفاجأ بالحارس الشخصي لداليا والذي كان ورائها دائماً في كل تحركاتها أمامه وكأنه ظهر من العدم وفي يده مظروف أسود اللون لامع عليه كتابة باللون الذهبي يحمل اسمه، لم يفهم أدهم شيئاً ولم يقل الحارس أي شيء، فقط ظل واقفاً كالتمثال وهو يحمل المظروف في انتظار أن يأخذه أدهم منه، وبمجرد أن تناوله أدهم من يده انطلق الحارس راجعاً من حيث أتى دون أن ينطق بكلمة واحدة مع أدهم، أخذ الأخير يقلب المظروف بين يده وركب السيارة ونور تسأله:

- ماذا كان يريد منك هذا الكائن المخيف؟

لم يرد عليها أدهم و ناولها المظروف في يدها وبدأ في الانطلاق في طريقه في الوقت الذي فتحت فيه نور المظروف لتجد قطعة من ورق الدعوات المقوى بنفس لون المظروف ولكن الغريب أن تلك الدعوة

كانت فارغة من أي شيء، مجرد دعوة سوداء اللون لا تحمل أي كلمات أو حروف أو أي شيء، أرته نور الدعوة في عدم فهم وهي تقول له:

- ما هذه المزحة السخيفة؟

أخذ منها أدهم الدعوة وأخذ يقلب وجهيها وهو لا يفهم أيضاً ما هذه الدعوة الفارغة، ثم ألقاها دون اكتراث على تابلوه السيارة وهو يقول لنور:

- صدقيني أنا لا أفهم أي شيء مما يحدث مثلك تماماً، دعينا فقط نرجع إلى البيت.

بدأ أدهم بالخروج من محيط قصر داليا ولكنه لم يكن يعلم أن عيون داليا تراقبه وهو يخرج خارج سور قصرها، كانت تتابعه بنظرها وهي تضع سيجارتها ذات اللون الذهبي بين شفتيها ليسرع حارسها الشخصي بإشعالها لها دون كلمة واحدة وهي تهمس بصوت خفيض:

-سوف نرى بعض كثيراً يا عزيزي، اركض الآن ولكنك في النهاية ستكون ملكي كما هو حال جميع الرجال، أنت ملكي يا أدهم ولكنك فقط لا تعلم ذلك بعد، لا تعلم ذلك بعد.

كان العمل يجري على قدم و ساق داخل الاستديو لتصوير الحلقة الجديدة من برنامج أدهم، كان الجميع يجري هنا وهناك فلم يتبقى

obeikan.com

على وقت الخروج للهواء سوى ربع ساعة فقط، كان أدهم في غرفته ليستعد للحلقة عندما دخل عليه المخرج ليراجع معه بعض الأمور المتعلقة بالحلقة، ولكن ما أن شاهده أدهم حتى قام بسؤاله:

– دعك من هذا الآن، ما الذي حدث في الحفلة يا أشرف، لماذا كنت متوتراً لهذه الدرجة البارحة في الحفل وقلت لي أنك كنت تتمنى لو لم أحضر، ما الذي تخفيه عني يا أشرف؟

رد أشرف بارتباك ملحوظ على أدهم وهو ينظر للورق الذي يحمله محاولاً تحاشي النظر الى عيني أدهم مباشرة:

– لا شيء، لا شيء يا أدهم، أنا فقط لم أعتد أن أراك في حفلات لداليا الشرقاوي، هذا كل شيء.

ثم أكمل أشرف حديثه عن الحلقة الجديدة والضيوف في محاولة منه لغلق باب تلك المناقشة التي لا يريد فتحها مع أدهم، كان أدهم يعلم أنه لا مجال الآن للحديث في هذا الموضوع خاصة مع اقتراب موعد بث الحلقة، لذا لم يصر على أشرف ومضي يتحدث معه في تفاصيل الحلقة الجديدة وكأن شيئاً لم يكن.

انتهت الحلقة كالمعتاد بوجه أدهم المبتسم وهو يتمنى ليلة سعيدة للجمهور كما هي عادته في نهاية كل حلقة، كان أدهم شارد الذهن إلى

حد ما خلال الحلقة و لكنه استطاع إخفاء ذلك ببراعة، نهض أدهم من مقعده وهو يصافح آخر ضيوفه لهذا اليوم، ثم بعد ذلك اتجه أدهم نحو مُعِد برنامجه الذي صاح في وجه أدهم بمرح:

-حلقة أخرى رائعة يا أستاذ أدهم، نحن في مقدمة البرامج الحوارية في مصر.

ابتسم أدهم ولم يعلق على ما قاله المُعِد وسأله بصوت منخفض:

- رضا، أريدك أن تقوم بخدمة خاصة لي، أريد أن تجمع لي كل ما تستطيع جمعه من معلومات عن سيدة أعمال تدعى داليا الشرقاوي، هل تعرفها؟

رد عليه رضا قائلاً:

- داليا الشرقاوي، بالطبع أعرفها ولكن لا تفكر في استضافتها في برنامجك لأنها لا تقوم بعمل أي لقاءات صحفية أو تليفزيونية على الإطلاق، لقد حاول الكثيرون من قبل عمل لقاءات معها ولكنها كل مرة كانت ترفض ذلك وبشدة، حتى ذلك الرفض لم يكن بلسانها، معها دائماً مدير أعمال غربي هو من يتحدث باسمها، لقد حاولت مرة مقابلتها أو حتى التحدث معها على الهاتف لإقناعها بالظهور معنا في البرنامج ولكن قابلني ذلك الرجل الأجنبي الذي يتولى إدارة

إمبراطوريتها ورفض ذلك دون إبداء أي سبب، ولكن لِمَ تريد معرفة معلومات عنها؟

كان فضول أدهم يتزايد تجاه تلك المرأة ولكنه لم يرد الإفصاح عن أي شيء لذا فقد اكتفى بالرد على رضا قائلاً:

– المهم أنني أريدك أن تجمع لي ما تستطيع من معلومات عنها، أي شيء يمكنك أن تصل إليه من معلومات تخص أعمالها أو تاريخها قبل ذلك، ولا تخبر أحداً عما طلبته منك.

تعجب رضا من حديث أدهم وسأله مرة أخرى:

–حسناً لك ذلك و لكن لِمَ كل تلك السرية؟

لم يُرِد أدهم إثارة تساؤلات رضا ففكر في إجابة ترضي فضوله لذا قال له:

– أنا أريد أن أعلم كل شيء لأنني بالفعل أفكر في إجراء مقابلة معها، ربما أنجح فيما فشل به غيري ويكون ذلك سَبق إعلامي لمحطتنا، ولكني أريد في البداية معرفة كل شيء عنها حتى أعرف كيف أقنعها بإجراء تلك المقابلة، المهم يا رضا ألا يعلم أي شخص ما طلبته منك، حتى أشرف نفسه لا يعلم، لا أريد أن أشعر بالإحراج أمام الجميع في حالة فشل محاولتي.

أومأ رضا برأسه بالموافقة وقال:

- لا تقلق ، لن يعلم أي شخص، لك هذا يا أستاذ أدهم .

ترك أدهم معد البرنامج لينفذ ما طلبه منه، لم يكن أدهم يعلم لِمَ كل هذا الغموض الذي يحيط بتلك المرأة ولكنه كان شديد الفضول لمعرفة المزيد عنها، كان يشعر بأن ورائها أسراراً كثيرة وهو بطبعه فضولي، توجه إلى نور التي قالت له:

- هل كل شيء على ما يرام، كان يبدو عليك أثناء الحلقة أنك تفكر في شيء ما.

إبتسم أدهم وهو يقول لها:

- لا تقلقي، كل شيء على ما يرام، والآن هل أنتِ مستعدة للذهاب إلى البيت؟

ردت عليه نور بأسف:

- للأسف لن أستطيع الذهاب الآن، لقد حضرت فقط لأنني افتقدتك وأردت رؤيتك ولكن هناك ندوة لصديقة لي سوف أحضرها ثم أنهي بعض المهام الأخرى وآتي إلى البيت، إذهب أنت وسوف ألحق بك عندما أنتهي.

obeikan.com

طبع أدهم قبلة دافئة على رأس نور التي انصرفت في طريقها لتلك الندوة، غادر أدهم الاستديو في طريقه إلى سيارته لكي يذهب للبيت، ركب السيارة وهمّ بالانطلاق في طريقه ولكنه قبل أن يتحرك لفت نظره ذلك المغلف الذي سلمه إياه حارس داليا الشخصي، ذلك المغلف ذو الدعوة الفارغة من الكلمات، لم يكن أدهم قد أعاره انتباهه في الليلة السابقة عندما تسلمه، لذا فقد أمسك بالمغلف وقرر فتحه لمرة أخرى ليلقي عليه نظرة أخرى، فتح أدهم المغلف ليجد شيء عجيب، لم تكن الدعوة فارغة من الكلمات هذه المرة، كانت الكلمات الذهبية المكتوبة بعناية وبحروف ذهبية بارزة على الدعوة، هذا غريب للغاية، هكذا فكر أدهم و هو يرى الدعوة، إنه متأكد أنها كانت فارغة البارحة، لقد رآها بنفسه وكانت فارغة فكيف الآن هي ليست كذلك، قرأ أدهم الكلمات المكتوبة على الدعوة والتي كانت تقول:

- تتقدم السيدة داليا الشرقاوي بدعوة حامل الدعوة فقط لحفلها الخاص في قصرها بمنطقة المريوطية في يوم الثلاثاء القادم، الحفل خاص جداً لذا فالدعوة موجهة لمن تسلمها من حارسي فقط دون غيره..... فقط دون غيره.

كان عقل أدهم يغص بالكثير من الأسئلة المتلاحقة، هناك أسرار كثيرة تحوم حول تلك المرأة وها هي تبعث له بدعوة خاصة له هو

فقط دون أن تدعو زوجته، لِمَ كل هذا الغموض الذي تصنعه حولها، ولماذا هذا الاهتمام الغريب به، وما هو سر تلك الدعوات التي تختفي كتابتها ثم تظهر مرة أخرى من تلقاء نفسها، أغلق أدهم المغلف مرة أخرى وأعاده الى مكانه وبدأ بالانطلاق في طريقه إلى البيت، غداً سوف يعلم المزيد عندما يأتي له رضا بتلك المعلومات التي طلبها منه، ربما غداً يجد إجابة لأسئلته ولكن قلبه كان يخبره أنه واهم، كان يشعر بأن تلك المعلومات سوف تزيد الغموض المتعلق بتلك المرأة بدلاً من أن يكشفه، انطلق في طريقه وهو لا يعلم أنه قد بدأت تنسج أولى خيوط العنكبوت حوله حتى لا يتمكن من الفرار، حتى لا يتمكن من المقاومة عندما تبدأ المعركة الحقيقية، المعركة التي قد تكلفه حياة أحبائه، أو ربما حتى حياته هو شخصياً.

كانت داليا في مكتبها بالمقر الإداري الذي تدير منه إمبراطوريتها الواسعة من الشركات والمؤسسات، مكتب يوحي بالفخامة بتلك الجدران الرمادية التي تتناثر عليها بعض من أغلى اللوحات ويزين أرضية المكتب تلك السجادة الباهظة سوداء اللون، كان كل شيء في المكتب يوحي بالبذخ الشديد، كانت فقط تتطلع إلى الشمس وهي تغرق في نيل القاهرة من واجهة المكتب الزجاجية التي تحتل مساحة كبيرة، كانت تنظر إلى النيل وهي تضع نظارتها الشمسية لحجب ضوء الشمس عن عينيها عندما دخل عليها ذلك الرجل المهيب، كان

يبدو عليه أنه في بداية الأربعينيات من العمر على الرغم من شعره الرمادي الناعم، كان يرتدي بذلة سوداء ضيقة بعض الشيء ويضع حول عنقه سلسلة تحمل في نهايتها نجمة خماسية كبيرة من الفضة، كان يبدو أنه على درجة كبيرة من الأهمية والمهابة خاصة مع عينيه الضيقتين اللتين تشعرك أنها يمكنها سبر أغوار روحك نفسها متى أراد ذلك، دخل المكتب بهدوء ودون أدنى صوت بينما داليا مازالت تتأمل المنظر أمامها والتي قالت له عندما شعرت بوجوده:

– أكره الضوء بشدة، لماذا لا يحب معظم البشر الظلام مثلي، إنه أفضل كثيراً، ولكنك لم تأتي هنا يا لوتان من أجل مناقشتي في ذلك، ما الذي جاء بك؟

تحدث لوتان مدير أعمال داليا قائلاً بصوت منخفض:

– لقد جئت لأقول لك أنك تتسرعين في قرار ضم أدهم فريد لنا، لقد انتهيت للتو من قراءة ملفه النفسي ولا أظنه يملك المقومات التي نحتاجها منه لكي يكون واحد من رجالك، أنصحك وبشدة أن تختاري أحد غيره لتلك المهمة وسوف تجدين المئات يتمنونها ومستعدين لأي شيء للحصول عليها، فقط إختاري شخص آخر غيره.

إسترخت داليا على مقعدها الجلدي الأسود وأشعلت سيجارتها بتلك القداحة الذهبية الرفيعة ورمتها على المكتب وهي ترمق لوتان بتمعن قبل أن تقول له:

- أنت دائماً شديد الحذر والارتياب يا لوتان، أنا أعلم أنه الشخص المناسب لهذه المهمة، ربما أنت قرأت ملفه النفسي كما تقول وراقبته لفترة ولكن هذا لا شيء بالمقارنة بحدس المرأة، حدسي يخبرني أنه سيفعل تماماً ما أريده، كل شخص يملك العديد من الطرق أمامه في حياته، إذا أردت أن تجعله يسلك الطريق الذي تريده فقط إقطع باقي الطرق وضع أمامه العوائق في كل الطرق ما عدا الطريق الذي تريده، حينها سيسلكه رغماً عنه وهو يظن أنه سلكه باختياره، هو فقط يحتاج الدافع المناسب وحينها سوف يكون كالخاتم في إصبعي وسوف أتحكم به و عن طريقه سوف أتحكم في كل شخص آخر، حينها سأملك السيطرة الكاملة يا لوتان، حينها ستنحني رؤوس الجميع حتى لو كان رغماً عنهم.

قال لها لوتان وهو يضع يديه على المكتب ويميل ناحيتها:

- ولكنك تتقدمين بخطوات متسرعة، لم يرك إلا مرة واحدة وها أنتِ قدمتي له دعوة للحفلة التالية وكأنك متأكدة أنه سيحضر ويوافق على مخططنا، لا تنسي أنه متزوج ويحب زوجته وسوف يكون من الصعب إغواؤه لتسيطري عليه.

ردت عليه داليا قائلة:

- ربما أكون تعجلت بعض الشيء ولكن هذا لا يعني أنه لن يأتي

ولن يوافق، أنا شخصياً أعتبر أنه وافق فعلاً ولكنه لا يعلم ذلك بعد، أما بالنسبة لزوجته فهذا موضوع يسهل التخلص منه يا عزيزي، يسهل التخلص منه، دعك من هذا الآن، ما هي أخبار دار الأيتام؟

أجابها لوتان:

– كما خططنا بالضبط، مستواهم الدراسي ممتاز وقريباً سينهي أول دفعة فيهم شهادة الثانوية العامة ويبدأ الدفع بهم في الكليات المختلفة كما تم التخطيط له.

إسترخت داليا في مقعدها وأغلقت عينيها وهى تقول:

– ممتاز، هؤلاء الصغار سوف يكونوا أول نواة حقيقية في مشروعي، وكيف هو حال تدريباتهم الأخرى؟

إبتسم لوتان وهو يقول:

– كل شيء يسير بخطى ممتازة، تدريبهم النفسي والجسدي يسير حسب الجدول الموضوع لهم، في الحقيقة هناك بعضهم قد سبق برنامجه التدريبي بمراحل وهؤلاء نوليهم عناية خاصة في كل شيء كما أمرتي.

أطلقت داليا ضحكة عالية ملأت سماء الغرفة ثم قالت:

– هؤلاء المميزين فيهم يجب العناية بهم جداً، أنت المسئول أمامي

obeikan.com

يا لوتان عنهم ولا أحد غيرك، هي فقط عدة سنوات قليلة أخرى ويكون صغاري في كل مكان ومنتشرين في كل مجال بانتظار تعليماتي وأوامري، هي فقط سنوات قليلة و يكون كل شيء تحت سيطرتي أنا، أنا فقط يا لوتان، أنا فقط.

أجابها لوتان بقوله:

– بالطبع يا سيدتي، ولكن هناك أمر آخر يجب علينا مناقشته، زبائننا في أوروبا بعثوا برسالة يطلبون فيها كمية أكبر من الملابس الجلدية الخاصة، إن عرضهم مغري بحث ويقولون أنهم على استعداد لدفع أي مبلغ تطلبينه ولكننا حالياً لا نملك العدد الكافي لصنع الكمية التي طلبوها، حتى مع عدد الحفلات الخاصة التي نقيمها لن تستطيع الوصول للعدد المطلوب.

ردت عليه داليا قائلة له وهي تعتدل على المقعد:

– لا تقلق، دار الأيتام موجودة وهناك الكثير من المشردين الذين لن يكترث أحد لغيابهم، لن نرفض كل هذا المال الذي يأتي لنا من زبائننا هناك، كن خلاّقاً يا لوتان، ابعث لهم برسالة بأننا موافقون على توريد الكمية المطلوبة ولكننا نطلب مهلة شهر واحد وسنصنعها لهم، إفعل كل ما تراه ضرورياً لتلبية طلباتهم يا لوتان، أظنك تفهمني حينما أقول كل ما تراه ضرورياً.

فتح أدهم باب غرفة معد البرنامج ليجده منهمك أمام شاشة الكمبيوتر، دخل إلى الغرفة وأغلق الباب خلفه وهو يقول له:

- كيف حالك اليوم يا صديقي؟ هل أحضرت لي المعلومات التي طلبتها منك؟

رجع رضا بالمقعد إلي الخلف وهو يقول له:

- أعتقد ذلك يا أدهم.

تعجب أدهم من إجابة رضا وعاد ليسأله:

- ماذا تعني بذلك؟ هل أحضرت المعلومات المتعلقة بداليا الشرقاوي أم لا؟

تنهد رضا وصمت للحظات ثم قال:

- لقد كانت مهمة عسيرة يا أدهم، صدقني، لقد بحثت في كل مكان عن معلومات كافية عن داليا ولكن دائماً كانت المعلومات ناقصة وغير مكتملة، كل ما استطعت جمعه من المعلومات هنا في هذا الملف، أرجو أن تكون مفيدة لك.

ناول رضا الملف لأدهم الذي فتحه في لهفة ليقرأ المزيد عن داليا الشرقاوي ولكن رضا كان محقاً فيما قاله، لم يكن هناك الكثير عنها، كل ما كان مكتوب هو أنها ظهرت من العدم منذ عدة سنوات عندما

obeikan.com

تزوجت رجل الأعمال المعروف ياسين محمود، والذي توفي بعد أقل من سنة من زواجه منها ليفاجأ الجميع أنه كتب كل ما يملك من أصول وأموال سائلة لداليا قبل وفاته، ومنذ ذلك الحين قامت داليا بإنشاء العديد من الشركات في الكثير من المجالات حتى كونت إمبراطورية إقتصادية، هذا بالإضافة للعديد من الأنشطة الخيرية التي ترعاها وتمولها خاصة دار أيتام تدعى أطفال الشرقاوي، لها علاقات واسعة مع العديد من رجال الأعمال والسياسيين البارزين في المجتمع.

لم تكن تلك المعلومات كافية لتروي فضول أدهم، رغم أنه لا يعلم السبب ولكنه يريد معرفة المزيد عن تلك المرأة الغامضة، تلك المرأة التي ظهرت من العدم لتصبح من أقوى سيدات الأعمال في المجتمع في غضون سنوات قليلة، ربما هو فضول إعلامي، ربما هو فضول البشر الذي يجذبنا نحو كل ما هو غامض وضبابي، لم يكن أدهم ليعلم بالضبط لِمَ كل هذا الإهتمام بتلك المرأة، على أي حال شكر أدهم رضا على مجهوده معه وحياه بلطف قبل أن يغادر غرفة الإعداد، كان أمامه بعض الوقت قبل بدء تصوير حلقة اليوم من البرنامج لذا فقد توجه إلى غرفته للاستعداد للحلقة، دخل أدهم غرفته وجلس على مقعده وأمامه الملف الخاص بضيوف ومواضيع حلقة اليوم، فتح الملف ليجده أمامه، ذلك المغلف الأسود الأنيق المكتوب عليه اسمه بحروف ذهبية والذي يدعوه لحفلة داليا الشرقاوي، نفس المغلف الذي هو

متأكد أنه تركه في سيارته ولم يأخذه معه، كيف وصل إلى غرفته، تلفت أدهم حوله ونهض من مقعده واتجه نحو النافذة، كان الطابق الذي به غرفته هو الثالث ولا يمكن أن يكون أحد قد جاء من النافذة ولكنه ذهب ليتأكد على أي حال، كانت النافذة مغلقة بإحكام من الداخل ولا أحد غيره يملك مفتاح باب غرفته، وحتى لو كان الباب مفتوحاً كيف جاء هذا المغلف من سيارته، رفع أدهم سماعة الهاتف الموجود بغرفته واتصل بعامل الجراج وقال له:

– معك أدهم فريد، أهلاً بك، أعتقد أنني نسيت سيارتي مفتوحة، هل يمكنك الذهاب إليها و التأكد ما إذا كانت مغلقة أم لا، حسناً أنا معك على الهاتف.

انتظر أدهم لعدة دقائق كان يفكر خلالها فيما حدث والأهم لماذا يحدث قبل أن يصل إليه صوت عامل الجراج الذي أكد له أن السيارة مغلقة ولا يوجد أي باب مفتوح بها، شكره أدهم قبل أن يضع السماعة وهو يتساءل عن نوع اللعبة التي تلعبها معه داليا، كان في حيرة من أمره ولا يفهم أي شيء، لماذا تتكبد داليا كل تلك المشقة للفت انتباهه، يبدو أنها مهتمة به وبشدة ولكنه لا يشعر أنه اهتمام بدافع الإعجاب الشخصي أو الحب حتى، هناك شيء آخر لا يعلمه وتخطط له داليا، ما كان يثير حنقه بحق أنه لا يعلم وهو يكره هذا الشعور،

يكره أن يشعر أنه لا يفهم أي شيء مما يجري حوله، كان يبدو أن داليا تحاول إثارة إعجابه أو انبهاره أو حتى خوفه لسبب هو لا يعلمه بعد، وبينما هو غارق في أفكاره سمع صوت طرقات خفيفة على باب غرفته وصوت أنثوي يخبره بأنه متبقي عشر دقائق على موعد الخروج على الهواء للحلقة الجديدة، نظر أدهم إلى المغلف نظرة أخيرة قبل أن يمسكه ويضعه في الجيب الداخلي لبذلته ويبدأ بقراءة محتوى الحلقة، كان شارد الذهن ولكنه كان يحاول جاهداً التركيز في الأوراق التي يحملها حتى لا يظهر ذلك الشرود عند إذاعة الحلقة، كان يحاول التركيز ونسيان أو على الأقل تناسي ذلك الغموض الذي يغلف كل شيء، ربما ليس الآن ولكنه قريباً سيفهم حقيقة ما يحدث وسببه، فقط ليس الآن.

كانت داليا مسترخية في المقعد الخلفي لسيارتها الفارهة السوداء بينما كان حارسها الشخصي وسائقها في نفس الوقت يسرع في طريقه إلى دار أيتام داليا، دار أطفال الشرقاوي كما أسمتها، كان جالساً بجوار حارسها مدير أعمالها السيد لوتان، ذلك الرجل الغربي الذي لا يعلم أحد من أين جاء ومن هو، كل ما يعرفه المحيطون بداليا أنه فقط مدير أعمالها وأكثر الأشخاص الذين تثق بهم في حياتها كلها، كانت السيارة منطلقة في طريقها نحو الدار الموجودة على طريق الإسماعيلية الصحراوي بينما داليا بنظارتها الشمسية السوداء تنظر

إلى الأفق ويبدو عليها التفكير، لا أحد يعلم فيم كانت تفكر، حتى لوتان نفسه ذلك الرجل البارد لا يعلم فيمَ كانت سيدته تفكر، فقط كان يعلم أن عليه الصمت حتى تبدأ السيدة بالتحدث إن رغبت في ذلك، بعد فترة من الصمت التام تحدثت داليا ببطء قائلة:

- هل أعلمت إدارة الدار أننا في طريقنا يا لوتان؟

أجابها الأخير بسرعة قائلاً:

- نعم أعلمتهم يا سيدتي حتى يقوموا بالتحضيرات اللازمة التي طلبتها، إنهم في انتظارك يا سيدتي كما أمرتي.

إبتسمت داليا دون صوت وقالت:

- وأنا أيضاً في انتظارهم يا لوتان، في انتظار صغاري.

لم تكد تنهي داليا جملتها حتى لاحت الدار في الأفق، لم يكن بإمكان أحد تخيل أن ذلك المكان هو دار للأيتام بتلك الأسوار العالية والتي تغطيها الأسلاك الشائكة وتلك المساحة الشاسعة من الأرض، بدأت تقترب السيارة من الدار وبدأت معالمها تظهر أكثر فأكثر، وبمجرد أن اقتربت السيارة من تلك البوابة المعدنية الكبيرة التي تخفي كل شيء وأي شيء بالداخل بدأت البوابة في أن تُفتح ليخفض الحارس من سرعة السيارة تدريجياً حتى وصل إلى البوابة

لتفتح داليا زجاج نافذتها وهي ترى الأطفال في انتظارها في صفين أحدهما للأولاد والآخر للفتيات، فتح مدير الدار الباب بسرعة لداليا التي نظرت أولاً للأطفال قبل أن تخلع نظارتها وتبدأ في النزول من السيارة ببطء ثم لحقها لوتان واقفاً خلفها بينما مدير الدار يقول لها:

- أهلاً بكِ يا سيدتي في الدار، سوف ترين بنفسك المستوى الذي وصل إليه أطفالك، أنا متأكد أنك سوف تسعدين بالمستوى الذي هم عليه الآن.

أجابته داليا ببطء وهي تقول:

- سوف نرى أيها المدير، سوف نرى.

بدأت داليا في المشي وسط صفين الأطفال عندما وقفت أمامها طفلة صغيرة لا يتجاوز عمرها السابعة من العمر وهى تحمل باقة من الزهور أعطتها لداليا وهى تنحني أمامها ولم ترفع رأسها إلا عندما رفعت داليا ذقن الصغيرة لتعتدل حينها، سألتها داليا قائلة:

- ما اسمك يا طفلتي؟

ردت عليها الطفلة بصوت منخفض:

- سارة.

obeikan.com

سألتها داليا مرة أخرى:

- هل تعلمين من أنا يا سارة؟

أجابتها الصغيرة:

- نعم، أنتِ سيدتي وأمي.

إعتدلت داليا في وقفتها وسألتها:

- وهل تعلمين لماذا أنا أمك؟

ردت الطفلة بحماس:

- لأنكِ الوحيدة التي تهتم بنا وترعانا لذا فأنتِ أمنا وعائلتنا كلها.

ابتسمت داليا ابتسامة لا تليق إلا بشيطان ثم قالت:

- نعم يا طفلتي، أنا فقط من اهتمت بك عندما رفضك الآخرين، رفضتك عائلتك وأهلك ولم يهتم بكِ أي شخص إلا أنا، أنا عائلتك وأنتِ عائلتي، لا تنسي ذلك قط يا طفلتي.

أومأت الصغيرة برأسها في صمت ورجعت إلى الصف لتكمل داليا سيرها وسط الأطفال الذين اصطفوا من أجلها بينما لوتان يقول لها بصوت منخفض وهو يسير خلفها:

obeikan.com

– هؤلاء هم الأطفال في المرحلة الإبتدائية، معظمهم تم تجميعهم منذ سنة أو اثنين من باقي دور الأيتام، ما زال أمامهم الكثير من الوقت لنلقنهم طريقتنا في التفكير ولكن تم اختيارهم بعناية، من سينجح فيهم سيتأهل للمرحلة التالية ومن سيفشل، حسناً، أنتِ تعلمين مصيره يا سيدتي، بدأنا تلك المرحلة بثلاثة عشر طفلاً ولكن الآن عددهم يفوق الخمسين طفلاً.

واصلت داليا سيرها حتى دخلت مبنى الدار نفسها، دخلت إلى قاعة فسيحة مليئة بالأطفال، كانوا جالسين على مقاعدهم وأمامهم مدرس يقوم بشرح أحد دروس التشريح، وبمجرد أن دخلت داليا صاح المدرس بصوت عالي: قيام، وفي نفس الوقت قام الطلبة وكأنهم في مدرسة عسكرية، ثم قال المدرس: إنحناء، حينها انحنى كل الطلبة في نفس اللحظة أمام داليا، ظل الطلبة منحنين أمام داليا وهي تسير وسطهم وكأنها ملكة متوجة تمر أمام حاشيتها ورعاياها، كانت تشعر بالقوة و السيطرة المطلقة على هؤلاء الصغار، صغارها كما تسميهم، همس لها لوتان في أذنها:

– هذه هي المرحلة الثانية من المشروع، يتم هنا فصل الأطفال الذين تعدوا سن العشر سنوات ونبدأ في إعطائهم المزيد من التدريبات والاختبارات ويتم تقييمهم باستمرار لمعرفة المجال المناسب لكل فرد منهم فيما بعد.

إقتربت داليا من أحد الأطفال الذي لم يتعدى الثالثة عشر وقالت له:

- هل تعلم من أنا؟

رد الصغير دون أن ينظر إلى داليا قائلاً:

- أنتِ سيدتنا وأمنا ومن قمتي برعايتنا.

سألته داليا:

- وماذا تنوي أن تفعل لقاء ما قدمته لك أمك؟

أجابها الصغير في سرعة:

- أي شيء تأمرني به أمي سوف أفعله بكل سرور وطاعة.

سألته داليا وهى ترفع رأسه لترى عينيه:

- ولماذا ستفعل ذلك يا طفلي العزيز؟

رد الصغير وهو ينظر لداليا قائلاً:

- لأنه لا يمكنني إلا أن أنفذ أوامر سيدتي وأمي، لا يمكن أن أرفض أي شيء تأمر به أمنا التي أنقذتنا مما كنا فيه من ضياع وفشل، أنتِ أمنا ولابد من طاعتك.

obeikan.com

إبتسمت داليا وهى تقول له ببطء:

- نعم يا عزيزي، أنا أمك ولابد من طاعتي وبقدر طاعتك لي سوف تكوني مكافأتي لك، سوف أجعلك في يوم من الأيام من أقوى الرجال في الدولة، فقط يجب أن تثق بأمك وبأوامرها لك.

أومأ الصغير برأسه إيجاباً ثم انطلقت داليا في طريقها لتغادر تلك القاعة وتبدأ تفقد أماكن أخرى داخل الدار بينما صوت مدير الدار يقول لها:

- كل شيء يسير كما أمرتي يا سيدتي، لقد تم تقسيم الأطفال إلى ثلاث مراحل ولا يتم السماح لأي مرحلة بالاختلاط بباقي المراحل أو حتى رؤية أحد في مرحلة أخرى، حتى قاعات الطعام والنوم ومناطق التسلية منفصلة، وذلك حتى نجعلهم متشوقين للانتهاء من مرحلتهم والانتقال إلى المرحلة التالية وقد تم وضع منهجهم الدراسي وتدريباتهم على يد متخصصين في كل المجالات سواء المجال الدراسي أو النفسي أو القتالي، كل شيء يسير حسب البرنامج الزمني المحدد بعناية.

قالت له داليا وهي تكمل تفقدها للمكان:

- يبدوا أن كل شيء على ما يرام فعلاً، إذا واجهتك أي مشاكل من أي نوع يمكنك الإتصال في أي وقت بالسيد لوتان وهو سوف

يساعدك، السيد لوتان له صلاحيات مطلقة لينفذ أي شيء تحتاجه في الدار، والآن دعوني أرى المرحلة الثالثة، هؤلاء هم أهم شيء لدى الآن.

أسرع مدير الدار الخطى ليفتح لداليا باب غرفة تبدو وكأنها مثل دار عرض سينما صغيرة، عدد المقاعد لا يتعدى العشرين مقعداً وفى الأمام واجهة زجاجية كبيرة تطل على قاعة مظلمة، جلست داليا وحدها في الصف الأمامي وقد أخرجت سيجارتها الذهبية الرفيعة ليسارع لوتان بإشعالها، نفثت دخان السيجارة في المكان قبل أن تشير للمدير لكي يبدأ العرض، سارع الأخير نحو لوحة للأزرار بجوار الواجهة الزجاجية وضغط بعض الأزرار بها لتبدأ المصابيح في إضاءة المكان بشكل تدريجي، ومع الإضاءة رأت داليا ذلك المنظر المهيب، صفوف من الطلبة يقترب عددهم من الستين فتى وفتاة واقفين وقفة عسكرية بينما يرتدون ملابس سوداء شبيهة بالتي يرتدونها في القوات الخاصة ولكن الفارق الوحيد كان أن تلك الملابس مليئة ببعض الرموز الغريبة التي كانت تغطي الملابس، حتى وجوه الطلبة كانت سوداء تماماً سبب ذلك الطلاء الأسود الذي يغطي كل وجوههم.

كانوا واقفين وكأنهم مجموعة من التماثيل الحجرية دون أن تبدر منهم أي حركة كأنهم مجموعة من الأشباح المرعبة التي تنتظر أمر

ما، وكان أمامهم رجل يرتدي نفس الملابس يراقبهم بينما هو يشبك ذراعيه خلف ظهره وينظر فقط إليهم دون أي كلمة أو حركة، كانوا جميعاً في انتظار الأمر من داليا التي أومأت برأسها للمدير الذي قال فقط كلمة واحدة، إبدأ، ليبدأ حينها ذلك العرض المهيب الذي استمر لنصف ساعة ولكنه كان يبدوا أنه أعجب وأرضى داليا بشدة، كانت داليا ترى الآن ثمار عدة سنوات من التخطيط الشيطاني المتقن والذي بدأ في أن يؤتي ثماره، كانت نتيجة العرض الذي شاهدته داليا بادياً على وجهها الذي أطلق تلك الضحكة الشيطانية التي لفت أرجاء الغرفة الموجودة بها والتي تعلن دون شك على قرب انتصار داليا وتحقيقها لحلمها التي لطالما حلمت به، ذلك الحلم الذي سوف يؤكد انتصار داليا المطلق و التام، انتصار سوف يدفع الكثيرون ثمنه غالياً، غالياً جداً.

كان أدهم جالساً في غرفة الجلوس في منزله وهو يطالع بعض القنوات الفضائية بلا اكتراث وأخذ يغير القنوات الإخبارية الواحدة تلو الأخرى عندما دخلت عليه نور المكان وقبلتّه في مرح وقالت له:

– أنا مضطرة للخروج الآن يا حبيبي، هل تحتاج شيء مني قبل ذهابي؟

أجابها مبتسماً:

- شكراً يا عزيزتي، هل ستتأخرين؟

ردت عليه قائلة وهي تجلس بجواره وتحتضنه:

- أخشى ذلك، سوف أذهب أولاً للتبضع مع نيرمين صديقتي ثم سنذهب إلى معرض لوحات يخص صديقة لنيرمين وقد نتناول العشاء فيما بعد، أنت تعلم أنني لم أرها منذ عدة أشهر عندما سافرت مع زوجها للولايات المتحدة، وهي الآن في زيارة قصيرة لمصر وسترجع مرة أخرى نهاية الأسبوع لزوجها، وأنت هل ستخرج الليلة أم لا؟

قال لها أدهم وهو يغير القناة التليفزيونية:

- لا أعلم بعد ولكني أظن أنني سأمكث في البيت الليلة.

طبعت نور قبلة أخرى على جبين أدهم وهي تنهض استعداداً للانصراف وقالت له:

- حسناً، إلى اللقاء الآن، إذا غيرت رأيك وقررت الخروج فاتصل بي حتى أطمئن عليك.

أومأ أدهم برأسه بمعنى أنه سيفعل ذلك، وقفت نور أمام المرآة الكبيرة الموجودة بمدخل المنزل لتعدل من ثيابها قبل أن تهم بالانصراف ليبقى أدهم وحيداً في البيت أمام التلفاز، ظل على هذا الوضع لمدة نصف ساعة تقريباً قبل أن يرن جرس باب المنزل، نهض أدهم بخطوات متثاقلة باتجاه الباب وفتحه ليجد عامل المغسلة التي يتعاملون معها والذي قال له:

- مساء الخير يا أستاذ أدهم، حلقة أمس كانت رائعة يا أستاذ، الكل فى البيت لا يصدق أنني أراك كل يوم وأتحدث معك، ها هى الثياب يا أستاذ، هل يوجد شيء اليوم تريدني أن آخذه؟

إبتسم أدهم في رفق وهو يتناول منه البدلات قائلاً:

- شكراً يا مصطفى، انتظر قليلاً حتى أحضر لك الثياب.

دخل أدهم إلى غرفته بينما كان مصطفى ينتظر على الباب، وضع الثياب التي كان يحملها على الفراش بعناية واتجه نحو الدولاب ليرى أي من بدلاته تحتاج للتنظيف، أخرج بدلتين واتجه نحو الباب ليعطيهما لمصطفى الذي قابله بابتسامة وأخذ منه البدلتين وأخذ يفتش في جيوبهما أمام أدهم الذي تعجب من ذلك ولكن مصطفى قال له موضحاً:

– في بعض الأحيان ينسي الزبائن أشياء تخصهم في الملابس مثل نقود أو محفظة أو أوراق.

وبينما كان مصطفى يقول ذلك لأدهم أخرج مصطفى ذلك المغلف الأسود من الجيب الداخلي لأحد البدلات وقال لأدهم وهو يمد يده لأدهم بالمغلف وعلى وجهه نظرة انتصار:

– هل رأيت؟ لقد نسيت ذلك المظروف يا أستاذ.

رمق أدهم المظروف وتذكره، بالفعل لقد وضعه داخل البدلة ونسى ذلك، ابتسم لمصطفى وشكره وقام بإغلاق الباب بعد انصراف العامل، جلس على الأريكة وهو يفكر في المغلف، ميعاد الحفلة الليلة وهو في كل الأحوال متفرغ، أخذ ينظر إلى الدعوة السوداء وهي أمامه على المائدة الزجاجية ويفكر في الذهاب من عدمه، لا يوجد لديه شيء آخر ليفعله وهو يشعر بالفعل بالفضول لمعرفة المزيد عن تلك المرأة الغريبة صاحبة الدعوة، وربما أكثر ما يثير فضوله هو كلمات أشرف له في الحفل الأول وارتباكه وربما خوفه من داليا، أشرف صديقه وزميله منذ فترة طويلة وكان دائماً يتعامل معه بكل ود وحب ولكن منذ أن حضر أدهم الحفل السابق لداليا وهو يتعامل معه بفتور إلى حد كبير دون أن يدري ما سر تغير أشرف معه، لذا لم يأخذ الكثير من الوقت ليقرر الذهاب للحفل، ربما استطاع الوصول إلى

إجابات تساعده على فهم ما يحدث من حوله وبالفعل اتجه لتغيير ملابسه وانطلق في سيارته لمكان قصر داليا بالمريوطية، كان طوال الطريق يفكر هل ما يفعله هو الصواب، لماذا هو مهتم لهذه الدرجة أن يعرف وأن يفهم، المشكلة أنه لا يفهم، لا يعرف لماذا هذا الاهتمام بتلك المرأة الغامضة، ربما هذا الغموض الذي يحيط بها هو ما يجذبه تجاهها، هو يعلم داخله أنه منجذب لها ولكنه ليس حب أو حتى إعجاب، هو مجرد فضول ظمآن يريد أن يرتوي بداخله ليس أكثر، ظل رأسه يدور به الكثير من الأسئلة التي لا يعلم أي إجابة لها حتى وصل إلي قصر داليا، لم يكن صاخباً كحاله في الحفلة السابقة، كان كل شيء يبدو هادئاً من الخارج حتى أنه شك في أنه جاء مبكراً عن موعد الحفل رغم أن الساعة كانت تشير للعاشرة مساءاً، وقف أمام بوابة القصر بسيارته في انتظار أي شخص وماهي إلا لحظات وكانت بوابة القصر تُفتح ببطء ليطل من خلفها حارس مفتول العضلات يكاد طوله يتجاوز المترين، كاد أدهم أن يتكلم و يقول للحارس أنه مدعو لحفلة الليلة ولكن الكلمات لم تخرج من فمه لأن الحارس تحدث قليلاً في الميكروفون المثبت بقميصه ثم أشار لأدهم بالدخول لمكان انتظار السيارات، بدأ أدهم الدخول الي محيط القصر للمكان المخصص للسيارات ،استغرق عدة دقائق قبل الوصول لذلك المرآب وفي خلالها نظر حوله فلم يجد العديد من السيارات كما في الحفلة السابقة،

يبدوا أنها حفلة تقتصر على عدد قليل من المدعوين كما يبدو، ترجل من السيارة ونظر إلى القصر الذي سيدخله لأول مرة، لم يكن يعلم أن ثمة عيون تراقبه وتراقب حركاته من الطابق الثاني للقصر، كانت عيون داليا مثبتة عليه بينما خلفها كان لوتان واقفاً ينظر لأدهم بضيق وهو يقول لداليا:

– ما زلت مصر على أنكِ تسرعتِ في اختياره، أدهم ليس من النوع السهل إغواؤه أو إغراؤه كما تتصورين.

أجابته داليا دون أن تنظر إليه:

– خبرتي في الحياة يا لوتان علمتني أن لكل شخص سعره، البعض سعره مادياً يقاس بالمال والبعض الآخر يمكن أن تشتريه بالطمع وهناك من يمكن شرائه بالخوف على ما يملكه، الخوف يا عزيزي يمكن أن يصبح أقرب أصدقائك إذا أحسنت استغلاله لصالحك، أعلم أن أدهم ليس ممن يشترون بالمال ولكنه يملك ما يخشى فقدانه وهذا هو أفضل نوع أحب التعامل معه، يجب أن تجعل هؤلاء الثلاثة أصدقائك لأنهم سينفعوك كثيراً في وقت الحاجة لهم، المال والطمع والخوف، هذه هى أسلحتي يا لوتان ضد أي شخص وصدقني أدهم ليس استثناء لتلك القاعدة.

صمت لوتان ولم يعلق على جملة داليا التي ظلت في مكانها تراقب أدهم وهو يخطو أولى خطواته في قصرها، نظر الأخير إلى القصر من الخارج وهو يخطو فوق ذلك السلم الرخامي الأسود العريض الذي بسطت عليه تلك السجادة الحمراء الطويلة المميزة للقاءات المهمة والمهرجانات، كان منظر القصر من الخارج مهيباً بواجهته الرخامية السوداء خاصة في هذه الفترة من الليل، كان واقفاً كأنه وحش أسود عملاق نائم يمكن أن يستيقظ في أي لحظة، خاصة مع تلك النوافذ الطويلة المضاءة كأنها ألف عين تنظر لذلك القادم الذي أزعجها من سباتها، وقف أدهم أمام الباب العملاق ليجد ذلك الكهل العجوز يفتح له الباب في صمت ويشير له بالدخول مع انحناءة بسيطة احتراماً للقادم الجديد، كان الكهل يرتدي ملابس زرقاء وفوقها ذلك الحزام العريض المميز لخدم قصور أثرياء عصر الملوك، وكأن داليا مصممة على إظهار نفسها بمظهر سيدات المجتمع الراقي، دخل أدهم ليرى البهو الرئيسي للقصر الذي يبدو أن الحفلة مقامة فيه، كان عدد الحضور لا يتجاوز الثلاثين فرداً كحد أقصى، لم يكن العدد ضخم مثل الحفلة السابقة التي حضرها مع زوجته، ولكنه أخذ بعض الوقت في استيعاب ما يرى أمامه الآن، أمامه مباشرة سلم عريض للغاية يقود للطابق الثاني وقد تم وضع تمثالين ضخمين لكائنات أشبه بالأسود ولكنها تثير الرعب أكثر من الهيبة، وعلى الحوائط في

البهو تناثرت اللوحات الزيتية الباهظة من مختلف المدارس الفنية والتي يبدوا عليها أنها تم تجميعها من مختلف أنحاء العالم، كان البهو ضخماً وواسعاً وكأنه بهو لأحد الفنادق الكبرى وليس بهو منزل، وعلى جوانب البهو تم وضع عدة تماثيل كبيرة للعديد من الحيوانات التي لا يعلم ما هي، حيوانات تصرخ وحيوانات تشعر وكأنها حية من دقة تفاصيلها وحيوانات تشعر وكأنها على استعداد للانقضاض عليك في أي لحظة، ولكن ما لفت انتباهه أن كل تفاصيل البهو من تماثيل ورخام وحتى الحوائط كانت ألوانها داكنة خاصة اللون الأسود، يبدوا أن داليا تعشق بحق هذا اللون، حتى التحف المتناثرة هنا وهناك من زهريات وموائد صغيرة كانت بنفس اللون، أخذ أدهم يجول بنظره بين الموجودين فوجد أن معظمهم كانوا متواجدين في الحفلة السابقة، وكيف لا يعرفهم وهم نجوم المجتمع الراقي من رجال أعمال وفنانين وسياسيين، وجد أحدهم يشير إليه بيده ليعلمه بوجوده بين الحاضرين، لم يكن سوى السيد محمد كامل صاحب القناة التي يعمل بها أدهم وكان معه بعض الحضور، تعرف أدهم على بعضهم والبعض الآخر كان يراهم لأول مرة، توجه بالفعل الي تلك المجموعة ليقف معهم، صافح أدهم الواقفين وقام السيد محمد بمهمة تعريفه على من لا يعرفهم أدهم ثم قال محمد لأدهم وهو يبتسم:

– إنها أول مرة أراك تأتي لحفلة دون أن تكون معك زوجتك، أرجو ألا تكون قد كذبت عليها لتحضر هنا.

قال جملته تلك وأخذ يقهقه بطريقته المعتادة فابتسم أدهم قليلاً وقال له:

– لا بالطبع، هي فقط كانت منشغلة اليوم بعدة أمور أخرى لذا قررت المجيء بمفردي هذه المرة يا سيد محمد، ولكن ما سبب قلة عدد الحضور، الحفلة السابقة كانت تعج بالضيوف أما اليوم فلا أرى نفس العدد.

رد عليه صاحب القناة قائلاً بصوت خفيض أشبه للهمس وهو يحدق في عيني أدهم:

– لأن هذه ليست حفلة عادية، الحفلة السابقة التي حضرتها كانت لجميع من تعرفهم السيدة داليا، أما هذه الحفلة فمقتصرة فقط على أقرب الضيوف لها، يا لك من وغد محظوظ، السيدة لم تَرَك إلا مرة واحدة فقط وها هي تدعوك لحفلة خاصة، لا أدري ماذا فعلت أو قلت لها المرة السابقة ولكنها لا تفعل ذلك أبداً ولم تدعوا أحد من قبل لحفلة من حفلاتها الخاصة بهذه السرعة، ألم أقل لك أنك محظوظ.

تمتم أدهم بلهجة لا تخلو من السخرية:

- نعم ربما أنا محظوظ يا سيدي.

كانت الموسيقى الكلاسيكية تنبعث من عدد من السماعات المتناثرة بانتظام في بهو القصر، وفى المنتصف كان عدد من الحضور يرقصون ويتهامسون وسط ضحكاتهم بينما باقي الحضور كانوا متجمعين في حلقات متفرقة في المكان، استأذن أدهم ممن كان بصحبتهم واتجه نحو الساقي الذي يقف في أحد الأركان شابكاً يديه خلف ظهره وأمامه مائدة تضج بزجاجات الخمور والعصائر، طلب أدهم أي نوع عصير طازج لديه وبينما كان الساقي يقوم بتجهيز طلب أدهم أخذ الأخير ينظر للحضور وهو يتساءل عن عدم مشاركة داليا لضيوفها حتى الآن، كان يبدو أن الحفل قد بدأ منذ فترة دون داليا ولكنه ما لبث أن علم إجابة سؤاله عندما توقفت الموسيقى فجأة ليحل محلها موسيقى أسطورية وكأنها قادمة من عالم آخر، عالم مليء بالأميرات و الملكات و النبلاء ،انطفأت أضواء القصر عدا ضوء واحد قوي كان موجه نحو سلالم البهو، حتى الأحاديث الجانبية التي كان يجريها الحضور توقفت فجأة والكل ينظر نحو المنطقة التي سلطت عليها الأضواء والتي كانت هي في وسطها كالأميرات أو ربما كالملكات، داليا بفستان من الحرير الأحمر الدموي مليء بقطع مختلفة من الأحجار

الكريمة خاصة الماس، هذا بخلاف المجوهرات الكثيرة التي تغمر جسد داليا وكأنها مصممة على إظهار مدى ثرائها للحضور، كانت أول مرة لأدهم أن يرى مثل هذا البذخ رغم حياته في عالم الأثرياء منذ فترة وحضوره لحفلاتهم و تجمعاتهم، انطلقت بعض شهقات الإعجاب من بعض سيدات الحفل دون أن ينبس الباقي بأي حرف أو كلمة، بدأت داليا بتفقد الحضور والنظر لهم من مكانها العالي ثم بدأت في النزول ببطء على السلالم، وكانت في كل مرة تنزل درجة من درجات السلم ينطلق صوت دقة عالية من السماعات الموجودة في المكان وكأن المكان نفسه يحيى مجيء داليا، وكأن الزمن نفسه توقف لدى رؤيته للسيدة، كل درجة سلم تنزلها ينطلق صوت دقة عالية مثل الدقات التي تسبق بدء المسرحية، كانت داليا تريد أن تسترعى وتشد انتباه وأنظار الجميع دون استثناء، وقد نجحت في ذلك بكل تأكيد، حتى أدهم نفسه لم يستطع إلا أن يكون جزء من ذلك المشهد المهيب الذي لم يعتده طوال حياته، نزلت داليا حتى نهاية السلالم بنفس البطء الذي بدأت به ثم قالت وهى تتمعن وجوه الجميع:

– أرى أن الجميع قد لبى دعوتي وحضر للحفل، اعتبروا منزلي هو منزلكم اليوم، كل ما تريدونه ستجدونه في قصري، كل ما تريدونه يا أعزائي، فليبدأ الحفل.

وبمجرد أن أنهت كلماتها رجعت الإضاءة كما كانت وبدأت الموسيقى مرة أخرى بعد توقفها والتف الكثير من المدعوين حول داليا يتبادلون معها أطراف الحديث، لكن داليا كانت تتحدث معهم وعينيها مثبتة على أدهم الذي ظل في مكانه البعيد في البهو يرتشف العصير في هدوء وكأنه لا يبالي بداليا، لذا بعد عدة دقائق من الحديث مع المدعوين توجهت داليا بخطوات واثقة نحو أدهم وجلست بجانبه وهي تطلب من الساقي كأس من النبيذ الأحمر وقالت لأدهم:

أرى أنك جئت، لكم أنا مسرورة بذلك يا عزيزي، ولكن أليس من اللياقة أن تأتي لتحية مضيفتك بدلاً من أن تجعلها هي تأتي إليك؟

إبتسم أدهم وهو يقول:

لا أحب أن أكون مثل الباقين يا مدام داليا، لقد فكرت في الانتظار حتى تنقشع غيمة المعجبين ثم حينها يمكنني أن آتي إليكِ، كما أنه من الصعب ألا آتي خاصة مع دعوتك الغامضة التي كانت تقفز لي في كل مكان.

ضحكت داليا ضحكة عالية لفتت أنظار البعض قبل أن تقول:

غيمة المعجبين، لم يقلها لي أحد من قبل، أما بالنسبة للدعوة فهي فقط كانت مجرد وسيلة لكي أسترعى انتباهك، وصدقني أنا

أملك الكثير من الوسائل لكي أسترعى انتباهك جيداً، عموماً ها قد جئت أنا إليك بنفسي بدلاً من أن أجعلك تنتظر، لقد شككت لوهلة في أنك ستأتي للحفل ولكني سرعان ما طردت تلك الفكرة من رأسي، كنت أعلم أنك ستأتي الليلة وستأتي وحدك.

رد عليها أدهم قائلاً:

- لكي أصدقك القول فإن الفضول هو ما أتى بي هنا وليس لأي سبب آخر، أنا لست من الرجال الذين يفقدون صوابهم عند مرور امرأة جميلة في المكان، فقط هو الفضول ما جعلني آتي.

مالت عليه داليا وهي تنظر له بخبث وقالت:

- فضول أم لا، المهم أنك جئت ولم يخب ظني، المهم أنك هنا الآن.

تجاهل أدهم جملة داليا الأخيرة وسألها مباشرة:

- لماذا أنتِ مهتمة بي لهذه الدرجة يا مدام داليا، أنا أعتذر لوقاحتي ولكنك أنتِ امرأة جميلة وثرية ومعظم من بالحفل يتمنى أن تجلسي معه كما تجلسي معي الآن ولكنك ها أنتِ تاركة ضيوفك وجالسة معي أنا رغم أننا نتقابل للمرة الثانية فقط.

إبتسمت داليا بدلال وقالت له:

– أولاً: لا تعتذر لأنك لست وقحاً كما تدعي، أنت إنسان صريح وأنا أعشق تلك الصفة في الرجال، إذا رأيت ما رأيته أنا لقدّرت تلك الصفة كما أقدرها، كل ما أراه حولي في الضيوف الذي تتحدث عنهم هم مجموعة من المنافقين والطامعين لشيء ما لدي، ولكنك مختلف عنهم وأنا أعلم ذلك، ثانياً : لِمَ تشكك في نواياي تجاهك، ربما أنا معجبة بك.

هز أدهم رأسه نافياً ذلك وهو يقول:

– تريننني مرة واحدة وتعجبين بي؟ لا أظن ذلك، هناك شيء آخر تخفيه عني، ربما لا أعلمه حتى الآن ولكن الموضوع لا يخص الإعجاب من قريب أو من بعيد، في المرة السابقة تعمدتِ إثارة غيرة زوجتي دون سبب أو مبرر، أعتقد أنكِ فعلتي ذلك حتى تضمني أنها لن تأتي هنا مرة أخرى معي، أنتِ تريدينني هنا وحدي لسبب ما، حتى أنني بدأت في الشك أن الحادثة الصغيرة التي تخص اصطدامك بسيارة نور لم تكن مصادفة، لذا فأنا مضطر لإعادة سؤالي الوقح مرة أخرى، لماذا أنتِ مهتمة بي لهذه الدرجة؟

صمتت داليا قليلاً وهي تنظر لأدهم قبل أن تقول ببطء:

– قبل أن أجيبك أريد أن أسألك عن رأيك بي حتى الآن، ما الفكرة التي كونتها عني حتى الآن؟ أعلم أنك لم ترني سوى مرتين فقط ولكن بالتأكيد قد كونت فكرة ما عني، ترى ما هى؟

رد عليها أدهم قائلاً:

– صدقيني لن تعجبك الفكرة التي كونتها حتى الآن، دعيها لوقت آخر فربما كانت خاطئة.

اقتربت داليا من أدهم وهى تقول:

– وأنا مصرة على معرفتها الآن، ما هي إذن؟

صمت أدهم للحظات ووضع من يده كأس العصير لينظر إلى داليا مباشرة ويقول:

– حسناً، لكن تذكري أنكِ من أردتِ ذلك، أنتِ لم تكوني ثرية طوال عمرك، أعتقد أنكِ من عائلة متواضعة ولكنك اجتهدتِ لتحصلي على شهادتك الجامعية، كان أمامك العديد من العقبات في منزلك ولكني أظن أنكِ تغلبتِ عليها بطريقة أو بأخرى، عملتي لفترة لدي زوجك الراحل الثرى والذي أعجب بك أو يمكنني القول سقط في براثن جمالك وتزوجك وكتب لكِ كل ثروته قبل أن يتوفى، أنتِ شخصية

obeikan.com

تحب الظهور وإبهار الجميع، يبدو ذلك جلياً من بذخك المبالغ فيه والواضح في حفلاتك وملابسك وجواهرك التي تحرصي على ارتداء الكثير منها طوال الوقت وربما دون سبب واضح سوى أنكِ تريدين أن تثبتي للآخرين و ربما لنفسك قبلهم أنكِ أصبحتِ الآن غير ما بدأتِ من قبل، هل أنا مخطئ فيما قلته حتى الآن؟

طال صمت داليا لعدة دقائق كانت خلالها تنظر فقط لأدهم دون أي كلمة واحدة، حتى أن أدهم نفسه سألها بعد فترة:

– لِمَ كل هذا الصمت يا مدام داليا؟ لماذا لا تتحدثين؟ يبدو أن كلامي كان مصيباً لدرجة الوقاحة، لقد قلت لكِ أنه لا داعي لذكر رأيي ولكنك أصررتِ.

ظلت داليا صامتة ولكنها قالت بعد فترة وهى تنظر لكأسها الفارغ:

– يبدو أنني قللت من تقديري لذكائك كثيراً يا سيد أدهم، رغم أن ما قلته يحمل بعض الإهانة الرقيقة ولكنه كان أيضاً يحمل الكثير من الحقيقة والتي لا أخجل منها، لقد كنت بالفعل أعمل لدي زوجي الراحل قبل أن يتوفى ولكن ما وصلت إليه لم يكن بفضل زوجي أو أمواله فقط، لو كان الأمر كذلك لكنت خسرت كل شيء بعد فترة وجيزة، ولكني استطعت الوقوف في وجه كل من سوّلت له نفسه أن

يستخف بي أو بقدراتي، كان يمكن أن أنهار بعد وفاة زوجي ولكني لست تلك المرأة الضعيفة التي يمكن كسرها بسهولة عند أول مشكلة أو امتحان صعب.

ثم نظرت لأدهم في عينيه قائلة:

- أنا أحتاج لشخص مثلك بجانبي يا أدهم، أنت ذكي ولا تخجل من مواجهتي، ربما لجهلك بي أو ربما لقوة شخصيتك ولكني أعلم أني كنت محقة في اختيارك يا عزيزي، معي يمكنك تحقيق كل أحلامك، أي حلم راود خيالك في يوم من الأيام يمكن تحقيقه، مهما كان صعباً بالنسبة إليك، ربما حتى كان مستحيلاً لك، ولكن صدقني أنه ليس مستحيلاً لي.

كان أدهم يشعر بأن داليا على وشك الإفصاح عن الكثير من الأمور الغامضة في هذه اللحظة، ولكنه لم يكن متعجلاً لإرواء فضوله، لذا فقد سألها بتهكم:

- تحتاجينني بجانبك، ولكني بالفعل لدي وظيفة أعشقها واجتهدت كثيراً للوصول إلى ما وصلت إليه الآن، أنتِ تحتاجين خدم حولك وأنا لست خادماً، ثم ماذا تعنين بقولك كنتِ محقة في اختيارك لي؟

كانت على وشك التحدث ولكن جاء لوتان من خلفها وهمس ببعض الكلمات في أذنها بصوت منخفض لتومئ داليا برأسها وينصرف بعدها لوتان الذي ابتسم في وجه أدهم و لكنها كانت ابتسامة باردة غير مرحبة به، نهضت داليا من مقعدها لينهض أدهم بدوره وقالت له بينما تنظر للوتان نظرة نارية بينما هو يبتعد قليلاً عنهما:

– هناك أمر عاجل مضطرة للذهاب بسببه الآن، أمر عجز عن تأديته مدير أعمالي ولكن لا تذهب لأي مكان، حديثنا لم ينتهي بعد يا عزيزي، إمرح قليلاً حتى آتي إليك مرة أخرى.

أخذ أدهم يراقب داليا وهى تنصرف بينما مدير أعمالها يسير خلفها في احترام وربما خوف واضح، بينما كانت داليا نفسها توبخ لوتان وتقول له:

– هل أنا مضطرة لفعل كل شيء بنفسي، لماذا لا أستطيع أن أجد من أعتمد عليه هذه الأيام؟

رد عليها لوتان وهو يحاول التفسير:

– لقد كان كل شيء على ما يرام يا سيدتي ولكنها بدأت في البكاء والصراخ بمجرد أن أخبرناها بما سوف تفعله، وظننت أنكِ الوحيدة القادرة على إرجاعها لصوابها.

لم ترد عليه داليا وهى تسرع الخطي نحو إحدى غرف القصر بالطابق الثاني، دخلت الغرفة واتجهت نحو الدولاب الخشبي الكبير الموجود بالغرفة، أزاحت الملابس جانباً وضغطت زر ما مخفي بعناية ليظهر أمامها مدخل خفي لجزء آخر من القصر لا يعلم به إلا أقرب أتباع داليا لها، سارت داليا في ذلك الممر الأسود المضاء بعناية بواسطة العشرات من المصابيح الصغيرة المنتشرة على جانبيه لتدخل بعدها إحدى الغرف في الممر وتجد تلك الفتاة النحيلة الذي لا يتعدى عمرها الرابعة عشر على أقصى تقدير، كانت جالسة على مقدمة الفراش بينما دموعها تنهمر في صمت، وبمجرد أن رأت الفتاة داليا أمامها حتى ارتمت في حضنها وأخذت في البكاء بصوت عالي وهي تقول لها:

- سامحيني يا أمي، لا أستطيع فعل ذلك، فقط لا أستطيع، سوف أفعل أي شيء آخر تريدينه مني ولكن ليس ذلك من فضلك، أخرجيني من هنا أتوسل إليكِ.

داعبت داليا شعر الفتاة بيدها الباردة وهى تحاول تهدئتها ثم قالت لها:

- ليس هذا ما كنت أتوقعه منكِ يا عزيزتي، أنتِ تعلمين أنني قمت برعايتك وإنقاذك مما كنتي فيه قبل أن أقابلك، هل تذكرين يا سامية؟ هل تذكرين عندما هربتِ من زوجة أبيكِ للشارع ،كنتِ

تقتاتين من القمامة وتدخلين معارك مع الكلاب الضالّة من أجل بعض عظام الدجاج، لقد رأيتك من سيارتي وقمت بعدها برعايتك والاعتناء بكِ في داري، وها أنت الآن أصبحتِ فتاة جميلة وذكية وعلى وشك بدء حياة جديدة مليئة بكل ما حلمتي به يوماً، كل ذلك بفضلي يا عزيزتي، والآن تقولين لأمك التي فعلت كل ذلك من أجلك لا؟ تقولين لمن رحمتك من عذاب الشارع لا؟ عندما جئت بكِ لدار أيتامي كنت على شفا الموت، أطعمتك وألبستك أحسن الملابس ورجعتي مرة أخرى للمدرسة وتفوقتِ بها بفضلي، لا أريد أن أسمع منكِ كلمة لامرة أخرى، أنتِ تعلمين أنني أفعل ما هو في صالحك وكذلك تعلمين ما يمكنني أن يفعله بكِ الشارع اذا قمت بإرجاعك له مرة أخرى، هل تريدين ذلك؟ هل تريدين الرجوع للشارع مرة أخرى للعراك مع الحيوانات الضالّة على قطعة متسخة من العظام؟

أومأت الصغيرة رأسها نفياً وهى تقول:

- لا يا أمي من فضلك، لا أريد الرجوع مرة أخرى إلى الشارع، أنتِ لا تعلمين كم هو قاس علينا يا سيدتي.

ردت عليها داليا بينما عينيها تلتمعان بنظرة انتصار:

- حسناً يمكنك البقاء معنا ولكن لابد أن تفعلي ما أطلبه منكِ بالضبط، لا أريد سماع كلمة لا مرة أخرى، أنتِ تعلمين كم أكره تلك الكلمة عندما تقال في وجهي لي.

لم ترد الصغيرة التي أفلتت يديها الصغيرتين من حول داليا التي اتجهت إلى الفراش وقامت بجلب قميص نوم قصير كان موضوعاً على الفراش ودفعت به ناحية ساميه وهى تقول لها:

– هيا، امسحي دموعك وقومي بالاستحمام وارتدي ذلك، لاتنسي أنكِ تفعلين ذلك من أجل والدتك التي تحبك، هيا يا صغيرتي فهو في الانتظار ومتطلع لمقابلتك.

أمسكت الصغيرة بقميص النوم الفاضح ونظرت له نظرة منكسرة قبل أن تمشي بخطوات بطيئة إلى الحمام الملحق بالغرفة، خرجت داليا من الغرفة ونظرت إلى لوتان الذي كان بانتظارها وقالت له:

– لم يولد بعد من يقول كلمة لا أمامي.

إبتسم لوتان ابتسامة شيطانية وهو يرد عليها:

– أعلم ذلك يا سيدتي، أعلم ذلك جيداً.

لم ترد عليه داليا واتجهت إلى الغرفة المقابلة وفتحتها لتجد عاصم بيك كما يسمونه يجلس على أريكة ويدخن سيجاره العملاق كجسده وتبتسم في وجهه وتقول:

– كل شيء على ما يرام يا عاصم، إنها تتجهز لك الآن بينما نحن نتحدث، تماماً كما طلبتها، صغيرة ونحيلة وعذراء.

ضحك عاصم بيك ومع ضحكته ترجرج كرشه العملاق ثم قال:

- تماماً كما أحب يا سيدتي، شكراً لكِ.

وقام من مكانه ليقبل يد داليا التي نظرت إليه وابتسامة خفيفة على شفتيها ثم قالت له وهى تغادر الغرفة:

- أريد غداً على مكتبي أوراق اعتماد الصفقة التي تحدثنا عنها، غداً يا عاصم، لا أحب الإنتظار.

رد عليها عاصم بيك قائلاً بابتسامة مرتبكة:

- بالطبع يا سيدتي، بالطبع.

وما أن أنهى كلماته حتى فُتح باب الغرفة لتدخل سامية ببطء وهى ترتدي قميص النوم الأسود ووجهها البريء ينظر للأرض دون أن تنبس بحرف واحد بينما نظرات عاصم اللزجة والقذرة تغمر جسدها الطاهر الضئيل ودون أن يشعر عاصم وجد نفسه يردد مرة أخرى:

- تماماً كما أحب.

خرجت داليا من الغرفة وأحكمت غلق الباب على القذارة والطهارة المجتمعتين في مكان واحد بسببها، بسبب تلك الشيطانة

obeikan.com

التي أكملت سيرها لتعود للحفل وهى تبتسم ابتسامة انتصار شيطانية علت وجهها الجميل البارد، ابتسامة تعلن نصر آخر للشيطان على حساب البشر.

●●●

خرجت داليا من الغرفة التي دخلتها بالطابق الثاني ليغلق لوتان بعد خروجهما باب الغرفة ويسير خلف سيدته التي ظلت تمشي ببطء حتى وصلت إلى السلالم المؤدية للطابق السفلي ووقفت تنظر، كانت ترى المدعوين من مكانها بالأعلى وتنظر لهم بنظرة تملؤها القوة والسيطرة، كل المدعوين في تلك الحفلة تحت رهن إشارة من إصبعها الصغير، يمكنها أن تأمرهم بأي شيء وسوف يقومون بتنفيذه مهما كان، يمكنها أن تأمرهم بالسرقة أو الخيانة أو حتى القتل وتعلم أنهم سينفذون أوامرها دون تردد، هى تتحكم بهم جميعاً دون أن يكون لهم القدرة على الإفلات من براثنها، لقد أخذت الكثير من الوقت والتدبير والمجهود لتصل إلى ما وصلت إليه الآن ولكنه كان يستحق بكل تأكيد، لا يوجد من المدعوين أي شخص لا تعرف أسراره وأخطائه وهفواته ورغباته، بل أن معظم تلك الأخطاء والآثام تم فعلها إرضاء لها، إنهم مجرد مجموعة من الحمقى رغم كل أموالهم و ثرائهم، جاؤوا إليها عند موت زوجها لطلب ودها وطمعاً في أموالها أو

جمالها وجسدها ولكنها كانت أذكى من الجميع، ظنوا أنهم يستطيعون استغلالها ولكنهم كانوا أغبياء، لا يوجد من يستغل داليا الشرقاوي وينجو بفعلته، هي من استغلت طمعهم وشهوتهم لتسيطر عليهم حتى أصبحت تسيطر على الكثيرين منهم، في البدء كانت تطلب منهم أن يفعلوا لها خدمة صغيرة وتقدم خدمة كبيرة مقابلها، ظنوا أنها حمقاء وأنهم يستطيعون استغلالها كيفما شاؤوا، ولكنهم كانوا هم الحمقى، في البدء طلبت خدمة صغيرة، ثم خدمة أكبر وأكبر، حتى سقط الجميع في بحر رمالها المتحركة وهو يظن أنها هي من سقطت في حبائله، في النهاية تبين للجميع أن داليا كان في يدها كل أوراق اللعبة منذ البداية، هي من كانت تتحكم بهم من البداية وهي من تلاعبت بهم، ثم حانت منها التفاتة إلى أدهم الذي كان واقفاً يتحدث مع مجموعة من المدعوين، كانت تفكر ملياً في الخطوة التالية لها معه، كانت تشعر أن أدهم مختلف عن الباقين الموجودين بالأسفل، لذا فقد كانت مشاعرها مختلطة بشأنه، لقد حاولت معرفة أسراره بكل الطرق، بترهيب من حوله، بالمال، بكل الوسائل، ولكن دائماً كانت النتيجة واحدة، هذا الرجل بلا أسرار، وهذا أكثر نوع من البشر يجب أن تخشاه، النوع الذي لا يملك ما يخفيه عمن حوله، زوج ملتزم محب لزوجته، لم يخنها يوماً ما، توفي والداه منذ فترة وليس له أقارب معروفين ولا أخوة، فقط عمله وزوجته هما كل حياته، لم

تكن تعلم داليا لِمَ كل هذا الإصرار من جانبها على أدهم لتنفيذ مخططها، يمكنها الحصول على من تشاء ممن يمكن شراؤهم بالمال ليفعل ما سوف يفعله أدهم، ربما لم تكن بحاجة لخادم آخر كما قالت لأدهم سابقاً، ربما هي فعلاً تحتاج لشريك أو رفيق لها في رحلتها نحو السيطرة الكاملة على كل شيء وعلى كل شخص، أو ربما هو الاعجاب، نعم، رغم أنها تخشى الاعتراف بذلك ولكنها لأول مرة في حياتها تعجب بشخص، دائماً مَن حولها يطمع في شيء منها، دائماً هي محاطة بالمنافقين والطامعين والشهوانيين وأصحاب المصالح، ولكن ليس أدهم، هو الوحيد الذي يشعرها بأنها لا تملك ما يجعلها تتحكم به كالباقين، هو الوحيد الذي يشعرها بأنها هي من تحتاجه وليس العكس، كانت بحاجة لشخص بلا أسرار ولا أطماع مثل أدهم ليكون بجانبها طوال الوقت، ربما هو متزوج الآن ولكن هذا وضع يمكن تغييره بسهولة تامة خاصة لو كان الأمر متعلق بشيء تريده داليا الشرقاوي، ليس صعباً على الإطلاق بالنسبة لها تدبير حادث بسيط لزوجته يجعلها تخرج من الصورة إلى الأبد لتدخل حينها داليا في حياته لتواسيه وتساعده على المضي قدماً بحياته التي دمرتها هى نفسها، حينها ستمتلكه داليا كما تشاء وقتما تشاء، كانت داليا تفكر في أن أدهم لم يرها إلا مرتين فقط حتى الآن ولكنه لا يعلم أنها رأته وراقبته عن كثب من قبل، راقبته حتى علمت كل ما يفعله

في يومه وكل شخص يتحدث معه ويمزح معه، علمت حتى ما يحب وما يكره من المأكل والملابس والهوايات والألعاب، كان أدهم بالنسبة إليها ككتاب مفتوح، ربما لم يكن قد حان الوقت بعد لمصارحة أدهم بكل شيء ولكنها اعتادت الحصول على كل ما تريده بسهولة وسرعة وكان كل هذا الانتظار السخيف للحظة المناسبة لإخباره بكل شيء يجعلها متوترة وعصبية، لم تعتد من قبل على أن تصبر للحصول على أي شيء، الليلة سوف تقوم بخطوتها الأهم، صحيح أنها لن تقول كل شيء ولكنها ستقول ما يكفي لإدخال أدهم في مصيدة رمالها المتحركة كمن سبقه وحين يبدأ في فهم ما حدث له سيكون الأوان قد فات للتراجع أو الهروب من براثنها، لم يخرجها من تفكيرها إلا صوت لوتان المنخفض بجوار أذنها وهو يقول:

- هل كل شيء على ما يرام يا سيدتي؟

صمتت قليلاً قبل أن ترد عليه قائلة:

- سوف يكون يا لوتان، كل شيء سوف يكون على ما يرام، اذهب أنت وتولّى أمر الفتاة بعد أن ينتهي منها عاصم، لقد قلت أنك تحتاج عدد أكبر لصناعة الملابس التي طلبها زبائننا، ها هي بضاعة جديدة لك، لقد انتهيت منها على أي حال ولن تكون مفيدة لي بعد ذلك، أبلغ الرجال بأن أمامهم عمل الليلة، هناك من سيتحول لجاكت جميل من الجلد الخاص.

أومأ لوتان برأسه وترك داليا وحدها لتنفيذ أوامرها الجديدة بينما بدأت هي في النزول على السلالم ببطء وعيناها لا تفارق أدهم الذي كان منشغلاً بحديثه مع المدعوين وسط ضحكاتهم ومزاحهم، اتجهت إلى المجموعة التي ما إن رأت السيدة قادمة حتى توقفوا عن الحديث وانتظروا انضمامها لهم، وقفت داليا أمامهم مبتسمة وهي تقول لهم:

- يبدو أنكم تقضون وقتاً طيباً بحق.

ضحك صاحب القناة محمد كامل وقال لها:

- لا نستطيع يا أميرتنا أن نكون سعداء دون وجودك معنا ولكن أدهم كان يخبرنا بموقف مضحك حدث له من قبل.

ابتسمت داليا ثم قالت وهي تنظر لأدهم:

- إذن أنا آسفة لأن أقول لكم أنني مضطرة لاختطاف السيد أدهم منكم لبعض الوقت ولكن لا تذهبوا بعيداً فما زالت الحفلة في بدايتها.

قال محمد كامل وهو يبتسم ابتسامة ماكرة لداليا:

- إنه ملكك يا سيدتي.

تأبطت داليا ذراع أدهم حتى أن أدهم نفسه تعجب من تصرفها ونظر إلى يدها باستغراب قبل أن تقول له:

- أحتاج إليك لبعض الوقت يا عزيزي في مكتبي، لا تقلق، سترجع لهم سريعاً.

لم يعلق أدهم على جملة داليا وبدأ في السير معها بينما صاحب القناة يقول للمجموعة الواقفة معه بسخرية:

- ألم أقل لكم أنه وغد محظوظ.

سارت داليا وهي ما زالت تتأبط ذراع أدهم باتجاه غرفة مكتبها البعيدة عن مكان الحفل حتى وصلا إلى غرفة المكتب وفتحت داليا الباب ودخلت ولكن أدهم استوقفها على باب المكتب وقال لها بشيء من الغضب:

- مهلاً للحظة يا مدام داليا، لن أتحرك من هنا خطوة واحدة حتى أعلم ما يحدث بالضبط، في البداية تقولين لي أنكِ اخترتيني وسوف تحققي أحلامي وكل هذا الهراء الذي أنا في غني عنه ثم تسحبيني من ذراعي كطفل تسحبه أمه إلى البيت بعد أن ارتكب خطأ ما والآن تبعدينا عن الحفل لنتكلم في مكتب مغلق، لن أتحرك قيد أنملة إلا بعدما أعلم ما سبب كل ذلك.

obeikan.com

قالت له داليا وهي تجلس على مقعدها خلف المكتب وترجع بظهرها إلى الوراء:

- أعلم أنك لست تابع لأحد يا أدهم وأعلم أنك مختلف عن الباقين وأرجوك كف عن مناداتي بلقب مدام، تجعلني أشعر وكأني عجوز في السبعين من عمرها، أنت طلبت أن تفهم سبب معاملتي لك بتلك الطريقة وأنا الآن مستعدة لاطلاعك على ما تريد، أليس هذا ما تريده يا عزيزي؟ ولكن لا يمكنني ذلك وسط صخب الحفلة والمدعوين، هذا كل شيء، الآن يا أدهم لو فعلاً تريد معرفة لماذا أنت ولماذا أعاملك بهذه الطريقة وماذا أريد منك إذن فلتدخل الغرفة وتجلس حتى نتحدث وأخبرك بكل شيء تريد معرفته، وإن لم ترد ذلك فكل ما عليك فعله هو الخروج وغلق الباب والرجوع للحفل مرة أخرى ومحادثة تلك المجموعة الفاشلة من البشر المنافقين أو حتى يمكنك الرجوع إلى بيتك وأعدك أنني لن أظهر في حياتك مرة أخرى وسأدعك لحال سبيلك، القرار في يدك ولتفعل ما تشاء .

كان بإمكان أدهم المغادرة كما قالت داليا، كان بإمكانه فقط أن يحرك قدميه ويرحل عن هذا المكان بالكامل مع وعد منها بألا تحاول رؤيته مرة أخرى، ولكنه لم يفعل، ظل واقفاً مكانه يفكر في عرضها بجدية، دائماً كانت آفة أدهم هى الفضول، ربما هذا هو سبب اتجاهه للعمل الإعلامي، أن يعرف أكثر ويفهم أكثر، كان عقله

يحثه على المضي في طريقة وألا يدخل حياة داليا أكثر من ذلك، هو يملك كل ما كان يحلم به، وظيفة رائعة وزوجة أروع ولكنه الفضول الذي جعله متسمراً في مكانه يريد أن يفتح صندوق أسرار داليا كما فعلت بندورا من قبل عندما فتحت صندوق زوجها لتملأ العالم بشرور ذلك الصندوق، ولكن قلبه كان يريده أن يعلم المزيد عن كل هذا الغموض الذي يحيط بتلك السيدة، وفى النهاية انتصر قلبه على رجاحة عقله وبدأ يدخل غرفة المكتب، بدأت قدميه تتحرك نحو المقعد المواجه لداليا التي ارتسمت على وجهها ابتسامة انتصار، كانت تعلم أن أدهم لن يستطيع كبت فضوله، كانت تعلم وكانت محقة في ذلك، جلس أدهم أمام داليا المبتسمة وهو يقول لها:

– ها أنا قد جلست، فلتبدأِ بالحديث إذن ولتخبريني ماذا تريدين مني؟

نهضت داليا من مقعدها لتواجه نافذة مكتبها المليء بالتماثيل الغريبة والمرعبة كما هو حال باقي قصرها، كانت تنظر للقمر الذي بدا لامعاً بوجهه الفضي الساقط على وجه داليا وبينما هي تنظر للقمر بدأت حكايتها قائلة:

– هل تذكر حديثنا السابق هذه الليلة يا أدهم؟ لقد قلت لي ما أحاول أن أنساه طيلة الوقت، لم أكن غنية طوال الوقت كما ذكرت،

لقد كنت مجرد فتاة فقيرة تسكن في جحر في أحد المناطق العشوائية، أعلم أنك لم ترها من قبل إلا في التلفاز ولكن دعني أخبرك بما لم تسمعه عن تلك المناطق، أنها تأكلك من الداخل، تقتات على مشاعرك وأحلامك وطموحاتك وآمالك لتتركك في النهاية بعدما تنتهي منك مجرد شكل خارجي لإنسان ولكنك في داخلك تصبح غير ذلك على الإطلاق، كبرت وتربيت على الجوع والحاجة، أب عجوز متهالك لا يستطيع الحركة ناهيك عن توفير ثمن الخبز لأطفاله وأم تمسح بيوت الأغنياء لقاء حفنة لا تكفي من الجنيهات، وعدد لا بأس به من الإخوة والأخوات يتعاركون على رغيف خبز فارغ، وأنا، هل تعلم أن الجمال يعتبر نقمة في تلك المناطق، حيثما ولدت فإن الفتاة القبيحة هى المحظوظة بحق، كل جميلات الحي يحسدنها على ماهي فيه من ابتعاد تفكير الرجال وأياديهم اللزجة القذرة عن جسدها، الكل يريد أن يحصل على متعة رخيصة وسهلة، الكل يريد البنت الجميلة الفقيرة التي لن تحدث أي مشاكل لهم ولن تتفوه بأي حرف إذا أو قل عندما يتم الاعتداء عليها لأنها ببساطة أقل من أن يكون لها حقوق من وجهة نظرهم، الكل بلا استثناء في الحي كان يريدني سواء برضائي أو بدونه، لا يهم إن كانت الفتاة تصرخ من المتعة أو من الألم، المهم هو أن يحصلوا على ما يريدون، لم يكن بمقدرتي حماية نفسي وحدي ولم تكن عائلتي قادرة على حمايتي، لذا فقد فعلت ما يبقيني

على قيد الحياة وسط تلك الحيوانات المريضة، اخترت أكثر الرجال في الحي قوة ونفوذ وأقنعته أنني أريد أن أكون له فقط دون غيره، لذا بطبيعة الحال توقفت باقي الحيوانات عن مضايقتي، كان الجميع يعلم أنني أصبحت ملك لمدحت الزعيم، ما زلت متذكرة اسمه رغم مرور الأعوام، لم يستطع أن يحصل مني على أي شيء، كنت دوماً أخبره بأنني سوف أتزوجه بمجرد أن أنتهي من دراستي الثانوية وأساعده في عمله ببيع المخدرات وحينها يمكنه ان يحصل على جسدي، كان أحمق ولكنه قوي ويهابه كل الحي، حاول بكل الطرق أن ينال من جسدي ولكنك لا تعلم ما يمكن أن تمارسه المرأة من ألاعيب حتى لو كانت في السادسة عشر من عمرها، كلما كان يزيد رفضي وتهربي منه كان يزيد هو من حمايتي من الآخرين حتى أصبح ملكه هو فقط، وأخيراً عندما أنهيت دراستي كان الوقت قد حان للهرب من تلك البقعة الموبوءة المسماة منزل، ذهبت إلى بيته وكنت أعلم أنه قد قام في ذلك اليوم بتسلم كمية كبيرة من المخدرات وأنه يحتفظ بثمنها في منزله حتى يقوم بدفع ما عليه في اليوم التالي، دخلت البيت وهو نائم وقمت بسرقة المبلغ، كانت أول مرة أرى كل ذلك القدر من المال في حياتي، تسعون ألف جنيهاً بالإضافة للمخدرات التي كانت موجودة بجوار المال، أخذت المال و المخدرات وخرجت من البيت ولم أنظر خلفي، كان معي من المال ما يجعلني أبدأ حياتي بداية جديدة تماماً.

هنا قاطعها أدهم متسائلاً:

- وماذا عن أهلك، ألم تخشي عليهم من انتقامه عندما يعلم بأنك هربتِ من البيت وهذا يعني أنك من سرقتيه؟

ردت عليه داليا قائلة:

- لقد خططت للأمر جيداً قبل القيام به، بضع مئات من الجنيهات لأحد صبية المعلم الكبير الذي كان يتعامل معه كانت كفيلة بأن يزرع الشك في قلب المعلم الذي ذهب لمدحت الزعيم في صباح اليوم التالي وعندما لم يجد المال أو المخدرات لم يتوانى عن .... دعنا نقول عقابه ليكون عبرة لأي شخص يفكر في سرقته، هل تعلم ما الشيء المثير للسخرية؟ أنه لأول مرة يُتّهَم مدحت بتهمة ويكون بريء منها، المهم أنني للمرة الأولى في حياتي أحصل بالفعل على حريتي، كان لدي المال الكافي لبدء صفحة جديدة في حياتي، صفحة بيضاء، وقد فعلت ذلك، قمت بتأجير شقة، لم تكن باهظة أو في منطقة راقية ولكنها كانت ملكي، كانت أول مرة أنام على سرير كبير في غرفة خاصة بي وحدي، كانت أول مرة في حياتي أحصل علي شيء خاص بي وحدي دون أن يشاركني أحد تلك المتعة، أكملت تعليمي الجامعي وبدأت بمجرد الانتهاء من الدراسة في البحث عن وظيفة في شركة، أنت تعلم تلك الإعلانات التي تقول مطلوب سكرتيرة حسنة المظهر لشركة كبرى، حسناً، لقد كنت حسناء ودخلت تلك الشركة الكبرى

لأصبح سكرتيرة في مكتب زوجي الراحل وأمر أدَّي لآخر والآن ها أنا داليا الشرقاوي سيدة الأعمال المشهورة وأرملة رجل الأعمال ياسين محمود الذي ترك لي كل شيء يملكه بعد موته، بالطبع هذا ليس اسم عائلتي الحقيقي ولكني كنت بحاجة لاسم جديد أبدأ به صفحة جديدة من المال والنفوذ، ها أنت تعلم الآن يا أدهم كل ما لم أقله لأحد من قبل، لقد غيرت اسمي لداليا الشرقاوي حتى لا يستطيع أحد من تلك المنطقة التي كنت أسكن بها مع عائلتي في التعرف عليّ، تخيل كَم الإحراج الذي يمكن أن أتعرض له عندما يعلم الجميع أنني جئت من هذا المكان الموبوء.

صمتت داليا لبعض الوقت ونظرت إلى الأرض، لم يجد أدهم الكلمات المناسبة ليتحدث، كان صامتاً هو الآخر، ها هي داليا تخبره بما لم تخبر به أحد من قبل ولم يكن يعلم ماذا يجب أن يقول، لذا فقد سألها السؤال الوحيد الذي جاء على خاطره في هذه اللحظة:

- هل يمكنني سؤالك؟ لماذا أخبرتيني بكل ذلك عنكِ، لقد قلتِ أنكِ لم تخبري أحد من قبل بكل ذلك؟ لماذا أنا ولماذا الآن؟

جلست داليا على المقعد المواجه لأدهم وأمسكت يده قائلة:

- لأني أحتاجك بجانبي يا أدهم، لقد قلتها من قبل، كل من حولي هم مجموعة من الخدم والمنافقين، لا أريد لشخص من هؤلاء

أن يكون بجواري، أريدك أنت أن تكون معي في الطريق الذي رسمته لنفسي منذ كنت طفلة صغيرة، أريدك أن تكون شريك لي في أكبر مشروع لي في حياتي.

سحب أدهم يده من بين كفيّ داليا وهو يسألها:

- مشروع؟ ما هو هذا المشروع؟ وما هو علاقتي به؟

نهضت داليا من مقعدها واتجهت إلى مكتبها مرة أخرى لتعبث أناملها بأزرار اللاب توب الخاص بها ثم وضعت الشاشة أمام أدهم قائلة بحماس واضح:

- أهم مشروع في حياتي يا أدهم، مشروع إعلامي متكامل، مجموعة من القنوات الخاصة متخصصة في كل المجالات، قنوات إخبارية وثقافية ودينية ودراما وحوارية ورياضية، هذا المشروع كنت أحلم به منذ فترة طويلة ولكني كنت أعد له بعناية حتى يتحقق كما أحلم به، أريدك معي في هذا المشروع يا أدهم، سوف تكون أنت واجهة تلك المجموعة الإعلامية بالكامل والمسئول الأول عنها، كل الموارد المالية والإعلامية سوف تكون تحت تصرفك، سوف تصبح أهم وأشهر إعلامي في المنطقة العربية وربما في العالم، سوف أعطيك الحرية الكاملة في اختيار مَن تراه مناسب مِن الإعلاميين للظهور على أي من القنوات، سوف تكون المتحكم في كل شيء بخصوص

البرامج والمحتوي وسوف يكون دوري منحصر في الإدارة فقط، أما بخصوص المرتب فسوف يكون راتبك خيالي بمعني الكلمة، خيالي لدرجة أنني لو قلته لك الآن ربما لن تصدقني وتظن أنني أمزح، سوف تكون أقوي إعلامي، تخيل النفوذ والشهرة والثراء الذي ستكون عليه وأنت معي يا أدهم نحقق هذا الحلم سوياً، هل تملكت من قبل فيلا في إسبانيا؟ أستطيع تحقيق ذلك الآن لو أردت، هل تريد أن تحاور الرؤساء والملوك من حول العالم، بواسطة هذا المشروع ستستطيع فعل ذلك، كل ما حلمت به أو حتى لم تحلم به سيتحقق معي يا أدهم، فقط كن بجانبي وسأجعلك ترى وتعيش ما لم تحلم به قط في حياتك كلها.

صمتت داليا وانتظرت رد أدهم عليها، ولكنه لم يتحدث على الإطلاق، ربما كان هذا الحلم أكبر من قدرته على استيعابه، لهذا ظل صامتاً وكانت داليا تعرف ماذا يدور في عقل أدهم الآن، كانت تعلم أن صمته يعني أنه على وشك الموافقة، لقد أعطته عرضاً لا يمكن رفضه، عرض لا يرفضه إلا مجنون أو معتوه، ولكن ما لم تعلمه داليا أن أدهم كان مختلفاً، حياته جعلته يتعلم درس مهم جداً، لا يوجد شيء مجاني في هذه الحياة، لا يمكنك أن تثق في شيء يبدو لك ورديا أكثر من اللازم، ولكن رغم ذلك كان فعلاً عرض يستحيل أن يتكرر طوال حياته مرة أخرى، طال صمت أدهم وهو يفكر في عرض داليا الخيالي عندما قطعت الأخيرة حبل أفكاره ووجدها تضع أمامه عقد

يحمل اسمه ويحمل رقم من سبعة أصفار، فقط ينتظر توقيعه عليه ليصبح كل ما حلم به يوماً حقيقة، قالت له داليا وهي تناول أدهم العقد ليوقعه:

- أنت قلت أنك لست تابعاً لأحد وها أنا أثبت لك أنني أعلم ذلك، سوف تكون شريك لي وليس تابع أو خادم، كل ما عليك فعله هو توقيع العقد وسوف أحقق كل أحلامك يا عزيزي، كل شيء سوف يكون ملكك، الشهرة والمجد والنفوذ والقوة والمال، كل ذلك يقبع خلف إمضائك، قم بالتوقيع وافتح أبواب الحياة كلها لتنعم بها.

هنا تحدث أدهم لأول مرة منذ أخبرته داليا بأمر ذلك المشروع وسألها:

- إنه فعلاً عرض مغري ولا يمكن رفضه ولكن لماذا أنا لهذا المشروع الكبير، هناك من يملكون خبرة وعلاقات وشعبية أكبر مني بكثير، لماذا أنا فقط تفعلين معي ذلك؟

ابتسمت داليا في وجه أدهم وقالت له:

- لأني لا أريد أي شخص لهذا الحلم الذي أنوي تحقيقه، أنت شاب وصادق وشعبيتك تتزايد باضّطراد، أنت تملك وجه صريح يمكنه أن يجعل الكل يصدق كل ما تقول، أنا أريد واجهة مثلك لهذا المشروع،

لا أريد الأكثر شهرة أو الأكثر علاقات، أريد الأكثر صراحة وصدق وأنت هذا الشخص يا أدهم، وأنا أثق بك وبقدراتك، ولأصدقك القول لقد حاولت في البداية أن أختار بالطريقة التي قلت عليها ولكني لم أجد من أثق به أو أحترمه كما فعلت معك، أنا أحتاجك بجانبي يا أدهم، صدقني أنا لا أقول تلك الكلمة لأحد بسهولة ولكني أقولها لك وأنا صادقة بها.

أطرق أدهم مفكراً لبعض الوقت وتناول العقد الموضوع على المكتب، كان العقد رائعاً بالفعل، ربما أكثر من رائع ليكون حقيقة، تناوله بين يديه وقال لداليا:

– أعلم أنكِ بالفعل تقدمين لي فرصة العمر التي لن تتكرر مرة أخرى، ربما لهذا السبب بالتحديد أنا بحاجة لبعض الوقت للتفكير ملياً به، أرجو أن تمهليني بضعة أيام لأتشاور مع نفسي ومع نور زوجتي بخصوص تلك الخطوة، إنها خطوة عملاقة في مستقبلي ولا أريد أن أتسرع باتخاذها.

تغير وجه داليا للحظة من الزمن قبل أن ترد عليه ببعض الفتور:

– حسناً يا أدهم ، سأمهلك بعض الوقت للتفكير في عرضي رغم أنني لا أرى الداعي لذلك ولكني لن أرفض طلبك، أعلم أنك ستوافق عليه في النهاية يا عزيزي ولذلك أنا موافقة على ما تريد ولكن لتعلم

أنه عرض لن يستمر طويلاً، أحتاج إلى إجابتك في أسرع وقت حتى نبدأ العمل بسرعة.

أومأ أدهم برأسه موافقاً ونهض من مقعده وهو يضع العقد في جيبه ويقول:

- أعدك أن أقوم بالرد على عرضك بسرعة، و الآن اسمحي لي بالانصراف فقد تأخر الوقت وطريقي طويل للذهاب إلى المنزل.

نهضت داليا هي الأخرى من مقعدها وفتحت خزانة خشبية بجوار المكتب وأخرجت منها حقيبة هدايا وناولتها لأدهم قائلة:

- حسناً، يمكنك الذهاب الآن ولكننا سنلتقي قريباً عندما تأتيني بموافقتك على هذا العرض، صدقني يا أدهم ستكون من الحماقة أن ترفض هذا العرض، أما بخصوص هذه الحقيبة فبها هدية أعتقد أنها ستروق لزوجتك، فقط أعطها إياها وأبلغها أسفي الشديد إن كنت تعاملت معها بأسلوب لم يرق لها في المرة السابقة، قل لها أننا سنرى بعضنا البعض قريباً ... قريباً جداً كما آمل يا عزيزي.

إبتسم أدهم بطريقة رسمية في وجه داليا وتناول منها الحقيبة بلطف وبدأ في الخروج من غرفة المكتب قبل أن ينظر لمرة أخيرة لداليا التي رفعت يدها مودعة إياه دون أن تنطق بحرف واحد، فقط

اكتفت بابتسامة عريضة قبل أن يغادر أدهم المكتب نحو مكان الحفل، بعد خروجه بلحظات دخل لوتان المكتب على داليا وهو ينظر إليها مبتسماً بخبث فقالت له داليا بعصبية:

– إمسح تلك الابتسامة البلهاء من على وجهك، أعلم بماذا تفكر، قلت لك من قبل يا لوتان لو كان أدهم كغيره من الرجال لما كان هناك تحدي أو إثارة في الموضوع، أعلم أنه طلب مهلة للتفكير ولكن أعلم أنه سيوافق، لا يمكن لرجل عاقل أن يرفض كل ذلك.

رد عليها لوتان قائلاً:

– ولكنه ربما يفضل البقاء في عمله الحالي، بالنسبة له هو عمل جيد ويدر عليه دخل معقول بالنسبة إليه.

صمتت داليا للحظات قبل أن تقول له:

– هذا يمكن تغييره بسهولة يا عزيزي.

ثم قامت بالاتصال برقم ما من هاتف المكتب وقالت لصاحبه أنها تريده حالاً في مكتبها، كانت داليا تعد للأمر بكل دقة حتى لايفلت أدهم من بين يديها، كانت مصممة على امتلاكه بكل الطرق، شيئاً فشيئاً يصبح الأمر بالنسبة لها يخص كرامتها وسطوتها، لا تريد أن يقال على أدهم أنه الرجل الذي رفض جنة داليا الشرقاوي، لاتريد أن

يكون هناك رجل على الأرض قال لها يوما ما كلمة لا، هذا بالإضافة إلى أنها بدأت تشعر بالفعل بانجذاب نحو أدهم، أو ربما هو حب امتلاك لشخص ما لا تملكه ... بعد، طوال الوقت هي محاطة بمن ينفذ أوامرها ربما حتى قبل أن تأمر بها، طوال الوقت هي محاطة بالمخادعين والمنافقين والطامعين حتى وإن كانت هي من صنعتهم ليصبحوا على ما هم عليه الآن ولكن أدهم كان مختلف عن الباقي، لذا هي تريده لنفسها هي فقط، لم تقابل من قبل من يرفضها بأي صورة وكان أدهم هو الاستثناء الوحيد حتى الآن، ربما كان هذا هو السبب الذي جعلها تضاعف له كل المزايا حتى تضمن أنه لن يستطيع الفرار منها، كانت تعلم أنها عرضت عليه أكثر مما يستحق هذا المنصب ولكنها كانت مصممة على امتلاكه مهما كلفها ذلك من مال.

●●●

خرج أدهم من مكان الحفل وتوجه إلى سيارته وأدار محركها ولكنه ظل في مكانه لبعض الوقت، كان يمسك العقد بين يديه ينظر إليه ملياً، كان العقد بالفعل فرصة لا يمكن لعاقل أن يتجاهلها، كان يحمل كل ما حلم به يوماً ما، كل ما يحلم به أي إعلامي، المال والشهرة والنجاح والتألق في سماء الإعلام العالمي، ولكن ربما هذا هو بالضبط السبب الذي يجعله متردد في قبول هذا العرض، هو يعلم الآن السبب

الذي جعل داليا تتودد إليه بتلك السرعة، كانت تحتاجه أن يكون وجه وواجهة تلك المجموعة الجبارة من القنوات، ولكن حتى الآن لم يقتنع بإجابتها على السؤال الأهم، لماذا هو، لماذا كل هذا الإصرار على أدهم بالذات، كان فعلاً بحاجة للكثير من الوقت للتفكير في ذلك العرض، بدأ يتحرك أدهم بسيارته ببطء في البداية ليخرج من قصر داليا ويتوجه إلي منزله، كان عقله مشغول طوال الطريق بهذا العقد المغري بحق، ربما يجد بعض الراحة عندما يتحدث مع نور بخصوص ما حدث تلك الليلة في قصر داليا، بالفعل وصل أدهم إلى منزله بعد ساعة تقريباً من الطريق والتفكير، دخل المنزل ليجد أن نور لم ترجع المنزل بعد، دخل غرفته لتغيير ملابسه وبعد أن انتهى من ذلك نظر للحقيبة التي أعطتها له داليا وقالت أن بها هدية لنور، فتح الحقيبة ليجد جاكيت من الجلد الأسود، كان ملمسه ناعماً جداً وعليه بعض الرموز الغريبة المحفورة على الجلد نفسه، ولكنه لسبب يجهله لم يشعر بالارتياح لتلك الهدية، ربما بسبب تلك الرموز الغريبة، ربما لأنه من داليا، ربما لطريقتها في التحدث عن نور، تلك الطريقة التي تحمل عدة معاني للكلام، لم يعلم ماذا كانت تعني بتلك الكلمات، لو كانت هدية له هو لكان تخلص منها ولكنها لنور وهي صاحبة التصرف في هديتها، بعد نصف ساعة تقريباً دخلت نور للمنزل لتجد أدهم يعد لنفسه فنجان من القهوة في المطبخ، قامت بتقبيله بمرح ولكنها شعرت

أن هناك ما يقلقه، هي تعلم أدهم عندما يكون هناك شيء ما يشغل تفكيره، طلبت منه إعداد فنجان آخر من القهوة لها حتى تعلم منه ما يدور في رأسه، توجهت إلى غرفتها وكانت على وشك الضغط على زر الإنارة عندما توقفت يدها في الهواء، وصرخت، ركض أدهم بسرعة إلى مكان نور التي كانت تنتفض بشدة وأحاطها بذراعيها صائحاً:

- ماذا هناك يا نور؟ ماذا حدث؟ هل أصابك مكروه؟

أشارت بأصابع مرتعشة نحو الركن البعيد من الغرفة بجوار النافذة المفتوحة وقالت له بفزع:

- لقد كان واقفاً هناك يا أدهم، كان هناك.

نظر أدهم إلى المكان الذي تشير له نور فلم يرى شيئاً، قام بإنارة الغرفة فلم يجد أي شيء غير اعتيادي، وجّه حديثه مرة أخرى لنور وهو يحاول تهدئتها قائلاً:

- من كان واقفاً يا نور؟ هل رأيتِ شخص ما هنا؟

ردت عليه نور من وسط دموعها وقالت له بصوت متهدج:

- كنت على وشك إضاءة الغرفة عندما وجدته واقفاً هناك يحدق بي، ظل أسود طويل واقف بجوار النافذة وينظر لي فقط دون أن ينطق بحرف واحد وعندما صرخت أغمضت عيني وحينما فتحتها مرة أخرى كان قد اختفى من أمامي.

بدأ أدهم في دخول الغرفة ونور تتشبث بذراعه القوية وتنظر حولها من خلف كتفه الذي تحتمي به، فتح دواليب الملابس، نظر أسفل الفراش، ولكنه لم يجد أي شيء، فقط وجد النافذة مفتوحة بينما الهواء يحرك الستائر نحو الغرفة، نظر خارج النافذة ولكنه لم يجد أي شيء، كانوا يقطنون في الطابق الأخير من بناية تتكون من إحدى عشر طابقاً، نظر للأسفل ولكنه لم يجد أي شيء غير طبيعي في الشارع، بعض المارة المتناثرين هنا و هناك، حاول أدهم طمأنتها قائلاً:

– ربما فقط تخيلتِ ذلك يا نور، المكان مظلم والهواء كان يحرك الستائر لا أكثر، لا تقلقي أنا معكِ الآن.

جلس أدهم بجوار نور على الفراش حتى هدأت تماماً ثم بدأ يحكي لها ما حدث الليلة في حفلة داليا، كان يريد أن يهدئ من روعها وينسيها ما أصابها بالخوف منذ قليل، كانت متفاجئة بعض الشيء لأن أدهم ذهب إلى تلك الحفلة دون أن يخبرها ولكنها تعلم فضول أدهم كما أنها تعلم أنه لا يخفي عنها شيئاً فلم تعلق على ذلك كثيراً ولكنها تعجبت هي الأخرى من عرض داليا لأدهم حيث قالت له نور:

– إنها بالفعل امرأة مليئة بالمفاجآت، ثاني مرة تراك فيها وها هي تقدم لك فرصة العمر التي لا يمكن رفضها؟

سألها أدهم قائلاً:

- هل هي فعلاً فرصة لا يمكن رفضها؟ أعني أن هناك ما تخفيه داليا ولا أعلم ما هو، أنا لست بهذه الشهرة أو النجومية التي تجعلها تتصرف معي على هذا النحو، لا أعلم، أنا غير مرتاح لذلك العرض.

ردت عليه نور وهي تربت على كتفه وقد بدأت تستعيد هدوئها:

- حسناً، أنا أختلف معك في هذا، أنت بالفعل أصبحت مشهور يا أدهم وبرنامجك يشاهده الملايين ولكن بغض النظر عن ذلك اعطي لنفسك بعض الوقت للتفكير بصورة جيدة وحينها يمكنك أن تتخذ قرارك سواء بالقبول أو بالرفض، لن يرغمك أحد على العمل لديها وأنت تعلم أنني معك في أي قرار تتخذه.

وبينما هي تنهي جملتها لمحت تلك الحقيبة التي بها هدية داليا فسألت أدهم:

- هل هذه هي الهدية الخاصة بها؟

رد عليها أدهم وهو يحضرها لها:

- نعم، هذه هي هديتك، لقد قالت أنها تعلم أن الهدية ستعجبك.

فتحت نور الحقيبة ورأت الجاكيت وكانت سعيدة به، لقد كانت حقاً تتمنى أن تحصل علي واحد مثله منذ أن رأته مع داليا، ارتدته سعيدة به بينما كان أدهم يبتسم، كانت نور سعيدة كطفلة صغيرة، كان سعيداً أنها نسيت ما أخافها أياً ما كان هو منذ قليل، في الوقت الذي قالت فيه نور:

- يبدو أنني سأبدأ بالإعجاب بالسيدة الغامضة مرة أخرى.

لم يعلق أدهم على جملة نور الأخيرة، كان ما زال يفكر في ذلك العرض المقدم له، على أي حال ما زال لديه الوقت ليفكر جيداً ويتخذ قراره، ربما غداً يصل لقرار بخصوص العقد.

●●●

كان أدهم الآن في مقر القناة التي يعمل بها ويتحضر للحلقة الجديدة من برنامجه، مر يومان على آخر لقاء بينه وبين داليا في قصرها، لم يكن قد وصل لقرار بعد بخصوص عرضها له، وجد أدهم من يطرق الباب بلطف، كان الطارق هو رضا مُعِد البرنامج يخبره بأن السيد محمد كامل رئيس القناة يريده في أمر هام، سأله أدهم:

- أمر هام؟ الآن؟ الحلقة على وشك أن تبدأ بعد خمس عشرة دقيقة يا رضا.

رد عليه رضا وهو يبدو عليه التردد:

- بخصوص هذا يا أستاذ أدهم، لقد تم إلغاء الحلقة.

صُعِق أدهم ونهض من مكانه بغضب وصاح:

- ماذا؟ ماذا تعني تم إلغاء الحلقة؟ من أمر بذلك وكيف لم أعلم بذلك حتى الآن؟

أجابه رضا قائلاً:

- من أمر بذلك هو نفس من يطلبك الآن، السيد محمد كامل هو من أبلغنا بذلك، أنا آسف يا أدهم، لقد نبّه علينا ألا نخبرك لأنه يريد إخبارك شخصياً بأسباب ذلك، ولكنني لم أستطع إخفاء ذلك عنك، الجميع في الخارج يتحدثون عن ذلك وغير مصدقين لما حدث، ربما عندما تقابله يكون هناك تفسير ما.

لم يعلق أدهم واتجه غاضباً بخطوات سريعة نحو مكتب رئيس القناة الذي شاهد أدهم يدخل إلى مكتبه كالثور الهائج وهو يقول:

- هل هذا صحيح؟ هل قمت بإلغاء حلقة اليوم من برنامجي دون علمي؟

رد عليه محمد بهدوء:

– أولاً هو برنامجي أنا، أنا من أدفع إذن هو ملكي وليس برنامجك يا أدهم، ثانياً لا يمكنك دخول مكتبي بهذه الطريقة الهمجية، أنا طلبت ألا يخبرك أحد بأي شيء حتى يتسني لي أن أفعل أنا ذلك بطريقة متحضرة.

صاح أدهم غاضباً:

– تقول لي بطريقة متحضرة أنك ألغيت برنامجي لتلك الليلة؟ هل تمزح؟

قاطعه محمد قائلاً بحزم:

– أدهم، لقد قمت بإيقاف البرنامج نهائياً وكذلك تم إيقاف تعاقدك مع القناة، سوف ندفع لك بالطبع الشرط الجزائي الموجود بالعقد، ولكنك الآن لا تعمل معنا في القناة، ليس بعد الآن، لذا رغبت في إخبارك أنا شخصياً بذلك، يجب أن تعلم أن هذا القرار كان في غاية الصعوبة ولكني اضطررت لاتخاذه.

لم يتحدث أدهم ولو بكلمة، كان الخبر صادماً له للدرجة التي أفقدته القدرة على الحديث أو حتى الانفعال لبضعة لحظات، برنامجه من أكثر البرامج مشاهدة على مستوى جميع القنوات، كيف

opelikan.com

يحدث ذلك ولماذا، ما الذي يحدث حوله، وبصوت حاول أن يكون متماسكاً سأل أدهم:

– أنا لا أفهم أي شيء، ماذا يحدث، لِمَ قمت بذلك، برنامجي من أنجح البرامج والشركات تتوسل إلينا حرفياً ليصبحوا رعاة للبرنامج، كيف تقوم بإلغاؤه بتلك البساطة؟

رن جرس الهاتف على مكتب محمد كامل ورفع السماعة ليرى من المتصل ثم بعد لحظات ناول السماعة لأدهم قائلاً له:

– إجابة سؤالك على الطرف الآخر من الخط يا أدهم، تحدث معها وستفهم كل شيء.

معها؟ من يقصد هذا الوغد؟ هكذا سأل أدهم نفسه وهو يتناول سماعة الهاتف من محمد بينما يرمقه بنظرات نارية، جاءت الإجابة سريعة وصادمة، لقد كانت داليا على الطرف الآخر من الخط، داليا التي قالت لأدهم:

– لقد تأخرت كثيراً في الرد يا أدهم.

للحظات لم يستوعب أدهم الموقف لذا فقد ردد في عدم فهم:

– أنا لا أفهم شيئاً، ما دخلك بما يحدث؟ وماذا تعنين تأخرت في الرد؟ الرد على ماذا؟

openkan.com

أجابته داليا قائلة بصوتها البارد:

- أنت تفهم جيداً ما أعني ولكنك لم تستوعب ذلك بعد ياعزيزي، لقد قدمت لك عرضاً لا يمكن رفضه وبدلاً من شكري وإعطائي موافقتك في الحال طلبت مهلة للتفكير وأنا وافقت على ذلك ولكنك لم ترد عليّ حتى الآن وأنا لست من الطراز الذي ينتظر طويلاً ياأدهم، كان يجب عليّ فعل ذلك، كان يجب إعطائك دفعة في الطريق المناسب لك، حتى لو كان ذلك بتدمير ما تحب من أجل المصلحة الأكبر والأهم.

سألها أدهم وهو غير مصدق:

- أنتِ؟ أنتِ من جعلتيه يلغي برنامجي ويفصلني؟ لماذا؟ كل ذلك من أجل أن أوافق على عرضك لي؟ هل جننتِ؟

ليته لم يقل كلمته الأخيرة لأنه حينها أتاه صوتها غاضباً وعاصفاً يحمل كل الشر وهي تقول:

- كيف تتحدث بهذه الطريقة معي؟ أنا داليا الشرقاوي أيها الوغد، يجب أن تتعلم كيف تتحدث معي من الآن فصاعداً، أنا أحصل على ما أريده دائماً، هل تسمعني يا أدهم؟ دائماً، وأنا أريدك وسأحصل عليك يا أدهم، هي فقط مسألة وقت لا أكثر.

ثم خَفَت صوتها بالتدريج وكأنها تحاول السيطرة على غضبها ثم قالت له:

– هل تري ماذا اضطررتني لفعله؟ بسببك تحدثت معك بطريقة كنت لا أتمني أن تراها مني يا عزيزي، أدهم، فلتستمع لي جيداً، لقد اضطررت لفعل ذلك، أنت تعلم أنني أقدم لك عرض حياتك ولكن عملك يعيقك عن التفكير بصورة صحيحة لذا كان لزاماً علي أن أفعل شيء ليجعلك تفكر بطريقة سليمة في عرضي، فيما هو أنسب لك يا عزيزي، أنا أحتاجك يا أدهم هنا بجانبي وليس على الجانب الآخر من الخط، على أي حال لن نستطيع الحديث في الهاتف بخصوص هذا الموضوع، قابلني في كافيه سباستيان الساعة السادسة وسنتحدث بهدوء عن كل شيء، إلى اللقاء الآن يا أدهم، لا تتأخر في المجيء لأنني لا أنتظر أحد.

أغلق أدهم الخط وهو ينظر لمحمد الذي سارع بالقول:

– أنا آسف يا أدهم ولكني كنت مضطر لذلك، ليس من مصلحتي أن أغضب السيدة داليا، تحدث معها وسوف تصلوا لحل يرضيك بالتأكيد.

لم يعلق أدهم على حديثه واكتفى بالنظر له بغضب وخرج من المكتب وهو يغلي من الغيظ، كانت الأحداث تسير بوتيرة متسارعة

opelkan.com

وبشكل يعجز عن ملاحقته، منذ يومان تقدم له عرض خيالي للعمل معها والآن تتسبب في فصله من عمله و تقوم بإلغاء برنامجه لتضغط عليه للموافقة على عرضها، هي لم تفهم أدهم بعد، لو كانت فهمت كيف يفكر لكانت قد عرفت أنه لا يقبل الاستسلام بتلك السهولة، ذهب أدهم إلى غرفته وقرر الجلوس قليلاً حتى يهدأ بعض الشيء ويفكر فيما سيفعله لاحقاً، ما هي إلا لحظات ووجد أشرف يستأذن منه لدخول الغرفة، لم يكن أدهم رائق البال ليتحدث مع أي شخص ولكن وجه أشرف الذي يوحي بالأسف دون مبرر جعل أدهم يوافق على دخول أشرف، كان يشعر بأنه يريد أن يخبره بشيء ما، جلس أشرف على المقعد المقابل لأدهم وظل صامتاً لبعض الوقت وكأنه لايعلم كيف يبدأ حديثه بالضبط، ثم بدأ بالحديث قائلاً لأدهم:

– لقد علمت ما حدث، أنا آسف لما آلت إليه الأمور يا صديقي.

رد عليه أدهم:

– لا يوجد ما تأسف عليه، إنها ليست غلطتك على أي حال.

نظر أشرف إلى الأرض ثم قال بصوت يملئه الندم:

– بلي، إنها غلطتي أنا يا أدهم، لم أكن أعلم بأن هذا يمكن أن يحدث.

لم يفهم أدهم ماذا كان يرمي إليه أشرف فسأله مستفسراً:

- ماذا تعني بأنها غلطتك؟ هل كان لك علاقة بما حدث اليوم؟

لم يتكلم أشرف ولم يرد، كان يبدوا كمن هو موشك على البكاء، ولكن أدهم كان يريد أن يعلم... أن يفهم فكرر سؤاله مرة أخرى، حينها بدأ أشرف في الحديث:

- منذ عدة أشهر حضرت أول حفلة لداليا الشرقاوي، كنت منبهراً بهذا العالم الذي تغلف نفسها به، لذا فقد حاولت مراراً حضور إحدي حفلاتها حتى حضرت إحداها بالفعل، كان كل شيء ساحراً خصوصاً داليا نفسها، دخلت عالمها الخيالي رويداً رويداً، في البدء بدأت أحضر تلك الحفلات العامة التي تقيمها في حديقة قصرها، تلك الحفلات التي تحب أن تطلق عليها حفلات الاختيار، تقيمها من وقت لآخر حتى تتعرف على الجميع، نجوم وفنانين ومطربين ورجال أعمال وصحفيين وسياسيين وتختار من بينهم من يصلح ليدخل دائرتها الشخصية، تحرص على جعلها حفلات باهظة وخيالية لتتأكد من حضور الجميع ولترى ردود أفعالهم وعلى هذا الأساس تبدأ في اختيار الأنسب ليكون من المقربين منها، كنت مبهور بدرجة كبيرة بهذا العالم وقد لاحظت داليا ذلك، بدأت في التودد إلي وتكررت دعواتها لي شخصياً للمزيد من الحفلات، بعضها كان حفلات عامة والبعض

الآخر كانت حفلات خاصة لا يحضرها إلا من هو قريب منها، سعدت بذلك، سعدت بدعوتها لي لتلك الحفلات الخاصة، كانت تشعرني كل مرة بأنني مميز لديها، لم أستطع مقاومة سحرها أو انجذابي نحوها، لم يكن حباً بالمعني المعروف ولكنه كان انجذاب لتلك الشخصية، الغموض الذي تحيط به نفسها وحياتها ،كان كل شيء بها يدفعني أكثر فأكثر للدخول في عالمها، بالتدريج بدأت الوقوع في الفخ، بدأت أنفذ كل ما تطلبه مني لكي أظل في هذا العالم الذي لم أرى مثله في حياتي، كل يوم كنت أغرق أكثر وكل يوم كنت أضطر لتنفيذ أمر أصعب لكي تبقيني في حياتها وعالمها، اضطررت للقيام بأشياء أخجل منها وأشياء أعلم أنني سأندم عليها بقية حياتي، أشياء لم أتخيل أنني قادر على فعلها يوماً ما ولكني فعلتها بسببها ومن أجلها، في النهاية تكشّف لي وجهها الحقيقي، كانت تملك ضدي ما يرميني بالسجن بقية عمري، حينها علمت أنها قد تحكمت بي للأبد وأنني لن أستطيع الفكاك منها مهما حاولت، أصبحت خادماً لها مثل باقي من حولها والذين أوقعتهم بنفس الطريقة، في البداية تغريك وتعطيك كل شيء وفي النهاية تهددك بكشف كل شيء، حينها تسلبك كل شيء أعطته لك يوماً ما وأكثر من ذلك بكثير.

لم يكن أدهم يريد مقاطعته ولكنه كان يريد أن يفهم لذا فقد سأله بعدم فهم:

– ماذا تقصد بأشياء تندم عليها؟ ثم ما علاقة كل ذلك بي؟

رد عليه أشرف متلعثماً:

– منذ عدة أسابيع استدعتني داليا لمكتبها لأمر هام، لم تطلبني بصورة شخصية وبمفردي من قبل لذا فقد كنت قلقاً ومتوتراً، عندما ذهبت إليها سألتني عنك، كان كل حديثها يتعلق بك أنت فقط، بالطبع استغربت ذلك خاصة أنك لست من الضيوف الذين يحضرون حفلاتها وربما أنت لا تعلم من هي من الأساس، ولكني أجبتها على أسئلتها، لم أملك أي خيار آخر، كانت تريد أن تعلم عنك كل شيء، أصدقائك وطريقة تفكيرك وشخصيتك ونقاط ضعفك وحتى سألتني عن علاقتك بنور زوجتك وهل معروف عنك أن لك علاقات نسائية أم لا، كانت تسأل عن كل شيء وبإهتمام بالغ.

تهكم أدهم قائلاً:

– وبالطبع أنت أخبرتها بكل شيء عني كطفل مطيع.

أسرع أشرف بالرد قائلاً:

– لقد كنت مضطر لذلك يا أدهم، كان يجب على أن أخبرها بكل ما أعرفه، أنت لا تعلم قوة شخصية تلك المرأة، إنها دائماً تحصل على ما تريد ويبدو أنها تريدك بشدة، أقسم لك يا أدهم أنني لم أكن أعلم

ماذا تنوي فعله ولا كنت أعلم أن الأمور ستصل لحد فصلك وإلغاء البرنامج، صدقني، أنا لا أفهم لِمَ فَعَلت ذلك.

أجابه أدهم والإرهاق بادي على وجهه:

– لأنها تريدني أن أعمل لديها، هذا هو السبب، تريدني أن أدير مجموعة القنوات التي هي على وشك البدء بتأسيسها، تريدني أن أعمل لديها رغماً عني.

نهض أشرف من مكانه فزعاً وقال بصوت أشبه بالصراخ وهو يمسك أدهم من ذراعيه:

– ماذا تقول؟ لا توافق على ما تريده تلك الشيطانة يا أدهم، ابتعد عنها قدر ما تستطيع بأسرع ما تستطيع، هذه المرأة سوف تقلب حياتك رأساً على عقب، سوف تجعلك تتهم أقرب من حولك بالخيانة، لن تثق في أي شخص ولن تظل كما أنت، سوف تخسر كل شيء كان له معني في حياتك يوماً ما، صدقني، ابتعد عنها من فضلك يا أدهم.

لم يعتد أدهم على أن يكون أشرف على تلك الحالة، عينيه الجاحظتين وقوة قبضته على ذراعيّ أدهم ودموعه التي بدأت تنهمر بصمت من عينيه جعلت أدهم يشفق عليه حقاً، جعلته يشعر بأنها دمرت حياة أشرف كما تريد الآن تدمير حياته هو شخصياً، على

الرغم من بغضه لأشرف عندما علم منه أنه أخبر داليا الكثير عنه وربما كان هو أهم أسباب ما حدث له من فقدانه لعمله إلا أنه لم يتمالك نفسه من الشفقة عليه والشعور بالحزن على أشرف، حاول تهدئته بعض الشيء ولكن أشرف ظل ممسكاً بأدهم و يبكي في صمت وكأنه في حالة صدمة عصبية، وكأنه تذكر ما فقده بسبب داليا من قبل، ربّت أدهم على كتف أشرف الذي ترك أدهم ليمسك برأسه ويكمل بكاؤه الصامت، بعد فترة من الصمت قال أدهم:

- لا تقلق عليّ يا أشرف، أنا لست ضعيفاً حتى أجعلها تتحكم بي وتملي عليّ تصرفاتي و أفعالي، إذا كانت هي تحب الامتلاك فأنا أعشق العناد، لن يستطيع أي شخص أن يجبرني على فعل ما لا أريده، حتى الشيطان نفسه، سوف أذهب الآن ولكن لنا جلسة أخرى نتحدث فيها سوياً يا صديقي.

ترك أدهم المكان لمقابلة داليا، كان قد عقد عزمه منذ أخبره رئيس القناة بخبر إنهاء عمله مع القناة بسبب داليا أن يرفض عرضها مهما كانت المغريات والآن وبعد حديثه مع أشرف تأكدت بداخله تلك الرغبة وهذا القرار، لن يثنيه أي شيء عما هو عاقد العزم عليه، في الوقت المتفق عليه كان أدهم في الكافيه ينتظر ظهور داليا ليخبرها برفضه لعرضها، ظل في الانتظار لبعض الوقت لذا

فقد طلب فنجان من القهوة وأخذ يتفحص وجوه من حوله، لم يكن المكان مكتظاً بالزبائن، فقط بعض الزبائن المتناثرين على عدد من الطاولات، كان يرغب في الانتهاء من تلك المقابلة سريعاً والعودة لمنزله لتحديد خطوته القادمة في الحياة، لم يطل انتظاره طويلاً حيث دخلت داليا المكان ومعها حارسها الشخصي الذي يتبعها في كل مكان كظلها عندما تكون خارج قصرها، نظرت حولها حتى وجدت أدهم على طاولة في منتصف القاعة، ابتسمت له وأشارت بيدها ولكنه لم يبادلها الابتسام، فقط ظل في مكانه في انتظار جلوسها، وبالفعل جلست بينما وجد أدهم أن حارسها قد جلس على طاولة أخرى خلفه هو مباشرة، بدأت بالحديث قائلة لأدهم وهي تخلع معطفها:

- في البداية وقبل أن تقول أي شيء أعلم أنك غاضب مني جراء ما فعلته ولكن صدقني يا أدهم هذا لمصلحتك، عندما تبدأ العمل معي وترى فوائد العمل مع داليا الشرقاوي، سوف تشكرني كثيراً حينها، لقد انتظرت طويلاً أن تعطيني قرارك بالموافقة ولكنك جعلتني أنتظر وأنا أكره ذلك حقاً، إذا أردت رأيي فما حدث يقع على عاتقك أنت فقط، أنت المُلام فيما اضطررتني لفعله، ولكن المهم أنك هنا وأعلم أنك وصلت للقرار الصحيح.

ظل ينظر أدهم لداليا بعض الوقت وهو يدير فنجان القهوة بين أصابعه ثم قال لها:

– نعم يا مدام داليا، لقد وصلت لقرار أعلم أنه صحيح والفضل في ذلك يعود إليكِ بالطبع، إجابتي هي لا يا مدام داليا، لن أعمل لديكِ، يمكنك اختيار شخص آخر غيري ليقوم بما تريدينه ولكني لن أعمل لديكِ، وإذا كنتِ أنهيتِ عملي مع تلك القناة فهناك غيرها الكثير من القنوات التي تتمنى أن أعمل لديها، لن ...

قطع أدهم حديثه عندما نظر إلى عينيّ داليا، كان قد بدأ حديثه وهو ينظر لفنجان قهوته ولكنه عندما نظر إليها في عينيها فقط توقف عن الحديث، لم يتخيل يوماً أن يكون هناك شخص قد ترتسم على ملامحه كل تلك التعبيرات من الغضب والشر، توقف أدهم عن الحديث عندما نظر إلي عيني داليا ليفاجأ بهما جاحظتان وكأنهما توشكان على الخروج من مكانهما، يبدو أنها فعلاً لم تعتد على سماع كلمة لا من أي شخص، ظل صامتاً مدعياً للشجاعة رغم ما يعتريه من توتر الآن، تحدثت داليا ببطء قائلة:

– لا أظن أنني سمعتك جيداً، يبدو أن صخب المكان جعلني أسمع اجابتك بصورة غير صحيحة، كرر مرة أخرى ما قلته من فضلك.

كان أدهم من النوع الذي لا يرتعب بسهولة ولكنه لأول مرة في حياته يشعر بهذا القدر من الخوف، كرر إجابته مرة أخرى ولكنها جاءت بصوت خافت متردد بعض الشيء:

- لن أعمل لديكِ يا مدام داليا، أفضِّل أن أعمل في أي مكان آخر ولكن ليس معكِ.

ضغطت داليا على حروفها وهي تقول للمرة الثانية بينما تنهض ببطء من مقعدها:

- لآخر مرة يا أدهم أقولها، فكر مليّاً للمرة الأخيرة وكرر ما قلته.

حاول أدهم أن يبدو متماسكاً صلباً وكأنه لا يعبأ بطريقتها في الحديث وقال لها:

- لقد سمعتِ إجابتي، أعتقد أن حديثنا إنتهى هنا.

بدأ أدهم في النهوض من مقعده ولكنه لم يكمل نهوضه لأنه فوجئ بالفوهة الباردة المميزة للمسدس تلتصق بجانبه، نظر بجواره ليرى حارس داليا يوجه له المسدس ويجلس بجواره ليمنعه من مغادرة مكانه، في الوقت الذي قالت له داليا:

- حديثنا سينتهي عندما آمر بذلك أيها القذر، من الأفضل لك أن تجلس مكانك.

obeikan.com

لم يكن أمام أدهم إلا الجلوس مرة أخرى خاصة مع ذلك المسدس الملاصق له، ولكنه سأل داليا بهدوء مشوب بالخوف:

– لا تنسي أني شخصية عامة ويوجد الكثير من الأشخاص هنا، لن يمكنك القيام بعمل أحمق في وجود كل هؤلاء الشهود عليكِ.

إبتسمت داليا ابتسامة شيطانية أرعبت أدهم، لم يرى داليا من قبل بهذا القدر من الوحشية والغضب ، وجد داليا تنادي على النادل وتطلب منه مدير المكان الذي أتى بعد لحظات مهرولاً باتجاه داليا التي همست في أذنيه ببعض الكلمات وهو يصغي لها بانتباه قبل أن يومئ برأسه ثم ينطلق في طريقه، ما هي إلا لحظات وانطلق جرس إنذار الحريق في المكان ومعه انطلق صوت مدير المكان بأن هناك حريق محدود بالمطبخ ويجب على الجميع المغادرة حالاً، بدأ الموجودون في المكان بالمغادرة بالفعل على عجل وفى خلال دقيقة أو أقل كان المكان فارغ تماماً حتى من العاملين في المكان، الكل غادر ولم يتبقى إلا داليا وحارسها الذي وقف أمام باب الخروج ليمنع أي شخص من الدخول والأهم من الخروج إلا بإذن سيدته التي قالت بعد أن فرغ المكان من محتواه من البشر:

– عذراً ماذا كنت تقول؟ لن أستطيع القيام بعمل أحمق لوجود أشخاص؟ أين هم؟ لا أراهم، هل تراهم أنت يا عزيزي؟

لم يرد أدهم على أسئلتها التهكمية والساخرة منه، فقط سألها:

- هل مدير المكان هو أيضاً من زائري قصرك؟

أشعلت سيجارتها الذهبية المميزة وأغلقت عينيها لبضع لحظات قبل أن تجيب:

- الكل من زائري قصري، لو قلت لك من يحضر حفلاتي الخاصة ستفاجأ ولن تصدقني، الكل يريد أن ينال رضائي، كل شخص داخله شيطان يريد أن يخرج ليعيث فساداً في العالم، وأنا وسيلتهم في إخراج ذلك الشيطان الساكن بقلوبهم منذ بدأت الخليقة، ألا تؤمن بالشيطان؟

شعر أدهم وكأنه أمام تجسد فعلي للشيطان، كأنه تجسد في صورة امرأة لا تعرف الرحمة، رد عليها ببطء قائلاً:

- لا أعلم ما علاقة ذلك برفضي للعمل لديكِ ولكن على أي حال سأجيبك، أنا مؤمن بوجود الشيطان، هو موجود لأن الله أراد له الوجود والبقاء حتى يحين موعده ولكنه لا يتحكم بنا وبالتأكيد لا يتحكم بي ولن يفعل ذلك يوماً.

قالت له في سرعة:

- أختلف معك تماماً، إنه يتحكم بنا جميعاً ولكن بعض الحمقى يريدون إنكار ذلك، لا يوجد من لا يتحكم به الشيطان كل يوم في حياته

حتى لو كان تحكمه يظهر في صورة أشياء بسيطة في البداية، في البدء تبدو لك أشياء صغيرة، كذبة بيضاء على أحدهم للإفلات من عقاب ما، سرقة صغيرة، القَسَم كذباً، هي فقط في البداية تكون صغيرة ولكنه يعلم كيف يجعلها تكبر بمرور الوقت حتى تجد نفسك في النهاية تفعل كل ما كنت تجزم بأنك لن تفعله في يوم ما، هو يعلم أين يظهر ومتى يظهر، يعلم كيف يصل للشيطان الصغير بداخلك ويتواصل معه، حينها تبدأ المتعة الحقيقية، عندها تجد نفسك تقتل وتسرق وتغتصب وترتشي وتظلم وتخون، صدقني كل من يفعل ذلك كانت بدايته متواضعة في الخطيئة وظن في البداية أنه يستطيع التحكم في الشر بداخله، ظن أنه لا ضير من سرقة ضئيلة هنا أو كذبة صغيرة هناك، لكن في النهاية فعل بالضبط ما يريده الشيطان منه.

قال لها أدهم وهو ينظر لها في عينيها مُتَصنّعاً الشجاعة:

- هناك نوعان من البشر في هذا العالم، الضعيف والقوي، الضعيف هو من يستسلم للشيطان ويتركه يفعل به ما يشاء وقتما يشاء، وأنا لست ضعيفاً يا مدام داليا، والآن ما علاقة الشيطان بموضوع رفضي بالعمل لديكِ؟

أجابته داليا قائلة وهي تلوح بذراعيها في الهواء وكأنها ممثلة تقوم بدور على المسرح:

– بل له كل العلاقة يا أدهم، أنت لا تعلم من أنا حقاً وما أنا قادرة على فعله، لقد كنت طيبة معك من البداية ويبدو أنني أخطئت في ذلك ولكنه خطأ يمكن إصلاحه بسهولة، لقد طلبت منك بلطف أن تعمل معي وأنا لا أقبل بكلمة لا، أنا فقط من أقولها في وجه الآخرين ولن أقبل أن يلقيها بوجهي أي شخص حتى لو كنت معجبة به، نعم، لا أنكر أنني معجبة بك يا عزيزي، لقد قلتها لك من قبل أنك مختلف عن الآخرين وهذا هو ما أبحث عنه، ولكنك صدمتني عندما رفضت عرضي، لقد كان عرضاً لا تستحقه ومع ذلك وهبته لك حتى تعلم أهميتك عندي، ولكنك رفضته كطفل أحمق لا يعلم مصلحته، لذا فلن تجد بعد ذلك داليا اللطيفة، صدقني يا أدهم أنت لا تريدني عدوة لك، أستطيع بسهولة سحق كل ما هو مهم في حياتك، لقد رأيت سهولة فصلك من عملك بمكالمة هاتفية واحدة، تخيل ماذا أستطيع أن أفعله بالإضافة إلى ذلك، أستطيع مثلاً إفلاسك أو عمل حملة ضدك في الجرائد بأنك مغتصب أطفال وأنت تعلم كم نكره مغتصبي الأطفال في عالمنا، أو تخرج امرأة لتقول أنك تحرشت بها أو حتى اغتصبتها وسوف يؤكد ذلك عشرات الشهود وتقضي بقية عمرك بالسجن.

ثم اقتربت منه حتى شعر بأنفاسها الدافئة على وجهه قبل أن تكمل حديثها قائلة:

– أو يمكنني حرمانك من أغلى ما تملك، أنت تعلم عَمّن أتحدث، أليس كذلك؟

كان أدهم يفهم ماذا ترمي إليه، نور البريئة الطيبة التي يذوب في عشقها، كان أدهم في موقف لا يحسد عليه فعلاً، كل ما تعب في بناؤه طوال حياته مهدد بالزوال بكلمة من تلك الشيطانة، حتى زوجته مهددة، لم يعرف ماذا يقول أو يفعل، كان يشعر بضعفه الشديد والمهين أمام تهديدات داليا له وكان يعلم أنها بالفعل قادرة على ذلك بمنتهى البساطة، فقط سألها بصوت خفيض وهو يشعر بالانكسار:

– من أنتِ حقاً ؟

أجابته قائلة وهي تشعر بانتصارها عليه:

– أنا سفيرة الشيطان في هذا العالم وسيدة قصره يا عزيزي، أنا من تملك تحقيق أحلامك وتملك سحقها وسحق واقعك الوردي، أنا من تملك كل شيء وأي شيء تريده، أنا أفضل أصدقائك وأقسي أعدائك، أنت ملكي حتى لو أنكرت ذلك، بمجرد أن رأيتك لأول مرة عرفت أنك ملكي، لقد اخترتك لتكون معي، يمكنك أن تكون معي برغبتك أو رغماً عنها، لا يهمني كثيراً ولكن يجب أن يهمك أنت، كلما استجبت لي واستسلمت لي ستكون حياتك أسهل وأروع وأعظم من كل ما حلمت به يوماً ما، أنت محق في أنني أستطيع بسهولة احضار

opelkan.com

من يعمل بدلاً منك ولكن سبب إصراري عليك لأنك قلت لا وأنا أكره تلك الكلمة، لقد أصبحت مسألة كرامة وتحدي، سأحصل عليك يا أدهم بأى طريقة أريدها، وسوف تفعل ما أريده منك بالضبط، ربما حين تفعل ذلك سأغفر لك كلمة لا التي قلتها، سوف أجعلك تذهب الآن ولتفكر جيداً في خطوتك المقبل، فكر بعناية وبسرية فيما تحدثنا بشأنه، لا أظن أنه من الجيد لنور أن تعلم بالحوار الذي دار بيننا اليوم.

نهض أدهم بتثاقل من على مقعده ونظر لداليا قبل أن يمشي ببطء ناحية الباب للخروج من هذا المكان، استوقفه صوت داليا بينما يفتح الباب:

– أدهم، إذا لم يأتيني ردك سريعاً سيكون ردي أنا أسرع وأشرس من ذي قبل.

لم ينظر لها أدهم ولم يعلق بكلمة، فقط خرج من المكان وهو يوشك على البكاء ولكنه حاول التماسك حتى وصل إلى سيارته، حينها لم يستطع كبح دموعه التي فاضت من عينيه بقوة وهو يضع رأسه على مقود السيارة ويمسك به بكلتا يديه في قوة، كان دائماً يعلم ماذا يريد وكيف يصل إليه ولكنه للمرة الأولى في حياته يكون على هذه الحالة، خائف وملتاع ولا يعرف كيف يتصرف أو حتى كيف يفكر،

كان ما يحدث له يفوق قدرته على الاستيعاب، لذا لم يكن غريباً أن يغيب عن الوعي داخل السيارة، كان عقله قد وصل لأقصى درجات احتماله وأعلن استسلامه لتلك السحابة السوداء التي سيطرت عليه بقوة وعنف.

فجأة وجد نفسه مربوط بحبال قاسية سوداء بعمود خشبي متهالك، لم يعلم كيف وصل هنا ولا متي تم ربطه دون أن يدري، ربما عندما فقد وعيه، ربما، لا يدري ماذا حدث عدا أنه الآن مربوط في مكان واسع يبدو كمخزن كبير غير مستخدم، حاول الصراخ ولكن الكلمات تأبى أن تخرج من حلقه، إنه أُخرس تماماً، لا يعلم ماذا حدث له ليفقد النطق، انسابت الدموع من عينيه في غزارة، حاول مجدداً الصراخ، حاول كثيراً ولكن صوته لا يريد الخروج على الإطلاق، شعر بالرعب والفزع والخوف واليأس، انتابت جسده قشعريرة مخيفة باردة، يحاول فك قيوده دون جدوى، يحاول الصراخ دون فائدة، كل ما يفعله دون طائل، الشيء الوحيد القادر على فعله هو البكاء المرير على ماهو فيه الآن، حينها بدأ في رؤيتها، ساحرة عجوز مخيفة الشكل، شعرها الأبيض يتناثر بعنف مع الهواء رغم أنه لايشعر بأي تيار هواء يمكن أن يجعل ذلك ممكناً، دميمة وقصيرة تقترب منه وبيدها سكين كبيرة الحجم، كان يعلم بداخله ماذا تنوي فعله بتلك السكين، حاول مجدداً الصراخ ولكنه ما زال فاقداً قدرته على النطق وكأن

هناك آلاف الأشواك داخل حلقه، أخذ يتلوى كالدودة ليتخلص من قيوده ولكنها كانت تضيق الخناق عليه مع كل حركة منه حتى شعر وكأنه عاجز عن التنفس، كان يشعر بنهايته تقترب منه في كل خطوة تخطوها تلك الساحرة منه، كيف علم أنها ساحرة، لا يدري، هو فقط يعلم ذلك في أعماقه، بدأت رجفة جسده تزداد وهو يعلم أنه سيموت الآن وفي تلك الدقيقة على يدها، وفي غمرة يأسه بدأ في قراءة القرآن، في البداية كان لسانه عاجز عن النطق كعادته ولكنه مع كل كلمة كان يستعيد قدرته على النطق مرة أخرى، ببطء ولكنه يستعيدها، كان يردد كلمات سورة الفاتحة بصعوبة بالغة في البداية ولكنه يرددها، بدأ في ترديد السورة التالية بصوت أعلى، كان صوته يرجع له مرة أخرى، أخذ في رفع صوته قدر ما يستطيع حتى وجد نفسه يستعيد قدرته على الحديث مرة أخرى، نظر للساحرة نظرة تحدي بينما هي تقترب منه بشدة وصرخ في وجهها بآيات الله، فوجئ بالساحرة العجوز تتلوى وتقع على الأرض بينما تتعالى صرخاتها المدوية وهي ترفع يديها لتغطي أذنيها حتى لا تسمع كلمات الله عز وجل ، كانت تتعذب بحق من كلمات القرآن، كان وجهها يتغير كل بضعة لحظات، تارة يكون على شكل بنت صغيرة وتارة أخرى على شكل امرأة بارعة الحسن، امرأة تشبه داليا تماماً، لقد كانت هي داليا طوال الوقت، ظل يقرأ القرآن بأعلي صوت لديه ليفاجأ بقيوده تسقط من تلقاء

نفسها، وقعت على الأرض رغم أنه لم يمسسها أي شخص بينما ما زالت تلك الساحرة تتلوي، توقف عن قراءة القرآن لثواني ليجد أنه لا يستطيع تحريك قدميه وكأنه مشلول، بدأ في قراءة القرآن مرة أخرى فوجد أنه استعاد شعوره بقدميه، ركض أدهم ليخرج من ذلك المخزن وهو ما زال يتلو القرآن، ركض كما لم يركض من قبل في حياته، وجد أحد الأشخاص يجري ناحيته وهو يحمل سلاح في يده ولكنه بمجرد أن نظر إليه وهو يتلو القرآن وجد الرجل يتلوى على الأرض ويغطي أذنيه، أكمل ركضه، لا يعلم إلي أين ولكنه فقط يريد أن يخرج من ذلك المكان اللعين، كان يقترب من بوابة كبيرة للمكان ويسمع من بعيد صوت يشبه صوت الأزيز المتواصل، بعيد وخافت ولكنه مستمر في الارتفاع، إستمر يجري ناحية البوابة وناحية الصوت، حتى وصل أخيراً.

إستيقظ أدهم فزعاً على أزيز هاتفه، نظر حوله في عدم فهم للوهلة الأولى، كان ما زال في سيارته، أخذ يلتفت حوله ليرى أين هو، كان في الجراج الذي ترك به سيارته عندما ذهب ليقابل تلك الشيطانة المدعوة داليا، بدأ بالتدريج يتذكر ما حدث له من فقدانه للوعي وهو داخل سيارته، يبدو أنه أثناء ذلك حلم بهذا الكابوس الفظيع، ولكن رغم فزعه من الكابوس إلا إنه شعر بأن الكابوس ماهو إلا رسالة له، كان هاتفه ما زال يرن بإصرار، نظر للهاتف ووجد

أنها نور، يبدو أنه ظل فاقداً للوعي لعدة ساعات حتى بدأ القلق يأكل قلبها على زوجها، رد على الهاتف بتثاقل وهو يمسح حبات العرق الغزير التي غزت وجهه ليأتي له صوت نور القَلِق، تبدو وكأنها موشكة على الانهيار خاصة بعد قولها إنها علمت ما حدث معه في القناة وتأخره عن المجيء للمنزل حتى الآن، سألته عن مكانه الآن ولكنه لم يشأ إخبارها بلقائه بداليا، على الأقل ليس الآن وليس عبر الهاتف، طمأنها عليه قائلاً أنه ترك القناة وشعر بحاجته أن يكون وحده لبعض الوقت وأنه الآن في طريقه للمنزل، أنهى معها الاتصال وبدأ في التحرك بالسيارة، وحيداً في شوارع القاهرة الموحشة في الليل بدأ في التحرك نحو منزله، الحصن الوحيد له في الدنيا والذي يشعر به بالأمان، كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة صباحاً وبدأت الشوارع في الخلو من السيارات والمارة خاصة أن منزله على أطراف القاهرة، ربما لهذا السبب لاحظها، تلك السيارة الداكنة التي تتبعه، في البداية لم يكن متأكداً، ولكن مع كل منعطف له كان شكه يزداد أنها حقاً تتبعه هو شخصياً، لم يتجه مباشرة نحو المنزل وقرر أن يتأكد بأن يتخذ الطريق الأطول نحو منزله ولكن السيارة الأخرى كانت مصممة على تتبعه، هنا تأكد أن داليا تتبعه أو على الأقل أحد رجالها، فكر في زيادة سرعته ومحاولة الإفلات من السيارة المراقبة له ولكنه سرعان ما طرد تلك الفكرة من رأسه، هم يعلمون على الأرجح عنوان منزله

ولم يرد أدهم أن تعلم داليا أنه اكتشف مسألة مراقبته، لم يكن بحاجة لإثارة غضبها أكثر من ذلك إن حاول الإفلات من رجالها، أكمل أدهم طريقه نحو منزله وتوقف بالسيارة أمام العمارة التي يقطن بها ليجد السيارة الأخرى تتوقف بدورها على مسافة ليست ببعيدة عنه، بدأ في النزول لجراج العمارة الموجود أسفل العمارة كعادة البنايات الحديثة هذه الأيام، نزل من السيارة دون أن ينظر خلفه وتوجه نحو شقته ليفتح الباب ويقابل نور الملتاعة القلقة عليه، إبتسم في وجهها وطبع قبلة حانية على جبينها واحتضنها ليهدئ من روعها قليلاً، سألته عما حدث له ولماذا تم إنهاء تعاقده مع القناة رغم أنه من أهم المذيعين بها، كان يشعر برغبة بإخبارها كل شيء ولكنه خشي عليها مما يمكن أن تعرفه، ربما يخبرها عندما يفكر جيداً في المأزق الذي هو به الآن، كل سؤال منها كان يقابله كلمة لا أعلم منه، كانت نور زوجته وتوأم روحه لذا فقد كانت تعلم متي يكذب عليها زوجها وكانت هذه هي أول مرة يكذب عليها أدهم منذ أن تعرفت عليه وأحبته، أقلقها ذلك حقاً أنه بدأ اليوم في الكذب عليها ولكنها لم تُرِد وقتها أن تضغط عليه لكي تعلم الحقيقة، كانت تعلم أنه يمر بوقت عصيب وأنه يحتاجها ويحتاج حنانها و تفهمها وليس حيرتها وفضولها، سألته إن كان يريد بعض الطعام ولكنه لم يكن بالفعل يرغب في أي شيء، فقط كان يريد أن يرتاح قليلاً، ربما حينها يستطيع أن يفكر بهدوء في خطواته المقبلة،

كان بحاجة للتخلص من كل القلق والتوتر والفزع الذي عاشه اليوم كما لم يعشه من قبل في حياته كلها، استحم أدهم وبدأ في الشعور ببعض الراحة قبل أن يتوجه إلي غرفته ليحاول نيل قسط من النوم بينما كانت نور ما زالت في المطبخ تنهي بعض المهام، إتجه أدهم ناحية النافذة وببطء أزاح الستارة جانباً بقدر بسيط يجعله يري الشارع، وجد السيارة ما زالت كما هي في مكانها، نفس السيارة التي رافقته كظله حتى وصل إلى البيت، دخلت عليه نور لتجده يختلس النظر خارج النافذة لتسأله بقلق:

- هل كل شيء على ما يرام يا أدهم؟

نظر إليها وهو يرسم ابتسامة حاول أن تبدوا مطمئنة قبل أن يقول لها:

- نعم يا حبيبتي، لقد كنت أنظر فقط إلى الشارع، حسبتني سمعت صوتاً خارج العمارة ولكني لم أجد أي شيء، لا تقلقي.

توجه كلاهما إلى الفراش لنيل قسط من الراحة التي يعلم كلاهما أنها لن تأتي بسهولة، أدهم يحاول إخفاء ما حدث عن زوجته وفي نفس الوقت يحاول التفكير في أي مخرج مما هو فيه بينما نور تعلم أن هناك ما يخفيه أدهم عنها ولا تدري ما هو، ولكن بعد نصف ساعة غرق كلاهما في نوم عميق، ربما من التعب أو القلق الزائد

ولكنهما ناما على أي حال على أمل أن يكون الغد أفضل من اليوم ولكنهما كانا واهمان للأسف.

●●●

في مكتب داليا داخل قصرها المهيب دخلت سحر، على الأقل هذا هو اسمها الذي وهبته لها داليا، كانت داليا تتحدث في الهاتف عندما وجدت سحر تدخل عليها، كانت سحر ملفتة جداً للنظر ببنطالها الأسود وملابسها الضيقة التي تكشف تفاصيل جسد رائع ووجه يكشف نظراتها الواثقة المتعالية، أشارت لها داليا بالجلوس حتى تنهي المكالمة، جلست سحر في انتظار انتهاء داليا والتي فعلاً انتهت من المكالمة لتبتسم في وجه سحر ابتسامة ذات مغزي لكليهما، بدأت سحر الحديث قائلة:

ـــ كيف حالك يا أمي؟

أجابتها داليا قائلة وهي تنهض من مكتبها وتجلس على المقعد المقابل لسحر:

- سوف أكون بخير إذا أحضرتِ لي ما وعدتني به.

ضحكت سحر وقالت:

- ومنذ متى لا ألتزم بوعودي لكِ؟ بالطبع أحضرت لكِ طلبك،

أنتِ تعلمين أنني لا دوماً أفي بوعودي لكِ يا أماه، هن بالخارج ينتظرن إذنك بالدخول.

ردت عليها داليا وهي تشعل سيجارتها بالقداحة الذهبية:

- حدثيني عنهن أولاً .

أخرجت سحر صور لبعض البنات من حقيبتها وناولت الصور لداليا وهي تقول:

- تماماً كما تحبيهم، بنتين من أسر فقيرة ولكنهن على درجة كبيرة من الجمال ولكنه جمال مدفون ومهدور لم يجد بعد ما يستغله لمصلحته، إقتربت منهن في الجامعة وأغدقت عليهن بالرحلات والهدايا الباهظة حتى أصبحت صديقتهن المقربة، ثم بدأت في إقناعهم بتجربة المخدرات، في البداية اعترضن ولكني ابنتك وأعلم كيف أجعل الآخرين يفعلون ما أريد بالضبط، وفى النهاية هن الآن على استعداد لفعل أي شيء ليظلوا في تلك الحياة الجديدة التي اعتدن عليها لقد جعلتهن يمكثن لدي في منزلي حتى ينسون تماماً عائلاتهن وحياتهن القديمة، نسوا كل شيء إلا فقط ما أريدهن أن يتذكروه، أنه يمكنهن البقاء في تلك الحياة الجديدة مقابل بعض التنازلات وإلا عليهن الرجوع مرة أخرى للحياة الكئيبة المزرية التي كن فيها من قبل، والآن هن ملكك لتفعلي بهن ما تشائي يا سيدتي.

ربتت داليا على وجنتيّ سحر وهي تقول:

- أنتِ فعلاً ابنتي بحق، لقد أحسنت تربيتك، لم أخطئ عندما اخترتك لتكوني أول بناتي والمقربة لي دون باقي الفتيات، أنتِ مثلي يا سحر، تعرفين كيف تصلي لهدفك، والآن ماذا عن طلبي الآخر والأهم؟

ردت عليها سحر بحماس:

- الطلب جاهز في حقيبة سيارتي وقد أمرتهم بإدخالها إلى القاعة قبل أن أدخل إليكِ، لقد حاولت معها العديد من المرات لضمها إلينا ولكنها ادّعت الشرف تلك الحقيرة ولم توافق على ما طلبته منها رغم كل ما فعلته معها، أغريتها بالمال والحياة الرغدة السهلة ولكنها من الحمقى الذين يتمسكون بالأخلاق والدين لذا فهي ملكك الآن لتفعلي بها ما تستحقه تلك الحقيرة، أرجوا أن تعجبك وفي خلال أيام سوف أرسل لكِ المزيد يا أمي، هل تريدينني أن أسمح للبنات بالدخول الآن؟

أشارت لها داليا بالموافقة لتسرع سحر بالخروج من باب المكتب والإشارة للفتيات بالدخول، كان يبدوا أن سحر قد قامت بمجهود كبير على هاتين الفتاتين، قامت بإلباسهن أفخم الثياب والإكسسوارات، يبدو أنهن فعلاً مستعدتين للقيام بأي شيء للبقاء في هذه الحياة

الجديدة التي لم يعتادوا عليها من قبل، كانت داليا تعلم أنها تملكهم الآن وللأبد أو حتى تقرر هي عكس ذلك، نهضت من مقعدها وأخذت تتفحص الفتاتين بعين فاحصة مدققة في كل شيء يخصهن بينما هي تدور حولهن، في النهاية تحدثت إليهن قائلة:

- أظن أن سحر قد قامت بإخباركم ما هو المطلوب منك، أنتم بناتي من الآن فصاعداً، سوف تنسون أي شخص آخر سواي، اعلموا جيداً أنني ممتازة جداً في الثواب ولكنني أكثر تميزاً في العقاب، معي لا وجود لكلمة لا، كل شيء أقوله هو أمر بالنسبة إليكما، أستطيع جعل حياتكم جنة على الأرض، مال وملابس وسفر وكل شيء يمكن أن تحلما به ولكني أستطيع أيضاً جعلها جحيم عند مخالفة أوامري، سوف يكون هناك الكثير من الحفلات في هذا القصر وسوف يكون هناك حفلات خاصة، لن يكون دوركم مقتصر فقط على تلبية رغبات المدعوين، أريدكم أن تعلموا منهم على الفراش كل شيء عنهم، وصدقوني سوف يتحدثون كثيراً وهم مخمورين على الفراش معكن، أريد أن أعلم كل شيء سيقولونه، أسرارهم وأسرار عملهم وبيوتهم، كل شيء سوف يكون مفيداً لي في وقت لاحق، افعلا ذلك ولن تصدقوا ما يمكنني توفيره لكما، سوف أجعلكما تحصلان على كل شيء، سوف تكون أحلامكما حقيقة قبل أن تحلما بها أساساً، الآن سحر سوف تريكما المكان الذي ستمكثان فيه حتى نقوم بتوفير شقة خاصة بكما.

بدأت الفتيات في الانصراف والخروج من المكتب في الوقت الذي دخل فيه لوتان المكان على داليا المنتشية بضحاياها الجدد في عالمها القذر، قالت له الأخيرة وهي تجلس مرة أخرى:

– قم بتحويل مبلغ خمسون ألف جنيه لحساب سحر في البنك يا لوتان، لقد قامت بمجهود رائع حقاً.

أخرج لوتان مفكرة صغيرة وكتب فيها ما طلبته السيدة قبل أن يسألها:

– لقد قمنا بنقل الفتاة التي أحضرتها سحر للقاعة الصغرى، أما بالنسبة للأولاد من دار الأيتام فهم الآن معها في نفس القاعة وفي انتظار حضور سيدتي.

نهضت داليا بتثاقل مع مقعدها وهي تقول له حسناً، توجهت داليا إلي مكان القاعة الصغرى وفتحت الباب لترى الفتاة التي تحدثت عنها سحر مقيدة بالسلاسل من يديها وقدميها في وضع الوقوف، كانت الفتاة المسكينة تبكي وتصرخ بشكل هستيري وتحاول التخلص من قيودها دون جدوى بينما مجموعة من الفتيان الذين لا تتعدى أعمارهم الخامسة عشر عام جالسين على أرضية القاعة الخشبية في صف واحد بنفس الوضعية وجميعهم ينظرون إلي الضحية المعلقة في عدم فهم، كانوا يعلمون أنه لا يحق لهم طرح أسئلة على أمهم مهما

كان السبب، ازداد صراخ الفتاة عند دخول داليا للمكان، شيء بداخلها جعلها تتيقن أن تلك المرأة هي رسول الموت لها، بمجرد دخول داليا وقف الفتيان جميعهم في سرعة بينما داليا تسير أمامهم وتتطلع إليهم بنظرات قوية وشرسة وكأنهم جنود يستعدون لخوض معركة جديدة، كانت تمد يدها اليسرى ليقبّلوها بينما هي تسير أمامهم، انتهت من التطلع إليهم ونظرت الى الفتاة المرعوبة التي لا تفهم لماذا يفعلون بها هذا ، تقدمت إليها بينما الفتاة تترجاها أن تتركها ترحل لحال سبيلها فقالت لها داليا:

- ترحلي؟ لا تقلقي يا عزيزتي، سوف ترحلين من هنا ولكن بعدما أنتهي منكِ أولاً.

صاحت داليا بصوت مهيب على أحد الفتية الواقفين في انتظار أوامرها، صاحت بصوت عالي، عاصم، تعالى هنا، اقترب الفتى بخطوات مرتعشة بعض الشيء، حاول إخفاء تلك الرعشة ولكنها لم تفت على ناظريّ داليا، وقف أمام الفتاة وهو يتطلع إليها بشفقة بينما عرقه البارد يتصبب منه بغزارة، قالت له داليا وهي تنظر له بقسوة:

- أنت تعلم ما هو مطلوب منك يا عاصم، أليس كذلك؟

تردد عاصم قليلاً في الإجابة ولكنه في النهاية أجاب بكلمة واحدة:

- بلى يا أمي.

إرتسمت ابتسامة قاسية على وجه داليا بينما كان لوتان يناولها خنجر كبير كان في يده، تعالى صراخ الفتاة المسكينة وازدادت حركاتها المحمومة لفك قيودها ولكن دون جدوى، كانت تصرخ في وجه داليا وهي تقول:

- لماذا تفعلي هذا بي، أرجوكِ اطلقي سراحي، لن أتحدث مع أي شخص ولكن أتوسل إليكِ أن تتركيني أرحل، اتركيني من فضلك.

لم يبدوا على داليا أنها حتى سمعت تلك الفتاة ولا توسلاتها لها، أمسكت الخنجر بيدها ومدت يدها نحو عاصم الذي أخذه منها بيد مرتعشة خائفة، كان عاصم يعلم أنه لا يستطيع معارضة أوامر داليا، لقد شاهد من قبل مصير من يعارضها في دار الأيتام التي أنشأتها، وهو لا يريد هذا المصير لنفسه لذا كان لزاماً عليه أن ينفذ ما تقوله له، أمسك الخنجر بينما داليا تقف خلفه وتنحني حتى كادت شفتيها تلامس أذن عاصم اليسري وتقول له بصوت منخفض:

- يجب أن تثبت ولائك لي يا عاصم، أنت لا تعلم من هي تلك الفتاة ولن تكترث لأمرها إذا رأيتها في الطريق يوماً ما، ولكني أكترث لأمرك يا عاصم، أنت ابني وتعلم أنه يجب على الإبن أن ينفذ أوامر والدته وإلا سوف تغضب منه، أظنك تعلم معني غضبي يا عاصم ورأيته من قبل، سألها عاصم بصوت منخفض:

- ماذا فعلت لكي تستحق القتل؟

ردت عليه قائلة:

- لا يهم ماذا فعلت أو لم تفعله، المهم هو الطاعة يا عاصم، طاعة والدتك التي انتشلتك من الشارع وأطعمتك وجعلتك إنسان مرة أخرى، مَن الأهم عندك لديك، تلك الفتاة المجهولة بالنسبة إليك أم أمك؟

صمت عاصم ولم يعلق، كان صمته يعني الإجابة التي تريدها داليا، بدأ عاصم في رفع الخنجر ليبدأ مهمته القذرة التي تريدها داليا، كانت نظرات الفتاة تستجديه بأن يتوقف، بألا يفعل ما تريده تلك الشيطانة، نزلت دمعة ساخنة على خد عاصم وهو يوجه السكين نحو قلب الفتاة التي كانت تتحرك بجنون لتفادي مصيرها المحتوم الذي كتبته عليها الشيطانة الواقفة أمامها، كان الخنجر الآن ملامس لجسد الفتاة أمام قلبها مباشرة، فقط كان يحتاج أن يتم دفعه للأمام حتى تلقي الفتاة مصرعها ويثبت عاصم ولائه لأمه، كان ينظر للفتاة وكأنه يطلب منها أن تغفر له ما هو مقدم على فعله، كان كلاً منهما يتوسل بنظراته للآخر، ازدادت رعشة يد عاصم الممسكة بالخنجر وهو يرى نصل الخنجر على جسد الفتاة، كان يجب عليه أن يطيع داليا وإلا انتهي به الحال معلقاً بجوار تلك الفتاة ينتظر نفس مصيرها

المحتوم، حاول استجماع شجاعته المتناثرة ليكمل المطلوب منه، حاول أن يدفع النصل عميقاً داخل قلب الفتاة ولكنه كان غير قادر على ذلك، وكأن يده لا تريد تنفيذ ما يأمرها به، كان مضطر وهو في سنه المبكر تلك أن يواجه ما قد لا يحتمله الرجال، انتظرت داليا كثيراً عاصم أن ينفذ ما أمرته به ولكنه كان غير قادر على ذلك، فوجئ عاصم بنصل بارد ينغرس قليلاً باتجاه قلبه هو الآخر بينما داليا تقول له وهي تدفع السكين ببطء باتجاه قلبه:

– لن أنتظرك أكثر من ذلك يا عاصم، لذا اسمعني جيداً، أحد النصلين سوف يكون ملطخاً بالدماء في الدقيقة القادمة، يمكنك أن ترفض إطاعة أوامري ولكنني أستطيع فعل ما لا تستطيع أنت فعله، سوف تموت وسأجد شخص آخر ينفذ ما طلبته منك، لك أنت الاختيار، إما حياتها تلك الغريبة المجهولة بالنسبة إليك أو حياتكما معاً، بالنسبة لي الأمرين سواء، دقيقة واحدة يا عاصم تفصل بين حياتك وحياتها.

كان عاصم الآن يشعر بنفس شعور الفتاة المسكينة بالضبط، نفس الرعب والخوف من المصير الذي تقرر على يد تلك الشيطانة، كان الأمر بسيط ولكنه صعب في نفس الوقت، لذا لم يجد عاصم مفر من اتخاذ قراره، بدأ بدفع النصل داخل جسد الفتاة التي أطلقت صرخة

عاتية، صرخة موت تردد صداها داخل قصر الشيطان، صرخة لم تتجاوز مدتها بضع ثواني كان خلالها النصل يندفع ببطء مرتعش نحو قلبها، حتى استكانت حركتها دفعة واحدة وعلى وجهها نظرة لن ينساها عاصم طالما ظل حياً، بعد أن أنهى مهمته سقطت يده بجواره بينما ظل النصل داخل قلب المسكينة، رفع رأسه ببطء ليرى وجهها، يا ليته لم يفعل، كانت عيناها مفتوحتين على مصراعيهما تنظر باتجاه داليا، لم تنظر الفتاة في لحظاتها الأخيرة باتجاه قاتلها، كانت تعلم أنه اضطر لذلك وربما لو كانت هي في مكانه لما ترددت ولفعلت نفس ما فعل، ولكنها كانت تنظر قبل موتها مباشرة لقاتلتها الحقيقية، داليا، كانت نظرة مخيفة مرعبة على وجه القتيلة، حتى داليا تلك الشيطانة الباردة ارتعش جسدها من نظرة الفتاة الميتة، نظرة حقد ولوم وتوعد بعيون مفتوحة محدقة في وجه داليا مباشرة، نظرة تعني الكثير، وكأنها سترجع الانتقام في يوم ما ممن قتلتها بلا ذنب، تراجعت داليا خطوتين للوراء وهي ما زالت تنظر لعيني الفتاة وكأنها تخاف منها وتخاف من أن ترجع لتنتقم منها رغم أنها أصبحت جثة هامدة، سقط الخنجر من يد داليا على الأرضية الخشبية ليحدث صوتاً مكتوماً، أشاحت داليا بنظرها بعيداً عن عيون الفتاة الناظرة لها متوعدة إياها في صمت مميت، كان من المفترض أن تقول كلمة للفتيان الواقفين أمامها في انتظار ما ستقوله ولكنها ظلت صامتة، كانت عاجزة عن

الحديث تماماً، لذا فقد أشارت للوتان أن يتبعها وبينما هي في طريقها للخروج من القاعة حانت منها التفاتة أخيرة نحو الفتاة التي كانت ما زالت تنظر إليها حتى بعد أن ابتعدت، كانت ترغب بالخروج بسرعة من هذا المكان، قال لها لوتان وهو يسير خلفها:

– هناك موضوع آخر يا سيدتي، لم نتلقى رد بعد من أدهم فريد، ماذا تأمرين به الآن نحوه؟

قالت له داليا ببعض الارتباك:

– نعم، بخصوص أدهم، ما دام لم يستجب لأمري له إذن فليتحمل ما سوف يحدث، هو لا يعلم ما سوف يواجهه بسبب غبائه وعناده، افعل ما اتفقنا عليه يا لوتان وأخبرني أولاً بأول بالتفاصيل، أريده أن يأتي راكعاً لي يا لوتان، هل تفهمني؟ راكعاً.

●●●

إستيقظ أدهم من نومه متأخراً لأول مرة منذ فترة طويلة، لقد أصبح عاطلاً عن العمل لفترة وليس عليه الاستيقاظ مبكراً، على الأقل حتى يأتي له عرض من قناة أخرى للعمل بها، نظر بجواره فلم يجد زوجته نور بجواره على الفراش فقدّر أنها قد ذهبت لعملها، لم ينهض أدهم من الفراش لفترة من الوقت، فقط ظل جالساً على

فراشه يفكر فيما هو قادم إليه في الأيام المقبلة، لقد مر يومان منذ مقابلته الأخيرة والكئيبة مع داليا التي تنتظر رده أو بالأحرى موافقته على عرضها للعمل لديها، كانت قد هددته بما يمكن أن يحدث له أو لنور لو أصر على الرفض، ولكن لم يحدث شيء خلال اليومين الماضيين يفيد بأن داليا عازمة على تنفيذ تهديدها، على الأقل لم يحدث شيء ذو أهمية كبيرة، فقط كانت نور تظن بأن هناك أحد في الحمام وعندما يذهب لا يجد أحداً، وأمس ظنت أنها شاهدت شخص يمر أمام غرفة النوم ولكنه قام بفحص المنزل بالكامل ولكنه لم يجد أي شخص وكانت الأبواب والنوافذ كلها مغلقة من الداخل، ولكن عدا ذلك لم يحدث شيء، لم يعلم أدهم هل هذا لو علاقة بداليا أم لا ولكنها على أي حال أحداث صغيرة يمكن أن تحدث لأى منا دون سبب وفي أي وقت، ربما الإرهاق أو التفكير الزائد هو ما جعل نور تتخيل تلك الأشياء، خاصة أنه لم يرى ما رأته، نهض متثاقلاً من الفراش ولم يفت عليه أن ينظر من النافذة الموجودة بغرفة نومه، كانت السيارة ما زالت متوقفة كما هو حالها منذ غادر قصر الشيطانة داليا، كان يشعر كأن السيارة موجودة فقط لسبب واحد ألا هو تذكيره بما يمكن أن يحدث له إذا أصر على رفضه، لم يحاول أحد الاتصال بأدهم و إثارة رعبه كما يحدث في الأفلام ولكن الوجود الثقيل والغير مرحب به لتلك السيارة كان يثير حنقه

بشدة، وكأن داليا لا تريده أن ينساها أو ينسي تهديدها ولو للحظة، أسدل ستارة النافذة وتوجه إلى الحمام ليستحم ربما يشعر ببعض الاسترخاء الذي يحتاجه بشدة الآن، بعد أن أنهي استحمامه بدأ بالراحة ولو قليلاً، كان الحمام مليئاً بالبخار وهو يجفف نفسه، نظر أدهم إلى المرآة ولكنه لم يكن يستطيع الرؤية في المرآة بصورة جيدة لذا فقط توجه ليفتح باب الحمام قليلاً حتى يخرج البخار ورجع مرة أخرى أمام المرآة ليقوم بحلاقة ذقنه ولكنه لم يفعل، لأنه حينها رأى ما هو مكتوب على مرآة الحمام أمامه، انتهى الوقت، كانت تلك الكلمتين مكتوبتين علي المرآة، ولكن كيف ذلك، لم يدخل أحد الحمام، كان أدهم متأكداً أنه كان وحده فكيف حدث ذلك، بدأ ينظر حوله كالمجنون ولكن كان البخار يغمر كل شيء، ظل يشيح البخار بيديه وهو يصرخ، من هناك، من هناك، سوف أقتلك أيها الوغد، أظهر نفسك، فجأة رأى ذلك الظل الذي يتقدم من باب الحمام، كان البخار مازال يجعله غير قادر على الرؤية بصورة جيدة ولكنه رأى ذلك الظل جيداً، انتظر للحظات وقلبه يخفق بعنف حتى أصبح الظل أمام الباب المفتوح للحمام، حينها انقض عليه أدهم والتحم به، كان أدهم على استعداد لقتل ذلك الدخيل في تلك اللحظة، رفع قبضته ليضرب وجه ذلك الغريب ولكن يده توقفت عندما سمع الصرخة، هو يعرف صاحبة ذلك الصوت، توقفت يده عندما انقشع البخار ليجد أنه كان

على وشك ضرب زوجته التي صرخت في اللحظة الأخيرة، كانت نور قد عادت من عملها أثناء استحمام أدهم ولم ترغب أن تصدر صوته حتى لا تزعجه ولكنها عندما سمعت صوته يصرخ في الحمام توجهت هناك للاطمئنان عليه وحدث ما حدث، كانت نور على الأرض وعلى وجهها إمارات الفزع بينما أدهم يجثم فوقها وكأنه وحش هائج، عندما رأى أنها نور من كان على وشك الفتك بها نزلت دموعه منه بغزارة وهو يرتمي على الأرض باكياً بينما نور تحتضنه بحنان بالغ، كان زوجها يرتعش بين يديها بينما هي تقبله بلطف وتسأله عما جرى حتى يصل لتلك الحالة، كان على وشك إخبارها بكل شيء ولكنه لم يرد أن يصيبها بالرعب لو علمت الحوار الذي دار بينه وبين داليا، كان الأفضل أن يظل صامتاً ويكتم ما يعلمه داخل قلبه، ظن أنه بهذه الطريقة يحميها مما هو قادم، لذا فقد أخبرها بأنه شعر أن هناك أحد معه في المنزل وظن أنه لص، صدقت نور كذبة زوجها وأخذت تعتذر له لأنها لم تخبره بقدومها مما جعله يفزع ويتصرف على هذا النحو، مر باقي اليوم بطريقة عادية، بالطبع لم يعد أدهم كسابق عهده مع نور، ولكنها تفهمت ذلك الأمر، تفهمت صمته وقلة مزاحه معها كما هي معتادة منه، أرجعت ذلك إلى ما حدث له في القناة وأنه لم يعتاد على المكوث في المنزل طوال اليوم بلا عمل، بالطبع هذا كان مصدر ضيق لأدهم ولكنه لم يكن المصدر الوحيد، ظل يفكر طوال

اليوم فيما رآه على المرآة، انتهي الوقت، هل ستنفذ داليا تهديدها له بالفعل، المصيبة أن أدهم لا يعلم من أين ستأتي ضربة داليا ولا يعلم كيف سيتصرف حينها، جاء الليل وبدأت نور في الاستعداد للنوم، وبينما هي تستعد قام أدهم بتفقد كافة مداخل المنزل، تأكد من غلق جميع الأبواب والنوافذ بنفسه، حتى أنه أغلق باب الشقة بالمفتاح من الداخل حتى يتأكد تماماً من استحالة دخول أي شخص أثناء نومهم، دخل إلى الفراش بعد أن تأكد من غلق النافذة الموجودة بالغرفة، ثم قام بتقبيل نور التي أحتضنته قائلة:

– كل شيء سيكون على ما يرام يا حبيبي، هي فقط فترة عصيبة وستمر، ثق بكلامي.

إبتسم أدهم ابتسامة باهتة ولم يعلق على حديثها، بدآ في الخلود للنوم، لم يستطع أدهم ليلتها النوم بسهولة، ظل مستيقظاً لأكثر من ساعة على الفراش، كان ما زال يسأل نفسه عن تهديد داليا له ومتى سيحدث، حينها جاءه الجواب أسرع مما يتخيل، بدأ أدهم يسمع أصوات غريبة تصدر من جواره، نظر إلى نور ليجد جسدها يرتعش، كانت الرعشة في البداية بسيطة ولكنها سرعان ما كانت تزداد بوتيرة متسارعة، كانت تبدوا وكأنها تمر بأسوأ كوابيس عمرها، كانت ترتعش بينما عيناها مفتوحة وبيضاء وكان فمها يتحرك وكأنها تتكلم ولكن

لا يوجد أي كلمات مفهومة تخرج منها، أخذ أدهم يهزها بعنف لكي تستيقظ من هذا الكابوس بلا جدوى، كانت وكأنها محاصرة داخل ذلك الكابوس، لم يجد أدهم أي حل آخر سوى أن يقوم بصفعها بقوة حتى تستيقظ، حينها فقط وجدها تشهق بعنف وكأنها كانت على وشك الغرق وهي تتلفت حولها بجنون وتحاول ابعاد يديّ أدهم عنها وهي تصرخ بطريقة هستيرية، احتاج أدهم لعدة دقائق حتى بدأ جسد نور في الهدوء لتجد أدهم بجوارها يحتضنها بقوة، استكان جسدها حينها واستسلمت لذراعيه وأخذت في البكاء دون أن تنطق بكلمة واحدة، بعد نصف ساعة كان كلاً من أدهم ونور في المطبخ بينما هو يقوم بإعداد كوب من الشاي الساخن لها لكي تهدأ تماماً، رشفت نور رشفة كبيرة من الشاي وبدأت أنفاسها في الانتظام، حينها فقط بدأت في الحديث.

– كان الأمر فظيعاً يا أدهم، لم أمر في حياتي كلها بكابوس مثل ذلك، كان كل شيء يبدوا حياً وحقيقياً لدرجة لا تصدق، بعد أن خلدت للنوم أحسست بمن يوقظني بعد نصف ساعة تقريباً لأنني نظرت للساعة الموجودة بجواري وكان قد مضي نصف ساعة منذ نومي، لم أعرف من قام بإيقاظي، فقط شعرت بأنني قمت من الفراش ولكنني التفت لأراك ولكنك لم تكن وحدك على الفراش يا أدهم، لقد كنت معك ، أعلم أن كلامي لا يُصَدّق ولكنها الحقيقة،

عندما نظرت للفراش ورائي رأيتك ورأيت نفسي نائمين، لا أعلم كيف ذلك، لقد كنت واقفة ومستيقظة، و كأنني أصبحت نسختين لا أدري كيف، حينما نظرت أمامي مرة أخرى وجدتهم واقفين ينظرون إليّ بحدة، ثلاثة ظلال طويلة حتى تكاد تصل للسقف، فقط واقفين وينظرون إليّ دون أن يتحدثوا على الإطلاق، ظلال سوداء لا يوجد أي شيء يميز وجوهم باستثناء عيونهم، كان لهم عيون صفراء لامعة ولهم صوت أقرب لفحيح الثعابين، لم أكن أعلم هل أنا أحلم أم لا، كنت أشعر بكل شيء حولي وكأنني مستيقظة، وفجأة صرخوا بكل قوة، كنت أشعر بصراخهم داخل عقلي حتى كدت أجن، صراخ طويل حاد بينما هم يقتربون مني ويحاولون الإمساك بي، حاولت الهرب ولكن قدماي تسمرتا دون أن أملك القدرة على الحركة، وقعت على الأرض وأنا أحاول تغطية أذناي حتى لا أسمع صراخهم ولكن دون جدوى، فجأة توقف الصراخ وظلوا على وقفتهم أمامي ولكن حينها كانت تدخل الغرفة وهي تراني مستلقية على الأرض أمامها، كانت داليا يا أدهم، لم أعلم ذلك من ملامحها لأنها لم تأتي لي بصورة بشرية، كانت ظلاً مثلهم ولكنه ظل أحمر اللون بينما يتساقط من هذا الظل قطرات متتالية من الدماء بصوت عالي، ظلت تقترب مني وهي تبتسم ابتسامة شيطانية وأحسست بأن جسدي يهتز بعنف، حينها فقط استيقظت لأجدك جانبي، لا أعلم ماذا أصابني يا أدهم، لقد كان كل شيء وكأنه حقيقة أمر بها.

احتضنها أدهم برفق وهو يقول لها في محاولة لطمأنتها:

- لا يا حبيبتي، لقد كان مجرد كابوس، لقد كنت بجوارك مستيقظ طوال الوقت وأؤكد لكِ أنه كان مجرد حلم سيء مر بكِ لا أكثر، لا تقلقي، أنتِ معي الآن ولن يستطيع أي شخص أن يؤذيكِ طالما أنا حيّ، لن يستطيعوا يا حبيبتي.

خلال الأيام التالية ازداد الأمر سوءاً بالنسبة لنور، في البدء لم يتعدى الأمر الكوابيس المتكررة التي بدأت تصاحب نور في كل ليلة كظلها، ولكن بدأت الأمور في التطور، في البداية كانت نور ترى أشياء وهي مستيقظة لا يراها غيرها، في أحد المرات نادت على أدهم الذي كان في غرفة النوم وعندما أتي سألته هل دخل الحمام منذ لحظات أم لا، أنكر ذلك وقال لها لا وسألها لماذا تقول ذلك، أخبرته بأنها رأت شخص ما يدخل الحمام أمام عينيها وظنت أنه هو، بالطبع انطلق أدهم نحو الحمام ليرى هل به شخص ما أم لا ولكنه كان فارغاً ونافذته مغلقة من الداخل، أخبرها بذلك وقال لها أنها تخيلت ذلك لا أكثر، وفى مرة ثانية وجدها تصرخ وهي في المطبخ تعد الغداء، هرع ليرى سبب صراخها لتخبره أنها متأكدة من رؤيتها ليد محترقة تخرج من أسفل الموقد لتمسك قدمها بقوة، استل سكيناً ونزل على ركبتيه ولكن لم يكن هناك أي شيء هناك، أخذت تصرخ في وجهه:

– أنا لست مجنونة يا أدهم، أعلم ما رأيت وشعرت به، كانت هناك يد تحاول الإمساك بي، يجب أن تصدقني، لا تتركني يا أدهم، لا تتركني.

لم يعلم أدهم بماذا يجيبها، فقط احتضنها وهو يحاول طمأنتها بأنها طالما هي في المنزل سيظل معها في نفس مكان تواجدها حتى تشعر بالأمان، حاول بالفعل طوال فترة تواجدها في المنزل أن يظل معها في نفس المكان، أشعرها ذلك في البداية ببعض الأمان ولكن حتى وجود أدهم لم يكن كافياً، ذات مرة بينما هو جالس بجوارها يشاهدان التلفاز في غرفة النوم إذا بها تنتفض فجأة وتتراجع للخلف وعلى وجهها أعتي علامات الرعب، نادي اسمها عدة مرات ولكنها لم ترد عليه، فقط أشارت بأصابع مرتعشة نحو التلفاز وهي تقول لأدهم:

– أدهم، إنه ... إنه خلف التلفاز، إنه يخرج من خلف التلفاز.

نظر جيداً ليرى ما تتحدث عنه ولكن لم يكن هناك أي شيء غير طبيعي يلفت انتباهه، بينما نور ما زالت تتراجع وهي تفتح فمها وتهمهم بكلمات غير مفهومة، هزّها بقوة وهو يقول لها:

– نور، لا يوجد شيء هناك، أنتِ تتخيلين ذلك يا حبيبتي، ردي علي من فضلك.

ولكنها لم تكن تنصت له، أكملت إشارتها لهذا الشيء الخفي الذي تراه وحدها وقالت:

– أنقذني يا أدهم، إنه يقترب منا، لا أقدر على الحركة، إنه يريد قتلي، إنه قادم لي، أنقذني يا أدهم.

بدأت الدموع تنهمر من أدهم في صمت وهو عاجز عن مساعدة زوجته التي تستجير به، لم يكن يعلم ما عليه فعله أو قوله، فقط ضمها له وحاول دفن وجهها في صدره حتى لا ترى ما تراه الآن ولكنها بدأت في الصراخ وهي تصيح بصوت عالي:

– انه يسحبني من قدمي، لا تفلتني يا أدهم، لا تفلتني، ماذا تريد مني أيها اللعين، ماذا تريد؟

كان أدهم عاجزاً عن فعل أي شيء، أخذ في البكاء والصراخ وهو يحاول الدفاع عن زوجته ضد شيء هي الوحيدة الذي تراه، أخذ يضرب مقدمة الفراش عند موضع قدميّ نور بكلتا يديه وكأنه يحاول تخليصها مما هي فيه، كان لا يعلم ماذا يفعل ولا لماذا يفعله، كان عاجز وضعيف أمام استجداءات زوجته بإنقاذها، كان يضرب الهواء وهو يبكي صائحاً:

– إلا زوجتي أيتها الساقطة، أتركيها لحال سبيلها، لا تؤذيها، سوف أقتلك يا داليا، أرجوكِ اتركيها، أتوسل إليكِ.

وبمجرد أن نطق آخر كلماته همدت حركة نور فجأة واختفى صوتها، نظر لها برعب وهو يتوقع الأسوأ، تحسس نبضها فوجدها على قيد الحياة، لقد فقدت المسكينة وعيها بعد ما مرت به، تهالك جسده بجوار نور فاقدة الوعي واحتضنها وأخذ يقبل رأسها وشعرها المبلل بالعرق البارد وهو يبكي بنحيب صامت مرير على ما أصابها بينما هو عاجز عن فعل أي شيء لمساعدتها، في الصباح إستيقظت نور ولكنها لم تعد كالسابق، عندما سألها أدهم عن حالها اليوم لم ترد عليه، كان شعرها متناثر شاحبة البشرة، كانت تنظر أمامها وكأنها لا تشعر أصلاً بوجود أدهم معها في الغرفة، سألها مرة أخرى وهو ينهض من فراشه عما تشعر به الآن ولكنها كانت تمضي في طريقها وكأنها تحولت لزومبي من الذين يظهروا في أفلام الرعب، كانت تمشي بتثاقل نحو الحمام حتى غابت عن ناظريّ أدهم، ظل أدهم في الغرفة لبعض الوقت ممسكاً برأسه من أثر الصداع الفظيع الذي يطيح به بعنف، رأي نور وهي تخرج بعد دقائق من الحمام وتتجه نحو الصالون، حينها تذكر أن نور لديها أدوية مسكنة للآلام تأخذ منها يومياً، توجه حينها نحو الحمام لكي يبحث عنها لعلها تريحه قليلاً من ذلك الصداع المزعج ولكنه عند باب الحمام توقف قليلاً لينظر نحو نور ليطمئن عليها، حينها وجدها واقفة، لم يصدق عينيه في البداية ولكن كان فعلاً ما يراه حقيقياً، لقد كانت واقفة فوق مقعد في الشرفة تستعد للقفز، كانت نور على وشك الانتحار، صاح أدهم باسمها بفزع، نظرت نحوه بعيون دامعة منتفخة وقالت له:

– أنا آسفة يا حبيبي، ولكني لا أقدر على الصمود أكثر من ذلك، يجب أن أستريح يا أدهم، و أنت أيضاً يجب أن تستريح مني، اغفر لي يا حبيبي، سامحني.

ثم نظرت إلى الشارع أسفلها للمرة الأخيرة وبدت وكأنها قد عقدت عزمها بالفعل على الانتحار، ركض أدهم بمنتهى القوة والسرعة نحوها لإنقاذها ولكنها كانت قد بدأت أن تميل بجسدها نحو الشارع بالفعل، وقبل أن تبدأ رحلة سقوطها المريع كان أدهم قد وصل إليها وتشبث بملابسها في قوة ليمسك بها ويشدها نحوه، حاولت نور التخلص منه وهي تصرخ بأن يدعها تموت حتى ترتاح مما هي فيه، ظلت تصرخ كثيراً بينما أدهم ممسك بها بكل قوته وهو يبكي وينادیها باسمها، صرخت حتى فقدت الوعي مرة أخرى كما في الليلة الماضية، حملها برفق إلي الفراش وهو يقول:

– لن أفقدك يا نور، هل تسمعيني، لن أفقدك يا حبيبتي.

وضعها في فراشها وقام بالاتصال بجاره الدكتور محسن الصاوي الذي يقطن معه في نفس البناية، لم يتأخر الطبيب في الحضور خاصة أنه لم يكن قد خرج بعد للجامعة، قام بالكشف على نور وأعطاها حقنة مهدئة في نفس الوقت الذي كان يقول فيه لأدهم:

– سوف تجعلها تلك الحقنة تنام حتى الليل، هي تحتاج للراحة التامة حالياً، لا تحاول إيقاظها حتى لو تأخرت في الاستيقاظ، كل دقيقة وهي نائمة سوف تشعر بفائدتها عند الاستيقاظ، هل تأخذ مدام نور أي أدوية بصفة منتظمة؟

أجابه أدهم قائلاً:

– نعم ، تأخذ مسكنات للألم كل يوم تقريباً، لقد حاولت جعلها تذهب للطبيب لترى سبب ذلك الصداع المستمر معها ولكن كل مرة ترفض ذلك وتكتفي بالمسكنات.

رد عليه الطبيب وهو ينهض:

– يجب أن تتوقف تماماً عن أي أدوية في المرحلة القادمة، سواء مسكنات أو غيرها، سوف أتركها لترتاح الآن وسأرجع لتفقدها في المساء، من الأفضل أن ترمي بنفسك كل الأدوية حتى لا تستيقظ وتأخذ أي منها لأنها ربما حين تستيقظ ستشعر ببعض الصداع والغثيان، يجب أن تكشف أولاً ونجري لها أشعة لمعرفة سبب ذلك الصداع الذي ينتابها.

أومأ أدهم برأسه إيجاباً موافقاً على تعليمات الدكتور محسن وأوصله للباب، بعد أن غادر ذهب أدهم الي الحمام وأفرغ محتويات

كل الأدوية المسكنة التي تستخدمها نور في صندوق القمامة، كان بحاجة لوضع حد لكل ما يجري له ولزوجته ولكنه لا يستطيع ترك نور وحدها، لذا فقد اتصل بوالدة نور لتأتي وتمكث معها حتى تسترد عافيتها وبالفعل بعد نصف ساعة تقريباً كانت والدتها معها، حينها فقط بدأ أدهم في الشعور ببعض الراحة لوجود شخص آخر معه في المنزل يعتني بنور، كان بحاجة لهذه الراحة لكي يتفرغ لما هو مقبل على فعله في الأيام المقبلة.

في اليوم التالي قرر أدهم القيام بمهمة ما يجب عليه القيام بها، نزل من المبني الذي يقطن به متوجهاً الي سيارته، كانت السيارة التي تراقبه ما زالت في مكانها لم تتحرك متراً واحداً منذ استقرت أمام منزله، قرر بدلاً من التوجه لسيارته أن يتوجه مباشرة لتلك السيارة، كان يشعر بالحنق والغضب مما أصاب نور في الليلة الماضية لذا لم يتورع في الذهاب مباشرة للسيارة حتى لو كان ذلك يعني أن تعلم داليا أنه يعلم بأمر مراقبته، ظل في طريقه متجهاً للسيارة التي لم يبدوا أي شيء داخلها، كان زجاجها بالكامل من الزجاج الأسود، حتى الزجاج الأمامي مما يجعل من المستحيل أن ترى من بالداخل، طرق على الزجاج بعنف ولكن لا مجيب، طرق بقوة أكبر حتى كاد يكسر الزجاج ولكن لا يبدوا أن هناك أحد بداخلها، صرخ أدهم قائلاً:

- اخرج من السيارة أيها الوغد وإلا كسرت الزجاج وأخرجتك منها بالقوة.

لا رد من أي نوع وكأن السيارة فارغة، بدأ جمع من الناس في التجمع حول السيارة في محاولة لفهم ما يحدث، قال لهم أدهم أن صاحب تلك السيارة يطارد زوجته كل يوم، كان يعلم أن طباع المصريين الشرقية ستجعل المتجمعين حول السيارة في حالة هياج وقد يفتكون براكب السيارة، بدأ بالفعل الناس في الطرق بعنف على السيارة بل تمادى البعض وحاول بالفعل أن يكسر زجاج السائق ولكن حينها فقط أدار السائق المجهول محرك السيارة وانطلق بها في سرعة قبل أن ينجح المواطنين المتجمعين في مسعاهم في الفتك به حتى إنه صدم بجانب السيارة أحد البوابين الذي قدموا لمساعدة أدهم، كان رد فعل أدهم سريعاً، ركض نحو سيارته وأدار محركها بسرعة للحاق بمن كان يلاحقه من قبل، انقلبت الآية وأصبح المطارِد هو الطريدة وأدهم هو من يلاحق السائق الغامض، زاد أدهم سرعة السيارة حتى لحق به ولكن السائق الآخر كان محترفاً بحق واستطاع زيادة المسافة بينه وبين أدهم، كان الآن الاثنان ينطلقان في مطاردة بالسيارات على مشارف القاهرة، كان السائق يحاول بإستماتة الهرب من مطاردة أدهم له ولكن أدهم كان يحركه ويحفزه غضبه مما حل بزوجته وكان حينها على استعداد لفعل أي شيء لإطفاء نار غضبه ولو بدرجة

قليلة، في النهاية إقترب أدهم كثيراً من السيارة الأخرى والذي كان يبدوا أن سائقها لن يتوقف، لذا فقد أدار أدهم مقود سيارته وقام بالارتطام بالجزء الخلفي للسيارة الأخرى من ناحية اليمين، كان يعلم أن تلك الحركة سوف تجعل السائق يفقد السيطرة على السيارة، وكان له ما أراد، ماهي إلا لحظات وبدأت السيارة في الانقلاب عدة مرات وزحفت قليلاً في الرمال على جانب الطريق قبل أن ترتطم بعنف بأحد أعمدة الإنارة وتتوقف عن الحركة، كان أول مرة في حياة أدهم أن يقدم على مثل هذا الفعل ولكن الغضب الذي كان يغلي بداخله جعلاه يقدم على ذلك، لا يوجد لديه أهم من زوجته لحمايتها، لقد وقف ساكناً عندما تم إيقافه عن العمل ولم يفعل أي شيء ولكنه لن يقف بعد الآن مكتوف اليدين أمام داليا مهما كلفه الأمر مادامت داليا قد أدخلت نور في حربها القذرة ضده، لم يقف أدهم حتى يرى ماذا حل بخادم داليا في السيارة، فقط انطلق فى طريقه ليحاول كشف الغموض عما يحدث له، كان مصمماً أكثر من أي وقت مضي على الوقوف بوجه داليا مهما كانت النتائج، حتى لو كانت داليا هي الشيطان نفسه.

أنهى أشرف عمله في موعده كعادته، لم يرق له أن يعمل مع مذيع آخر بخلاف أدهم ولكنه لا يستطيع الاعتراض على قرار رئيس القناة، بالإضافة أن أدهم شخصية إعلامية معروفة وسوف يجد

الكثير من القنوات الفضائية الأخرى التي تريد منه العمل معها، كان يشعر بندم عميق لأن ما حدث لأدهم كان بسببه بطريقة أو بأخرى، على الأقل هو ساعد داليا ولو بطريقة غير مباشرة في إيذاء أدهم ولكنه لم يكن يملك أي حل آخر، كان من الصعب علي أي إنسان أن يرفض أمراً لداليا، خاصة أنها تستطيع إيذاؤه بحق، كان قد وصل للدور الذي يقطن به وعلى وشك فتح باب الشقة عندما شعر بحركة خلفه، نظر ببطء وقلق ليجد أدهم واقفاً خلفه ويبتسم له ابتسامة خفيفة وهو يقول:

- لقد انتظرتك طويلاً يا صديقي.

بدأ العرق يتصبب من وجه أشرف الذي حاول رسم ابتسامة مرتبكة على وجهه، لم يكن يعلم سبب زيارة أدهم له وانتظاره إياه وقد أقلقه ذلك، قال له بتلعثم:

- أدهم، لم أتوقع زيارتك لي، هل كل شيء على ما يرام؟

أجابه أدهم قائلاً:

- هل سنكمل حديثنا على الباب يا أشرف، أين أدب الضيافة يارجل؟ فلتدعوني أولاً للدخول حتى نستطيع التحدث.

أومأ أشرف برأسه بتوتر بمعنى الموافقة وفتح باب شقته ليدخل هو وأدهم داخل الشقة، كان يبدوا عليها الإهمال الشديد وكأنه

obeikan.com

لايوجد من يعتني بالشقة رغم أن أشرف متزوج من سيدة فاضلة رآها أدهم عدة مرات في العديد من المناسبات من قبل، كانت الشقة مغبرة وعلب وأكياس الطعام مبعثرة في كل مكان بينما الشقة نفسها كانت مظلمة ويملأها رائحة الغبار والسجائر، وبينما كان أدهم يتأمل الشقة جاءه سؤال أشرف مرة أخرى:

- هل كل شيء على ما يرام يا أدهم؟

أجابه أدهم قائلاً:

- فلتقل أنت لي، يبدوا أنك تعرف أكثر مما أعرفه.

بدا على أشرف علامات عدم الفهم وزاد ارتباكه حتى أن سلسلة مفاتيحه سقطت منه دون أن يقصد، مال أشرف ببطء ليلتقطها ولكن يد أدهم كانت أسرع منه، التقطها و ناوله إيّاها وهو يسأله:

- لماذا أنت متوتر لهذه الدرجة يا أشرف؟ هل رؤيتي تزعجك لهذا الحد؟ لم أكن أعلم أنني أخيفك لهذه الدرجة.

رد عليه أشرف بعصبية:

- لماذا أنت هنا يا أدهم؟ ماذا تريد مني؟

تجاهل أدهم أسئلة صديقه وسأله:

- أين زوجتك نادية؟ لا أظنها هنا منذ فترة وإلا لكانت حالة الشقة أفضل من ذلك.

بدأ جسد أشرف يخ الارتجاف من شدة التوتر وقال لأدهم وهو يشيح بنظره بعيداً عنه:

- لا شأن لك بزوجتي يا أدهم، قل لي لماذا جئت و إلا اضطررت لأن أطلب منك الانصراف.

للمرة الثانية يسأله أدهم وهو يقترب منه وكأنه موشك على ضربه:

- أين زوجتك يا أشرف؟ أين نادية؟

حينها لم يتمالك أشرف نفسه وهمّ بلكم أدهم الذي تفادي اللكمة وأسقطه أرضاً وهو يصرخ يخ وجهه:

- ماذا فعلت بزوجتك؟ أين هي؟ هل هذا ما عنيته بقولك أنك اضطررت لفعل أمور ستندم عليها بقية حياتك؟ إذا لم تقل لي ماذا حدث لها فسوف أذهب لإبلاغ الشرطة، أين هي أيها الوغد؟

حاول أشرف المقاومة وتوجيه اللكمات لأدهم ولكن الأخير كان قوياً وسيطر على أشرف الذي بدأ في البكاء بحرارة وهو يقول بصوت متقطع:

- لقد نالت جزائها تلك الساقطة، لم يعد بإمكاني الصبر أكثر على خيانتها لي، لقد أعطيتها كل شيء، وهبتها حياتي وقلبي وبالرغم من ذلك خانتني، هل عرفت الآن ماذا جرى لها، هل استرحت الآن، لقد نالت ما تستحقه، كان يجب أن أقتلها، كان يجب عليّ ذلك، لم أملك خياراً آخر.

وانخرط في بكاء مرير حتى أن أدهم نفسه الذي تجمد للحظات من الصدمة قد أشفق عليه مما هو فيه الآن، نهض أدهم من فوق أشرف المستلقي على الأرض وهو يضم ركبتيه على صدره ويبكي بحرقة، لم يكن يصطنع الحزن أو الندم على ما فعله، شعر أدهم بأنه بالفعل نادم على الكارثة التي قالها له الآن، ربما حتى كان يريد أن يعترف بما فعله لأي شخص حتى جاء له أدهم ليعترف أمامه لعله يتخلص من بعض الذنب الذي يأكل قلبه، لم يتوقع أدهم هذا الاعتراف على الإطلاق من أشرف، كان يعلم مدي حب أشرف لزوجته فكيف استطاع فعل ذلك وماذا حدث، كان هناك الكثير من الأسئلة التي تقفز في ذهن أدهم ولكن حالة أشرف لم تكن تسمح بطرح أي

أسئلة عليه، كان يجب على أدهم الانتظار لبعض الوقت حتى يهدأ أشرف قليلاً ويحكي له ما حدث، في البداية لم يبدوا على أشرف أي استعداد للكلام عن هذا الموضوع ولكن أدهم ظل يلح عليه للحصول على إجابات، كان يريد أن يعلم ما يمكن أن يواجهه في الأيام المقبلة من تلك الشيطانة التي تريد تحويل حياته لجحيم تماماً كما فعلت مع أشرف، في النهاية بدأ أشرف بالحديث قائلاً:

- كان كل شيء على ما يرام بيني وبين نادية، لقد كانت هي كل شيء في حياتي، أحببنا بعضنا البعض منذ كنا ندرس سوياً في الجامعة، تشاركنا أحلامنا وطموحاتنا حتى تكللت علاقتنا بالزواج، عشر سنوات من الزواج الهادئ الرائع، ولكن بدأ كل شيء في الانهيار بعد معرفتي لداليا، دعاني صاحب القناة محمد كامل لحفلة من حفلاتها، كانت حفلة أسطورية بمعنى الكلمة، كان الإبهار هو عنوان كل شيء، لم أكن أتخيل أن المال يستطيع فعل كل ذلك ولكني كنت مخطئاً، المال يمكنه فعل الكثير، قام محمد بتعريفي لداليا وأخبرها بمهنتي وكان يبدوا عليها منذ اللحظة الأولى الإعجاب بي، لا أعلم لماذا شعرت بذلك ولكني فقط علمته، ربما نظراتها لي واهتمامها الدائم طوال الحفلة بسؤالي عما إذا كان ينقصني شيء أو أنا في حاجة إلي أي شيء، بهرتني داليا بما تفعله معي، كان من الرائع أن تشعر أنك محطّ اهتمام إمرأة ساحرة وثرية مثل داليا، الكل يحاول التقرب منها

وكسب ودها ولكنها كانت مهتمة بي أنا، أنا المخرج الصغير الذي لا يعرفه أحد، بدأت في حضور حفلاتها بكثرة، لم أعد بحاجة لدعوة من محمد كامل لأنها هي من كانت تدعوني شخصياً للحضور، بالطبع بدأت نادية في الشعور بالغيرة شأنها شأن أي زوجة ولكني لم أعبأ بذلك، كنت منجذب بشدة لداليا وأريد التقرب منها أكثر والدخول في عالمها الوردي المخملي، رفضت نادية بعد بعض الوقت الحضور معي لتلك الحفلات وقد سرني ذلك كثيراً، لم أكن أريد أن تفتعل معي مشكلات كلما رأتني أتحدث مع داليا، بدأت الخلافات في الدخول بيننا بعدما كنا مثال للزواج الناجح، نسيت كل شيء يخص زواجي، نسيت أن نادية وافقت على البقاء زوجة لي حتى بعد علمها بعدم قدرتي على الإنجاب، كنت كأني واقع تحت سحر تعويذة قديمة ما، بدأت الحفلات تصبح أكثر خصوصية وأقل في عدد الحضور وعندما سألت عن ذلك قالت لي أن تلك الحفلات لا تدعو لها إلا من كان قريباً لقلبها، كنت في قمة سعادتي أنني من القلة المحظوظة المقربة لداليا، بدأت الحفلات تأخذ طابعاً غريباً في البداية، موسيقى غريبة تلف المكان وتجعلك تشعر بالنشوة وتفقد احساسك بالزمن، مشروبات كحولية غريبة تجعلني أشعر وكأنني مسلوب الإرادة، وكأنني دخلت عالم رائع كالجنة على الأرض لا أريد الخروج منه، ثم بدأت حفلات الجنس الجماعي، نعم، ذات مرة وبينما كنا في أحد حفلاتها الخاصة

كما تدعوها داليا وجدنا الفتيات الموجودات بالحفل يبدأن في خلع الملابس والرقص عراة أمامنا، كان يبدوا على الآخرين أن تلك لم تكن المرة الأولى لهم أن يروا ذلك المنظر ولكنه كان أول مرة لي، ظللت محملقاً فيما أراه غير مصدق لما يحدث ولكنني لم أرحل، كنت أشعر بالاشمئزاز وفي نفس الوقت بالنشوة والرغبة والمتعة، كان كل شيء أمامي أجربه لأول مرة في حياتي، بدأت في الاندماج بقوة في الحفلات، لم أكن أفوّت أي حفلة مهما كانت مشاغلي، بالطبع لم يغب عن نادية ما أفعله، شَعرَت بأن كل شيء تغير منذ دخلت داليا حياتنا ولكني لم أبالي بها أو بما تقوله، كان كل همّي أن أظل في هذا العالم ولا أغادره أبداً، لذا لم أتردد عن تنفيذ كل أوامر داليا مهما كانت.

هنا قاطعه أدهم متسائلاً:

- أوامرها؟ بماذا كانت تأمرك؟

تنهد أشرف متذكراً تلك الأيام ثم قال لأدهم:

- في البداية أشياء بسيطة، ضرب حيوان ما أو صفع أحد خدمها على وجهه، ثم بدأت الأوامر تتطور بأمرها لي بقتل حيوانات وانتزاع قلوبها وأكلها، كان الأمر مقززاً في البداية ولكنها خيرتني بين طردي من جنتها أو فعل ما تريد، لم أكن للاستعداد للرجوع مرة أخرى مجرد مخرج مجهول لا يعرفه أحد ولا يأبه به أحد، اضطررت لفعل ما تريد بالضبط، وبدأ الموضوع يزداد سوءاً بدخول الأضاحي البشرية.

صعق أدهم وهو يقول باستنكار:

- ماذا تقول؟ يبدوا أنك جننت تماماً.

إبتسم أشرف بضعف وردّ على أدهم قائلاً:

- ليتني جننت حينها يا صديقي، ربما لم أكن لأفعل ما فعلته بعدها، مع مرور الوقت بدأت أعلم حقيقة داليا، لم تكن مجرد إمرأة غامضة أو تتبع طائفة سرية، لقد كانت هي الشيطان نفسه على الأرض يا أدهم، داليا هي سفيرته على الأرض، كانت تقوم بكل ما يطلبه الشيطان لإرضائه ولإغواء المزيد من الأشخاص لإتّباعه، كانت كل يوم تُزيد عدد أتباعها في سرية تامة، أنت لا تتخيل عدد أو وظائف من يتبعون داليا، انها تضم كل يوم الكثير من الأشخاص، تدعو الجميع لحفلاتها المبهرة في البداية حتى تختار من بينهم الأصلح والأكثر فائدة لها، حينها تبدأ في دعوته للحفلات الخاصة كما فعلت بي وأعتقد بك أنت أيضاً، حينها تبدأ شخصيتها الحقيقية في الظهور ولكنك تكون قد أصبحت تابعاً لها بالفعل ولا تستطيع الفكاك من براثنها، إذا قررت الاعتراض فلديها التصوير الكامل لحفلاتها الماجنة التي توفرها لزبائنها و أتباعها، تستطيع بمنتهي السهولة القضاء على أي شخص يفكر في الاعتراض على قوانينها أو التمرد عليها، لذا لم أستطع الاعتراض عندما طلبت مني المشاركة في عمليات التضحية

البشرية للتقرب للشيطان، كنت بالفعل غارق حتى النخاع في عالمها ولا يمكنني التملص منه وإلا انهار كل ما له معني في حياتي، قتلت من أجلها وكنت كلما أنفذ لها أمراً صعباً تزيد من مكافأتها لي حتى لا أشعر بتأنيب ضمير أو أتحدث بهذا الموضوع مع أي شخص، حتى جاءت ذات مرة وأرتني صوراً لن أنساها أبداً، كانت صور نادية وهي في أحضان رجل آخر، لم أتحرك لدقائق من الصدمة، ظللت محدّقاً في الصور غير مصدق أن زوجتي يمكنها أن تفعل شيء كهذا، أعلم أنني لم أكن زوجاً صالحاً منذ تعرفت على داليا ولكني لم أتوقع أن تأتي الخيانة منها، ظلت تريني صور والمزيد من الصور ثم جعلتني أسمع مكالمات جنسية لنادية مع عدة رجال، كان ذلك فوق احتمالي، أعلم أنني انشغلت عنها وتغيرت كثيراً في الفترة التي دخلت فيها عالم داليا ولكني لم أتوقع أن تخونني، ليس نادية، تحولت حياتي لجحيم، قالت لي داليا ألا أفعل أي شيء ولا أواجه زوجتي بما عرفته، كانت تقول لي أنه سيحين الوقت الذي أنتقم فيه لشرفي وكرامتي ولكن ليس الآن، ليس حتى تأمرني هي بذلك، كنت مضطر لأن أتحدث مع نادية وأتعامل معها رغم علمي بخيانتها، كنت أحياناً أنظر لها وهي نائمة ليلاً وأتمنى لو أخنقها بيداي ولكني لم أستطع فعل ذل ، كنت تحت رحمة داليا ومضطر لإطاعة أوامرها، كنت كلما قابلت داليا في حفلاتها ذكرتني بما فعلته نادية بي وما يمكن أن تكون فاعلته

الآن بينما أنا غافل خارج المنزل، لم أكن أفكر في أي شيء سوى الانتقام مما فعلته بي نادية، حتى أتي اليوم الذي حدثتني فيه داليا بأنه حان وقت الانتقام لكرامتي من تلك الخائنة، أرادتني أن أقتلها وأمام الجميع حتى أشفي غليلي منها وفي نفس الوقت حتى تري ذلك بنفسها وتسمح لي بانضمامي إلى زمرة رجالها المخلصين، ترددت في البداية رغم أن قتلها خطر على بالي عشرات المرات منذ عرفت بأمر الخيانة، ولكن أن أنفذ ذلك فعلاً، كان صعباً جداً رغم كل شيء، ولكن داليا لم تدعني وحال سبيلي، ظلت تذكرني وتهمس لي في أذني بما فعلته نادية وكيف أنها لم تصن ثقتي بها وقامت بخيانتي، ظلت داليا تحاول اقناعي بشتي الطرق حتى وافقت أخيراً، كان يجب على فعل ذلك ربما تنطفئ النار المستعرة بداخلي، أقنعت نادية بالحضور معي لحفلة من حفلات داليا، بالطبع في البداية رفضت تماماً ولكنها وبعد إصراري وافقت على مضض، لم تكن تعلم أنها تتجه بقدميها إلى حتفها وأمام الجميع، كانت تثق بي حتى اللحظة الأخيرة، لم تنفك داليا أن تذكرني بخيانتها لي وبأنها تستحق ما سوف يحدث لها على يدي، لا زلت أتذكر نادية وهي موثقة أمامي لا تملك سوى دموعها لتستجدي عطفي ولكنها كانت خائنة وأنا لا يمكنني أن أتسامح مع ذلك، حتى لو كنت ضعفت حينها لم تكن داليا لتسمح لي بالتراجع، كان يجب علي إنهاء ما بدأته، لقد ذهبت بها لقصر داليا لسبب واحد

ويجب أن يحدث ما تريده داليا، وقتلتها، قتلت زوجتي الخائنة بيد مرتعشة ولكني فعلتها على أي حال، ومنذ ذلك الحين لم يعد أي شيء له معني في حياتي، كل شيء فقد طعمه، حتى حفلات داليا الصاخبة والماجنة فقدت بريقها وسحرها وشهوتها، مات كل شيء بداخلي بموت نادية على يدي، أحياناً أستيقظ في منتصف الليل والعرق يغمر جسدي فإذا بي أرى نادية بجواري على الفراش غارقة في دمائها وفي عينيها نظرة لوم وعتاب لي، حينها أفزع و أصرخ لأجد أنني كنت أحلم وأهلوس أثناء النوم، هذا ما حدث، يمكنك أن تبلغ الشرطة يا أدهم، لم تعد تفرق معي الحياة من الموت، كل شيء أصبح سواء عندي بعدما فعلته، كان يجب أن أعطيها فرصة لكي تدافع عن نفسها، كي تشرح لي لِمَ فعلت ذلك، ربما ، ربما كنت حينها أبقيت على حياتها وتركتها ترحل لحال سبيلها، ولكني لم أفعل، وها أنا الآن أحيا في جحيم طوال الوقت بسبب ما حدث وما فعلت، هيا يا أدهم، ماذا تنتظر، اتصل بالشرطة وقل لهم أنني قتلت زوجتي، هيا.

لم يتحدث أدهم، لم يكن يعلم بماذا يجيبه أو كيف يتصرف، نهض أشرف من مقعده وأمسك سماعة الهاتف ومد يده بها نحو أدهم وهو يصرخ في وجهه:

– هيا، اتصل بالشرطة، ربما وقتها ارتاح قليلاً مما أنا فيه، هيا، أبلغهم عن الوحش الذي قتل زوجته الخائنة بدم بارد، ماذا تنتظر أيها الوغد، ماذا تنتظر؟

وانخرط أشرف في موجة جديدة من البكاء ووجهه نحو الأرض، أمسك أدهم بسماعة الهاتف ووضعها مكانها مرة أخرى وربت على ظهر صديقه واحتضنه برفق بينما أشرف ما زال يبكي بحرقة ودموعه الساخنة تبلل قميص أدهم، انتظر الأخير بعض الوقت قبل أن يقول:

– أشرف، ربما يجب عليّ فعلاً إبلاغ الشرطة عنك وعما حدث، ولكنني لن أفعل ذلك، ربما يكفيك ما أنت به من ندم على ما حدث، ربما لأني أحتاجك لمواجهة تلك القذرة، داليا ليست إنسانة يا أشرف، إنها شيطانة تريد إفساد العالم كله بشرورها وجشعها وذنوبها التي تلقيها على الآخرين حتى يصبحوا مثلها، صدقني لو كنت مثلها يا أشرف ولو كانت فعلاً نجحت في تحويلك لشخص آخر لكنت اتصلت بالشرطة الآن لتأتي وتخلص العالم منك، ولكنك ما زلت تحمل بعض الخير بداخلك يا صديقي حتى ولو لم تري ذلك الآن، أشرف، أنا فعلاً أحتاجك لكي نواجه سوياً تلك المرأة، ألا ترى كيف جعلتك وكيف أصبحت بسببها، إنها تقتل كل ما هو جميل بداخل أي شخص تلمسه يا أشرف، أنا لا أعلم كيف ننجح في مواجهتها ولكني أعلم أننا يجب

ألا نستسلم لها مهما حدث ومهما رأينا منها، لقد رأيت ما يمكنها فعله في البشر بالإضافة إلى أنك قريب منها وتثق بك الآن، من المؤكد أنك تعلم كيف نقضي عليها، أرجوك ساعدني يا أشرف.

نظر أشرف بعينين دامعتين حمراوين إلي أدهم وقال له ببطء:

– آسف يا أدهم، لا أستطيع مساعدتك، لقد فقدت القدرة على كل شيء، فقدت كل رغبتي في الحياة، دعني و شأني من فضلك يا أدهم، لن يمكنك أبداً الانتصار عليها، إنها تعلم كل شيء قبل حتى أن يحدث، ربما حتى رأتك وأنت قادم هنا.

أجابه أدهم بسرعة:

– لقد استطعت الإفلات من مراقبتها لي، لا أحد يعلم أنني في طريقي لهنا حتى نور نفسها لا تعلم، وأتمنى أن تتوقف عن التحدث عن داليا وكأنها لا يمكن مواجهتها لأنها تعلم كل شيء، سوف نواجهها سوياً يا صديقي، أنني أحتاجك بحق.

جلس أشرف على المقعد الموجود خلفه ولم يتحدث، إنتظر أدهم أن يقول له أي شيء ولكن أشرف ظل صامتاً محدقاً في أرضية المكان وكأنه تمثال من الشمع، شعر أدهم بعدم جدوى بقاؤه في المكان أكثر من ذلك، لن ينفعه أشرف بأي شيء ولن يكون ذا عون له، لذا قال له بينما يهم بمغادرة المكان:

- يبدو أنني كنت مخطئاً عندما ظننت أنه يمكن الاعتماد عليك، ولكن دعني أقول لك شيئاً قبل أن أغادر، لقد حاولت نور اليوم الانتحار والتخلص من حياتها بسبب ما جعلتها داليا تمر به، نعم، حاولت الانتحار، وأنا لن أقف مكتوف اليدين حتى أرى الإنسانة الوحيدة التي تعني كل شيء في حياتي أن تضيع مني، سوف أواجه داليا يا أشرف حتى لو كنت بمفردي، كنت أتمنى وقوفك بجانبي، كنت أتمنى أن تساعدني، ربما حينها كنت استطعت التخفيف من الذنب الذي تشعر به نحو زوجتك، ربما حين تنقذ زوجتي تكون قد أنقذت زوجتك بشكل ما، ولكنك لا تريد فعل أي شيء، تركت داليا تتحكم في حياتك وتقلبها رأساً على عقب دون أن تحرك ساكناً، لن افعل مثلك يا أشرف وسوف أقاوم لأن هذه زوجتي وهذه حياتي ولن أدع أي شخص يسلبهم مني، فلتظل في مكانك تنعي الماضي وتتركه يأكلك من الداخل حتى يجعلك روح فارغة داخل جسد واهي، أما أنا فلا، داليا إنسانة وليست إله وأستطيع القضاء عليها وسوف أقضي عليها حتى لو كلفني ذلك حياتي مقابل حياة وسعادة نور وسلامتها، إلي اللقاء ياصديقي، عسى أن تستطيع يوماً ما مسامحة نفسك على ما فعلته في حقك وحق زوجتك.

غادر أدهم شقة أشرف وهو يشعر بالحسرة على صديقه الذي ظن أنه يمكنه مساعدته ولكنه كان مخطئاً، هو الآن في هذه الحرب

وحده ودون مساعدة من أي شخص كان، ولكنه لن يتراجع، حياة زوجته على المحك ولن يترك داليا تنتصر عليهما، لن يدعها تفوز عليه مهما حدث.

داخل قاعة الشيطان كما تسميها داليا كانت تقف وحيدة، كانت الساعة اقتربت من تجاوز الثانية عشر صباحاً، كانت تقف في منتصف القاعة السوداء ذات الأرضية الرخامية السوداء التي يشوبها الحمرة، لا تعلم هل هذا اللون الأحمر من الرخام نفسه أم من دماء ضحاياها، تنظر نحو باب القاعة الكبير تنتظر شيء ما على وشك الحدوث، واقفة مهيبة مرعبة بردائها الأسود الطويل شابكة يديها خلف ظهرها، تتطلع في القاعة المليئة بالرموز الشيطانية المرعبة على جدرانها، القاعة التي يتناثر على أرضيتها الملساء عظام صغيرة لحيوانات وطيور بينما يوجد في المنتصف تماماً أمام داليا مذبح أسود من الرخام ممددة عليه طفلة لم تتجاوز العشر سنوات تبكي بصوت مكتوم نتيجة وضع قطعة من اللاصق على فمها الصغير، كانت المسكينة تبكي بحرقة وهي تحاول بيديها الضئيلتين فك وثاقها دون فائدة، كانت تنظر لداليا نظرة استعطاف ممزوجة بعدم الفهم لما يحدث لها الآن دون أي ذنب اقترفته، نظرت لها داليا بدورها ولكن شتّان بين نظرات الفتاة والشيطانة، كانت نظرات داليا للفتاة باردة وقاسية ومخيفة، وكأن الشيطان نفسه هو من ينظر إليها الآن، قالت داليا للطفلة المرتعدة:

– أعلم أنكِ خائفة ولا تفهمين ماذا يحدث لكِ أو لماذا، ربما كان هذا هو جمال الأمر، أنك ستموتين دون أن تعلمي ماذا اقترفتِ أو ربما لم تقترفِ، أنت على وشك الموت يا صغيرتي، فقط لأنني أمرت بذلك، لأنني أستطيع ذلك، وسوف أفعله بكل سرور وسعادة يا طفلتي، هل ترين هذه الساعة أمامك، بمجرد أن يعانق العقربين بعضهما البعض معلنين قدوم الساعة الثانية عشر سوف يعانقك الموت بعدها بلحظات.

وبمجرد أن أنهت الشيطانة كلماتها بدأت الساعة تدق أول دقاتها معلنة الساعة الثانية عشر، كانت الطفلة المسكينة تنتفض لاشعورياً مع كل دقة، وكأن تلك الدقات هي خطوات الموت إليها، كأن الموت يعلن بدقات الساعة عن حضوره المخيف في المكان، انتهت دقات الساعة، حينها نظرت داليا إلى باب القاعة الذي بدأ أن يفتح ببطء وبصرير مقبض، انفتح الباب ليبدأ زبانية داليا في الدخول للقاعة، كانوا جميعهم متشحين بالسواد ويرتدون معاطف سوداء طويلة تخفي وجوههم وملامحهم الشيطانية، بدأوا في الدخول صفاً واحداً ببطء إلى القاعة ليمشوا بتجاه المذبح، كان في بداية المذبح كأس كبير مصنوع من جمجمة آدمية، كأس مليء بالدماء البشرية، تقدم الصف نحو الكأس العظمي وبدأ كل فرد بغمس يديه في الدماء ثم تمرير يديه على وجهه لتغرق ملامح وجوههم في اللون الأحمر القاني، كان

الجميع صامت تماماً صمت القبور، كل فرد منهم يقترب من الكأس ويفعل كما فعل سابقه دون أي كلمة، وبمجرد أن ينتهي الفرد من ذلك يمشي لكي يقف حول المذبح في شكل دائرة بينما أقدامهم تضغط على عظام الحيوانات لتكسرها بصوت مخيف، انتهى اكتمال الدائرة من زبانية وخدم داليا التي بدأت في التحدث حينها وقالت:

- نجتمع الآن يا ممثلو الشيطان على الأرض في بيت سيدنا، نجتمع حول جسد تلك الطفلة التي نالت شرف أن تكون الأضحية الجديدة للسيد ولحاكم الأرض، ربما ما زال بعضكم يحتفظ بداخله ببعض مشاعره الآدمية الحمقاء ولكن دعوني أقل لكم أن تلك المشاعر هي نقطة ضعف، يجب أن نسمو فوق المشاعر الآدمية التي أعاقتنا لقرون، تلك المشاعر التي كبحت جماح رغباتنا وشهواتنا وملذاتنا، الأخلاق ما هي إلا قيود تربطنا بهذا العالم البشري التافه المتهالك، حينما نتخلص منها نهائياً نكون قد تخلصنا من بقايا قيود الضعفاء لنصبح حينها سادة هذا العالم وحاكميه، لا يوجد أهم من أن تحصل على أي شيء تريده في هذا العالم، انه موجود من أجلنا ومن أجل خدمة ملذاتنا ورغباتنا مهما كانت، اتبعوا الشيطان فهو يعدكم بما سوف يحققه وبما تحلمون به، يجب عليكم دائماً أن تتذكروا أنكم أصبحتم ملكه ورهن أوامره، لم يعد لشخصياتكم من وجود، الوجود والطاعة له فقط ولي من بعده، أنا سيدتكم وأعدكم بأن كل ما

حلمتم به أو حتى لم تتخيلوه في أقصى أحلامكم سيتحقق معي وبي، سعادتكم وحياتكم بيدي، أنا من أتحكم بها وبكم، لا تنسوا كلمات حكيمنا ليفي حين قال « اقتل ما رغبت في ذلك، امنع البقرة من إدرار اللبن، اجعل الآخرين غير قادرين على الإنجاب، اقتل الأجنة في بطون أمهاتهم، اشربوا دماء الصغار واصنعوا منهم حساء، اخبزوا في الأفران لحومهم، اصنعوا من عظامهم أدوات للتعذيب، عاضد الشيطان ولا تتقيد في رغباتك بأحكام البشر وقوانينهم » ، هذا هو دستورنا يا سادة الشر، لا تنسوه لأن الشيطان لن ينساكم وستحل لعنته على من يدير ظهره له، الآن فلنبدأ قداسنا لسيدنا وحاكمنا.

بدأ الحضور في التمتمة بكلمات غريبة وغامضة، في البداية كان صوتهم منخفض ولكن صوت همهماتهم كانت مخيفة بحق خاصة مع تمايلهم يميناً ويساراً وهم يرددون صلاة غامضة للشيطان، ثم بدأ الجنون، بدأت أصواتهم في الارتفاع ورفعوا أيديهم فجأة نحو السماء وهم يرسمون بأصابعهم علامة الشيطان لتمجيده واستدعائه، تعالى صوت داليا وهي تقوم برقصة غامضة ومجنونة حول المذبح بينما كانت الطفلة الموثوقة عليه في قمة رعبها، ليس هذا منظراً يمكن أن تراه طفلة صغيرة في العاشرة من عمرها، كان يبدوا عليها أنها ستموت من الرعب قبل أن تموت على يد داليا، ظلت ترتفع أصواتهم أكثر فأكثر وأيديهم ووجوههم متوجهة نحو السماء بينما عيونهم جميعاً

جاحظة ومتسعة ثم صمتوا فجأة واتجهت وجوههم المرعبة نحو داليا التي توقفت تماماً عن الحركة، عادوا لصمت المقابر كما بدأوا وفي نفس اللحظة، لم يعد هناك أدنى صوت سوى صوت البكاء المكتوم من الطفلة المسكينة، في وسط كل ذلك الصمت أمسكت داليا ببطء الخنجر المنقوش عليه الدائرة الخماسية الشهيرة، خنجر مقبضه من العظام البشرية، رفعته عالياً بكلتا يديها وهي تقول:

– لقد نلتِ شرف أن تكوني قرباننا لسيدنا، تقبلها يا حاكمنا وملكنا عسى أن تقربنا منك وتقربك منا.

اتسعت عينا الطفلة وهي ترى بعينيها الموت يتراقص حولها منتظراً روحها الصغيرة ولكنه لم يحظى بها للأسف، لأن قبل لحظات من إكمال داليا لمهمتها فتح باب القاعة ليدخل منه لوتان على عجل ويتجه نحو داليا، لم يكن من المعتاد أن يقتحم لوتان القداس الأسود لأي سبب، لذلك فقد نظرت له داليا نظرة نارية منذرة بالشر ولكنه اقترب من أذنها وقال لها:

– أعتذر يا سيدتي عن الدخول بهذه الطريقة ولكن ما حدث كان يستدعي ذلك.

قالت له داليا ببطء وهي ما زالت ممسكة الخنجر وتلوح به ببطء في وجه لوتان:

- من الأفضل لك أن يكون الأمر يستحق ما فعلت.

نظر لوتان للخنجر بخوف للحظة ثم قال لها بصوت منخفض:

- الخادم الذي كان مكلف بمهمة مراقبة أدهم، لقد أخفق بشدة في مهمته، وجد أدهم يهاجمه في سيارته وتجمهر المارة حوله فهرب بالسيارة ولكن أدهم طارده وتسبب في انقلاب سيارته، الخادم أصيب ببعض الكدمات والرضوض وتم نقله للمستشفى وقد خرج منذ ساعة واحدة وها هو الآن في الخارج في انتظار أوامرك.

كان لوتان ينظر لداليا في انتظار ما ستقوله ولكنه عندما رأى تغير وجهها تراجع عدة خطوات للخلف، كان وجه داليا مروعاً بحق، لم تتحدث ولم تنبس ببنت شفة ولكن عينيها المتسعتين وأنفاسها المتلاحقة وقبضتها التي زادت احكاماً على الخنجر كانت كافية للكشف عن البركان الذي يعتمر بداخلها الآن، أدهم يتحداها علناً وبطريقة مهينة لها، فجأة رفعت داليا رأسها للسماء وصرخت صرخة عالية هزت أرجاء القصر الشيطاني، صرخة سمعها مدوية كل من كان بالقصر وربما حتى من بخارجه، كانت داليا في أوج غضبها وثورتها، أدهم هو أول من تقابله ويتحداها بتلك الطريقة ويرفض الانصياع لها، هناك رجال أقوى وأكثر نفوذاً منه ولم يقاوموها والآن أدهم يهدد كل ذلك، لم تكن داليا معتادة على الخسارة أو على أن يجبرها أي

شخص على تقبل ما لا تريده، ولم يكتفي برفضها ورفض عرضها له بل والآن يهاجم خادمها غير عابئ بأي شيء، وكأنه يتحداها ويقول لها أنها لن تحصل عليه وأنه سيقاتلها، ولكنه مخطئ، سوف تحصل عليه كما حصلت على من قبله، المسألة وقتية لا أكثر وسوف تحصل على ما تريد مثلما يحدث دائماً، وسوف تحصل على أدهم ولكن بعد تلقينه درساً لن يمكنه نسيانه العمر كله، كان لوتان ما زال واقفاً مكانه على بعد خطوات من داليا التي أخذت وقت طويل في التفكير، حتى لوتان الذي يعمل مع داليا منذ سنوات كان يخشى غضبتها، كان يعلم ما هي قادرة على فعله، كان يعلم أنها لن تتورع عن أي شيء للحصول على مبتغاها، بعد فترة من الصمت الذي لم يتخلله سوى النحيب المكتوم للطفلة المقيدة تحدثت داليا قائلة:

- احضر لي الخادم هنا الآن، أريد أن أراه.

إنحنى لوتان أمامها وانطلق خارج القاعة لتنفيذ أمر داليا التي نظرت للصغيرة وهمست في أذنها بصوت منخفض:

- يبدوا أن اليوم هو يوم حظك السعيد يا عزيزتي.

بعد لحظات دخل لوتان ومعه أحد الأشخاص، كان يمشي بصعوبة بالغة نتيجة اصابته في قدمه اليسرى بينما وجهه يمتلئ بالكدمات، دخل القاعة الذي بدا عليه أنه لم يدخلها من قبل خاصة

أنه ظل يتطلع للقاعة وللأشخاص المتشحين بالسواد والواقفين مثل التماثيل السوداء دون أن تصدر منهم أي حركة ولا حتى يبدو عليهم حتى الحياة نفسها، ثم نظر إلى داليا التي عندما رأى عينيها الناريتين أطرق برأسه في الأرض وأكمل طريقه إليها حتى وقف أمامها مباشرة وجثا على ركبتيه، وضعت داليا يدها على رأسه وقالت بصوت عالي:

- فلينصت لي الجميع جيداً، هذا الجاثي على ركبتيه أمامكم أحد خدمي، أحد من عطفت عليه وجعلته يسموا من مكانته الحقيرة كبشري ليصبح أحد خدمي المقربين، وضعته في جنتي وجعلته قريباً مني، وماذا كانت النتيجة، كيف رد لي فضلي عليه؟ لقد هرب كفأر صغير مذعور عندما واجهه بشري فاني، نسي أنه تابع لي، نسي أنه تابع لكبيرة كهنة الشيطان، وهذا شيء لا يمكن غفرانه أبداً، أنتم من اقتربتم مني وطلبتم أن أسمو بكم فوق حياتكم التافهة الرخيصة، أنتم من أردتم ذلك، لن أسمح أبداً بأن يعصي أوامري أو أن يجعلني أضحوكة بين البشر، أنا سيدتهم وسيدتكم جميعاً.

كان الخادم يبكي بصمت وهو راكع على الأرض أمام داليا، نظرت إليه داليا وقالت له:

- إذا لم تستحق مكانك معي فلا مكان لك على الأرض.

ثم طعنته في قلبه تماماً لتجحظ عيناه للحظات ثم يفارق الحياة بينما دماؤه الدافئة تسيل على الأرضية السوداء للقاعة مكونة بركة تتسع بالتدريج، ثم وجهت حديثها مرة أخرى للجمع أمامها:

- هذا هو مصير من لا يستحق مكانه معنا ومعي، أنتم مني وملكي، اركعوا لي أيها الفانون.

انصاع الجميع لأمر داليا وبدأوا في الركوع أمامها وهي تنظر لهم نظرة انتصار، لم يكن أحدهم ليجرؤ على مخالفة أوامر سيدتهم وإلا لأصبح ملقى على الأرض مثل ذلك الخادم، كان الموت هو سيد القاعة وحاكمها، ثم نظرت للخنجر وللطفلة التي كانت تشاهد كل ما حدث وهي مقيدة على المذبح الرخامي وقالت للطفلة:

- ألم أقل لكِ أنه يوم حظك السعيد، سوف أقتلك يوماً آخر ولكن ليس الآن، لقد قتلت غيرك اليوم ولا أريد أن أذبح نعاجي كلها دفعة واحدة، سوف تحين لحظتك يا طفلتي ولكن ليس الآن، سوف أقرر يوماً آخر لقتلك، ثم أشارت للوتان لفك قيود الطفلة المسكينة، بدأ لوتان في فك الأغلال وفك اللاصق على فم الطفلة وأمسكها من كتفها ليعطيها لأحد الحراس لإخراجها من القاعة ولكن داليا استوقفته حينما قالت موجهة حديثها للطفلة:

– لقد منحتك الحياة يا طفلتي، سترجعين للدار على قدميكِ بفضلي، ألن تشكريني؟

كانت الطفلة ما زالت ترتعد ولكنها نظرت لداليا وقال لها بصوت منخفض:

– شكراً يا .... شكراً يا أمي.

حينها نظرت للوتان وقالت له:

– والآن سوف أخبرك ما عليك فعله مع ذلك الوغد المدعو أدهم، لقد تحداني وتحدى سلطتي وجبروتي وهذا ما لا يمكن أن أسمح به أبداً، هو بدأ الحرب وأنا من سأنهيها.

إستيقظ أدهم في صباح اليوم التالي مبكراً، لم ينم جيداً في تلك الليلة بسبب قلقه على نور التي لم تفارقها والدتها طوال المساء، ظلت بجانبها تقرأ القرآن وتمسح حبات العرق الغزير من على جبينها المرهق، ترك أدهم والدة نور تبيت ليلتها بجوار ابنتها على الفراش وتوجّه هو للنوم في غرفة الضيوف، كان على كل الأحوال بحاجة أن يختلي بنفسه لبعض الوقت ليعلم ماذا ستكون خطوته المقبلة، اتجه إلى غرفة النوم التي بها نور ووالدتها ليجد نور ما زالت على الفراش ومستيقظة ومشرقة، ابتهج أدهم لذلك وتوجه نحو الفراش ليطبع

قبلة دافئة على جبين نور التي ابتسمت له ابتسامة مرهقة ولكن كان يبدوا عليها أنها بدأت في التحسن بالفعل، نظرت والدتها إليهما في حب وأخبرتهما أنها ستذهب لإعداد الإفطار لهم، كانت تريد أن تتركهما وحدهما لبعض الوقت، جلس أدهم على الفراش بجوار نور وأمسك يديها وقبلهما وهو يمنحها ابتسامة دافئة مليئة بالحب، سألها أدهم:

- أخبريني يا حبيبتي، هل أنتِ أفضل حالاً الآن من البارحة؟

أجابته نور قائلة:

- أنا أشعر فعلاً أنني أفضل كثيراً، لا أعلم ما حدث لي خلال الفترة الماضية يا أدهم، ولكن أمي أخبرتني أنك أحضرت دكتور محسن ليراني ويقوم بالكشف عليّ، لقد نمت كثيراً البارحة كأنني لم أنم من قبل، ربما هذا ما كنت أحتاج إليه فعلاً، الكثير من النوم والراحة، كم هو رائع أن يشعر الإنسان ببعض الكسل.

زادت ابتسامة أدهم وهو يمرر أصابعه على يد نور ثم قال لها بجدية:

- لقد كدت أموت رعباً عليكِ أمس عندما كنتِ على وشك إلقاء نفسك، ما الذي كنتِ تفكرين به حينما أقدمتِ على ذلك؟

نظرت له نور نظرة غير المصدق لما يقول، قالت له:

- أدهم، هل تمزح أم تتحدث بجدية؟ أنا أنتحر؟ ولِمَ؟

تراجع أدهم برأسه للوراء، لم يكن يتوقع ذلك، يبدوا عليها فعلاً الصدق، إنها لا تتذكر ماذا كانت على وشك فعله البارحة، ربما هي الصدمة وربما شيء آخر، على أي حال ربما كان من الأفضل ألا يخبرها بحقيقة ما حدث، لذا رسم ابتسامة حاول أن تكون صادقة على وجهه وقال لها:

- إنني أمزح معكِ طبعاً يا حبيبتي، لم يحدث شيء، هل صدقتِ كلامي؟ يا لك من ساذجة، الآن قولي لي يا فاتنتي ماذا تنوين فعله اليوم؟ هل تريدين الخروج معي قليلاً أم نكمل اليوم في البيت، فقط أنا وأنتِ.

كانت تعلم نور أن أدهم يحاول تغيير الموضوع، هو زوجها وتعلم متي يكذب ولكنها لم ترد أن تلح عليه حول حقيقة ما حدث، إنها فعلاً لا تتذكر أي شيء ولا تدري سبباً مقنعاً لتعبها وإغمائها في الليلة الماضية، ولكنها كانت تعلم أنه يغير الموضوع حتى لايثير قلقها، لذا جارته في حديثه وقالت له:

- لا يمكنني ذلك اليوم، أنت تعلم أن عندي تصوير اليوم ولابد من أن أذهب للعمل، لقد تحسنت كثيراً عمّا قبل وأستطيع الذهاب للعمل، عندما أعود يمكننا تمضية الوقت كما تحب.

قال لها أدهم وقد بدا القلق على ملامح وجهه:

– ولكنك ما زلتِ مرهقة ويجب أن أطمئن عليكِ تماماً قبل أن ترجعي للعمل مرة أخرى، يمكنك الاتصال بهم لكي تقدم حلقة اليوم مذيعة أخرى.

قالت له نور وهي تهم بمغادرة الفراش:

– ولكني لا أريد مذيعة أخرى أن تحل محلي، هذا هو برنامجي وهذه هي حياتي التي أحبها، لا تقلق عليّ يا أدهم، أنا فعلاً بخير، بالإضافة لأنني سوف أطمئنك عليّ إذا شعرت بأي تعب حتى لا تقلق، أدهم، أنت تعلم أنني لا أطيق فراش المرض.

لسبب ما لم يعارضها أكثر من ذلك، ربما لأنه لا يريد أن يغيرا كل حياتهما بسبب تلك الشيطانة، لذا فقد وافق أدهم على مضض بعد أن وعدته نور بالاتصال به عندما تستطيع حتى يطمئن عليها.

خرجت نور من الغرفة تاركة أدهم لأفكاره وقلقه عليها، وبعد أن تناول الجميع الإفطار طلبت منه نور قبل أن ترحل أن يقوم بتوصيل والدتها إلى منزلها، بالطبع رفضت والدتها تركها وحدها ولكن أمام إصرار نور على ذلك لم تجد الأم بداً من ذلك، كانت ترى بالفعل أن نور قد تحسنت ولذلك وافقت على طلب ابنتها، نزلت نور من المنزل

بينما أدهم ينظر إليها من خلف الستارة، لم يكن ينظر فقط نحو نور ولكنه الأهم كان ينظر ليرى هل يوجد من يراقبه الآن بعد أن لقن ذلك الوغد الذي كان يقوم بمراقبته درساً قاسياً، لم يكن يعلم حينها أن الدرس القاسي منه قابله درس أقوى وأكثر شراً ودموية من داليا، لكنه على كل الأحوال لم يرى أحداً قد يشك به، كان الشارع شبه خالي من السيارات، وبمجرد أن انطلقت نور بسيارتها وهي تشير له بيدها انطلق هو الآخر ليقوم بتغيير ملابسه لتوصيل والدة نور لشقتها، خلال الطريق لم يتحدث أدهم كثيراً، كان مشغول البال بما يجرى له ولنور لذا لم يكن في مزاج رائق للتحدث أو للمجاملة، فقط أوصلها لمنزلها وشكرها على الاعتناء بنور، لكن قبل أن تغادر السيارة قالت له:

- أدهم، أعلم أنك تحب نور كما تحبك هي أيضاً، فلتعتني بها جيداً، لا أريد أن يصيبها مكروه لأى سبب، لا أعلم ما الذي يحدث لكما هذه الأيام ولكني على ثقة أنك ستفعل كل ما بوسعك لحماية نور.

استغرب أدهم ما تقوله والدة نور ولكنها أردفت قائلة:

- خلال الليل كنت مستيقظة بجوارها أتلو القرآن، كانت نور تهلوس أثناء نومها وتتحدث كثيراً عن امرأة تدعى داليا، كانت كلماتها

غير مفهومة أو واضحة ولكن ما استطعت فهمه من حديثها كلمات مثل، إبتعدي، لا تفعلي ذلك، لا لن أسمح لكِ يا داليا، كلمات من هذا القبيل، أنا قلقة عليها فعلاً يا أدهم، قلبي يحدثني بأن شيئاً سيئاً سيحدث قريباً، اعتني بها ولا تتركها تغيب عن ناظريك يا ولدي.

لم يعلق على حديثها لأنه لم يجد ما يقوله، فقط اكتفى بابتسامة مع قوله:

- لا تقلقي، لن أدع أي مكروه يحدث لها، صدقيني.

ودعته ثم غادرت السيارة في طريقها لشقتها بينما بدأ أدهم رحلة الرجوع مرة أخرى لمنزله، كان يفكر في حديث والدة نور له، شعر بأنه يحتاج لبعض الهواء النقي لذا فقد توجه إلي باخرة نيلية لقضاء بعض الوقت وحيداً هناك، كان دائماً منظر نهر النيل يشعره براحة و سكينة يجعلانه قادر على التفكير بصورة جيدة، مضت عليه عدة ساعات وهو فقط يحملق في مياه النيل الهادئة عندما جاءته أول رسالة على الموبايل وكانت تقول:

- أنا أشرف، احذر يا أدهم، داليا تنوي اختطاف نور الآن، هي في انتظارها خارج المول الموجود أمام الاستديو الذي تصور به نور برنامجها، نور بالداخل الآن، لابد أن تأتي حالاً.

نهض أدهم من مقعده وكأن لدغه عقرب عقب قراءته لتلك الرسالة، كانت الرسالة قادمة من هاتف مجهول ولكن صاحب الرقم يقول إنه أشرف، لو كان هو لمَ لم يتصل من هاتفه الشخصي، لقد كان إحساس والدتها صحيحاً عندما قالت بأن شيء ما سيحدث لها ولكنه لم يتوقع أن تقدم داليا على مثل هذا التصرف، لوهلة شك أدهم في أشرف نفسه، البارحة رفض مساعدته واليوم هو يقول له ذلك، حاول الإتصال به لكنه لم يرد عليه، ثم وجد رسالة أخرى تقول:

- لا تحاول الاتصال لأنني في السيارة الأخرى التي تراقب نور، لقد جعلت الهاتف صامت لأنني توقعت أن تحاول الإتصال، لا وقت لذلك الآن، يجب أن تثق في كلامي يا أدهم، إذا كنت تشك بي فلتتصل الآن بنور وستجد أنها أنهت التصوير وغادرت إلى المول المقابل للاستديو وهي الآن في محل الزهور تحديداً، تعالى هنا الآن وإلا خسرتها للأبد.

ركض أدهم في طريقه لسيارته مسرعاً وركبها وهو يتصل بنور التي أجابته قائلة:

- لقد كنت على وشك الإتصال بك يا حبيبي، لقد أنهيت التصوير وسوف أرجع بعد ساعة على الأكثر، أنا بخير لا تقلق.

قال لها أدهم في سرعة بينما ينطلق بالسيارة التي أصدرت إطاراتها صريراً مزعجاً:

- نور، أجيبيني بسرعة، هل أنت في المول المقابل للاستديو؟

استعجبت نور وقالت له:

- نعم، كيف عرفت ذ....

قاطعها قائلاً وهو يتفادي سيارة:

- هل أنتِ في محل الزهور هناك؟

ردت عليه وقد بدأت تشعر بالقلق قائلة:

-كيف علمت ذلك يا أدهم، ماذا يحدث؟

أجابها قائلاً:

- لا وقت لدي للشرح الآن ولكن لا تغادري مكانك حتى آتي إليكِ، أنا في طريقي.

أغلق أدهم الخط ليفاجأ برسالة أخرى من أشرف تقول:

- لقد قاموا بتعطيل سيارتها، هناك امرأة ستسألها على عنوان قريب من عنوان منزلكم في التجمع، اخبر نور بألا تثق بها ولا تركب معها السيارة، أخبرها ألا تثق بأي شخص يا أدهم حتى تأتي أنت

obeikan.com

إليها، وأسرع في قدومك، داليا استشاطت غضباً بسبب تحديك لها وما فعلته بالسائق، لقد قتلته داليا البارحة على أي حال، احضر بسرعة.

قام أدهم بالاتصال بنور مرة أخرى التي قامت بالرد عليه بسرعة وهي تقول بصوت يملئه القلق:

- أدهم، ماذا يحدث؟ كيف علمت أين أنا بالضبط؟

رد عليها وهو ينطلق بأقصي سرعة يستطيع بلوغها بالسيارة قائلاً:

- لا وقت للشرح الآن يا نور صدقيني، أين أنتِ الآن؟ هل ما زلت في محل الزهور كما قلت لكِ؟

أجابته قائلة:

- لا أنا الآن أمام المول وأقترب من سيارتي، لقد جعلتني أشعر بالرعب، سوف أغادر المكان وأقابلك في المنزل لتخبرني عما يحدث.

ضرب أدهم مقود السيارة بيده وهو يقول لها:

- لقد أخبرتك ألا تتحركي من مكانك يا نور، لمَ لم تستمعي إليّ، لقد قاموا بتعطيل سيارتك، لن تتحرك السيارة من مكانها.

كانت قد وصلت للسيارة ودلفت للداخل بسرعة وحاولت تشغيل السيارة ولكنها فعلاً لم تدور ولم تتحرك من مكانها، كان رعب نور يتزايد في كل لحظة تمر عليها بينما يداها لا تتوقف عن الإرتعاش، كانت توشك على البكاء وهي تقول لأدهم:

– ماذا يحدث؟ السيارة معطلة كما قلت، كيف تعلم كل ذلك بحق السماء؟ أنا مرعوبة يا أدهم، كيف علمت كل ذلك؟

تجاهل أسئلتها وقال:

– أنا بالقرب منكِ الآن يا حبيبتي، خمس دقائق على الأكثر وسأكون عندك، اسمعيني جيداً يا نور، ستأتي لكِ امرأة تسأل عن عنوان في التجمع بالقرب من منزلنا وستعرض عليكِ أن تقوم بإيصالك لو كانت سيارتك معطلة، هذه المرأة مع داليا، لا تثقي بها ولا تجيبيها حتى، فقط قولي لها أنكِ لا تعلمين الطريق واعتذري لها بلطف، ويجب عليكِ ألا يظهر علي وجهك أي خوف أو تردد، أشرف هو من يخبرني بكل تلك التفاصيل لأنه يراكِ الآن، يجب ألا تشعر بأنكِ خائفة أو مختلفة لأن حياة أشرف ستكون ثمن ترددك، إنه يخاطر بحياته من أجلنا ولا يجب أن نعرضه للخطر، حاولي التماسك وافعلي ما قلته لكِ، سوف أخبرك بكل شيء عندما أصل إليكِ وأطمئن أنكِ بأمان معي، اغلقي السيارة جيداً ولا تتحركي منها، أنا قادم إليكِ.

قامت نور بيد مرتعشة بغلق أبواب ونوافذ السيارة من الداخل وحاولت التنفس بعمق حتى تكون أكثر هدوءاً، ولكن لم يمر الكثير من الوقت حتى وجدت من يطرق زجاج سيارتها، على الرغم من أن الطرقات كانت خفيفة إلا انها ارتعبت من داخلها، حاولت على قدر المستطاع التحلي بالشجاعة والتماسك كما قال لها أدهم ونظرت لتجد فتاة في العشرينات من عمرها على درجة عالية من الأناقة ترتدي نظارة شمسية باهظة الثمن تخفي معظم وجهها، فتحت جزء صغير من زجاج السيارة وهي تحاول الابتسام لها حتى تخفي توترها، قالت لها الفتاة وهي تبتسم:

- أنا أعتذر بشدة لكِ ولكني من المفترض أن أقابل بعض الأصدقاء في منطقة التجمع ولا أعلم الطريق من هنا لكي أذهب لمدينة نصر، هل يمكنكِ مساعدتي؟

كانت نور في أقصي درجات رعبها الآن وهي ترى كلام زوجها يتحقق بالحرف الواحد، لولا أنه قال لها ما سيحدث لقالت أنها فتاة ضلت طريقها بالفعل وتحتاج إلى إرشادات للطريق ولكانت وثقت بها، حاولت نور أن تبدوا كلماتها طبيعية وهي تقول لها:

- أنا آسفة بحق ولكن الطريق بعيد ولن أستطيع إعطاؤك وصف دقيق، يمكنك أن تسألي أحد أفراد أمن المول وبالتأكيد سوف يساعدك أو حتى تستعيني بخرائط جوجل وسوف تصلين بسهولة.

يبدوا أن الفتاة لم تتوقع تلك الإجابة من نور، بدا ذلك من تعبيرات وجهها الذي يبدوا عليه خيبة الأمل، لكن الفتاة لم تيأس وقالت لها:

- يا لي من حمقاء، لماذا لم أفكر من قبل في خدمة الخرائط، لقد ساعدتيني كثيراً، شكراً لكِ.

بدأت الفتاة بالانصراف ولكن لسبب ما عدلت رأيها ورجعت مرة أخرى قائلة:

- يمكنني إيصالك في طريقي إذا أحببتِ لو كانت سيارتك معطلة.

حينها سألتها نور وهي تنظر لها في شك:

- ومن قال أن سيارتي معطلة، أنا لم أقل ذلك.

لم تنطق الفتاة بحرف للحظات، ربما هي جميلة وأنيقة ولكنها غبية لأنها من شدة خوفها من رد فعل داليا إذا فشلت في استدراج نور فقد ارتكبت خطأ أحمق مثل هذا، حاولت الفتاة رسم ابتسامة واثقة على وجهها ولكنها خرجت مرتبكة مثل كلماتها حين قالت:

- لقد اعتقدت ذلك عندما رأيتك جالسة في السيارة دون أن تتحركي بها لفترة.

obeikan.com

كانت الفتاة غبية بحق وأخطأت للمرة الثانية لأن نور قالت لها وقد بدأت تشعر ببعض الشجاعة بسبب حماقة الفتاة:

- ومن أدراكِ أنني هنا منذ فترة؟ هل كنتي تراقبينني؟

بدا الارتباك الشديد على الفتاة بسبب سؤال نور لها، لذا لم تعلق على سؤال نور وهَمّت بالانصراف وهي تقول:

- على أي حال شكراً لكِ على مساعدتك، سأنطلق الآن في طريقي، إلى اللقاء.

تنفست نور الصعداء وهي ترى الفتاة تتحرك بعيداً عنها في اتجاه سيارة على الجهة المقابلة من الشارع، ولكن السيارة لم تتحرك من مكانها ولم تنطلق الفتاة في طريقها كما قالت، توجست نور خيفة أن يحاولوا معها مرة أخرى، يبدوا أنهم مصممون على الظفر بها اليوم ولكن لم يكن أمامها خيار آخر سوي انتظار أدهم كما قال لها، كانت تنظر لساعتها كل بضعة ثواني بقلق بالغ وهي تشعر بأن الثواني تعاندها وتتعاون هي الأخرى مع داليا حيث ظلت تمر ببطء ثقيل ومستفز، اتصلت بأدهم مرة أخرى الذي قال لها:

- نور لا تقلقي، لقد قاربت على الوصول إليكِ، لا تخرجي من السيارة ولا تثقي بأي شخص حتى لو كان طفلاً صغيراً، لا نعلم ماذا

يمكن لتلك الشيطانة فعله ، فقط لا تغلقي الهاتف حتى أصل إليكِ و...

قطع صوت ادهم في الهاتف طرقات أخرى على زجاج السيارة، كانت طرقات ثقيلة عن المرة السابقة، جفلت نور وتراجعت للوراء قليلاً وهي تنظر لزجاج السيارة لترى أي كارثة جديدة في طريقها لها الآن، نظرت عبر الزجاج لتجد أن من يطرق الزجاج هو أشرف نفسه، لم تعلم هل تثق به أم لا، لقد قال لها أدهم ألا تفعل ولكن أشرف هو من أنقذها حتى الآن من فخ داليا لها، فتحت نور الزجاج له وهي تبتسم في وجهه لتجده يبادر بقوله:

- يا لها من صدفة سعيدة يا نور، لم أركِ منذ فترة، هل أدهم بخير وأنتِ كيف حالك؟

تعجبت نور من طريقة أشرف الغريبة في الحديث، إنه يتحدث معها وكأنه شخص آخر غير أشرف الذي كان يحادث أدهم منذ دقائق، لم تفهم سبب تصرفه بهذه الطريقة ولكنه يبدوا أنه رأى نظرات التعجب على وجهها لذا أخذ يكمل حديث مرح معها وكأنه يمازحها ولكنه في نفس الوقت أشار إلى الزر العلوي من قميصه، في البداية لم تفهم تلك العلامة ولكنها سرعان ما تذكرت، هذه العلامة يشير بها المخرجون للمذيعين لضبط الميكروفون أثناء تصوير الحلقات، فهمت

opelkan.com

ما كان يرمي إليه أشرف بأن هناك من ينصت لحديثه معها الآن، قال لها بمرح:

- إذن هل تحتاجين لأي مساعدة؟ أنتِ زوجة صديقي العزيز.

كادت أن تتحدث ولكنه كان يشير باصبعه على قميصه إشارة لا، كان يفهمها ألا تقبل مساعدته وقد فهمت ذلك سريعاً لذا قالت له:

- شكرا يا أشرف، أنا بخير.

حينها سألها مرة أخرى وهو يفعل باصبعه نفس الحركة على قميصه حتى لا يراه من خلفه:

- أنا مصر على مساعدتك، هل سيارتك معطلة أم ماذا، يمكنني إيصالك إلى البيت إذا أحببتِ.

كانت تشعر ببعض الأمان مع أشرف، هو من أنقذها حتى الآن مما كان يمكن أن يحدث لها، لذا قالت له وهي تبتسم بإرتباك:

- شكراً على عرضك المساعدة ولكني في انتظا.....

وقبل أن تكمل جملتها رأت سيارة أدهم تتوقف أمامها مباشرة، لم تكن نور من النوع الرومانسي الحالم ولكنها عندما رأت أدهم يقف بسيارته أمامها ويهم بالنزول منها شعرت وكأنه فعلاً فارسها

النبيل الذي جاء ينقذها على حصانه الأبيض، فجأة تلاشى كل القلق والخوف من داخلها وشعرت برغبة جامحة في الارتماء في حضنه والبكاء ولكنها قاومت أن يبدوا ذلك على ملامحها، كان أشرف قد أخبره في رسالة قبل أن ينزل ليتحدث مع نور عما سوف يحدث حتى لا يثير أدهم جلبة أو يثير شكوك داليا نحو أشرف كما أخبره بخصوص الميكروفون الذي وضعته داليا له، وعلى الرغم من قلق أدهم وتحفزه فقد كان عليه أن يقوم بتمثيلية صغيرة مع أشرف حتى يكون ظهوره طبيعي وغير مقصود، لذا فقد ابتسم في وجه أشرف وقام بمصافحته بصورة عادية بينما رسم الأخير علامات الإندهاش على وجهه كأنه متفاجئ من رؤية أدهم وقال له:

- أدهم، ماذا تفعل هنا يا صديقي، لم تخبرني نور أنها كانت في انتظارك.

كانت عينا أدهم تمسحان المكان بتوجس من خلف نظارته الشمسية ولكنه في نفس الوقت رد على أشرف بابتسامة مصطنعة:

- لقد افتقدتك كثيراً، لقد اتفقت مع نور على أن نتقابل ونخرج للتنزه قليلاً وربما تناول الغداء بالخارج، إنها بحاجة لذلك خاصة مع مرضها في الأيام الماضية، ما رأيك أن تأتي معنا.

كان أشرف مسرور من دور أدهم المتقن لذا فقد قال له في أسف مصطنع:

– ليتني كنت أستطيع يا أدهم ولكن عليّ المغادرة الآن لإنهاء بعض الأمور العالقة، ولكن سوف نتفق على موعد آخر نتقابل فيه لكي نتحدث، الآن سأتركك ونور سوياً، فلتصحبكم السلامة.

غادر أشرف مبتعداً عنهما وهو يشعر في قرارة نفسه بالرضا البالغ عما فعله، ربما لأول مرة منذ فترة طويلة يشعر بأي مشاعر جيدة بداخله تجعله يشعر بأنه إنسان حقاً وليس حيواناً أو وحشاً كما تريده داليا أن يكون، بينما في نفس الوقت كان أدهم يريد ضم نور له بعنف، كان يريد أن يقول لها أنها بأمان الآن ولن يستطيع أي شخص إيذائها وهي بين ذراعيه ومعه، ولكنه كان يعلم أن كل حركة منه الآن مراقبة لذا فقد قاوم احساسه بصعوبة ولكنه أمسك يد نور بقوة وهو يتوجه بها نحو سيارته لكي يغادروا هذا المكان بعيداً عن مراقبة زبانية الشيطانة، غادر أشرف المكان وهو يعلم أن هناك عاصفة سوف تهب الليلة في قصر الشيطانة بسبب الفشل الذي حدث اليوم، لم يكن يدري كم كان محقاً في ذلك لأبعد الحدود.

●●●

– أغبياااااء، كلكم أغبياء وحمقي ، لقد طلبت منكم طلب واحد، طلب بسيط وسهل، أرسلت سيارتين مملوءة بمن يفترض أنهم أعواني وخدمي لكي يحضروا لي تلك الحقيرة المسماة نور رشدي،

طلبت منكم إحضار امرأة وحيدة وضعيفة ولكن هل نجحتم في ذلك؟ لا، فشلتم كمجموعة من الحمقي، لو كنت أرسلت فرقة من حضانة أطفال لكانت نجحت فيما فشلتم به أيها الأغبياء، هل نسيتم من أنا؟ أنا سيدتكم وسيدة أهل الأرض، أنا مبعوثة الجحيم لكم ومن المفترض أن تنفذوا بالحرف كل ما آمركم به، كان من المفترض أن يراها أتباعي في قداس الليلة، كان من المفترض أن يتأكدوا أنه لا أحد يتحدى داليا الشرقاوي وينجو من العقاب، كان من المفترض أيها الأوغاد أن تأتوا بها راكعة تحت قدماي حتى أؤكد سطوتي وقوتي على الجميع بلا استثناء، والآن ما المفترض مني أن أفعله، أخبرهم أن أعواني فشلوا فيما أرسلتهم من أجله؟ أعواني فشلوا في تحقيق أمر أمرتهم به لأنهم حفنة من الحيوانات عديمة النفع وخذلوني؟ صدقوني حين أقول أن حسابكم سيكون عسير للغاية، أنت لا تعلمون ما ينتظركم بسبب فعلتكم اللعينة.

كانت داليا تتحدث بعصبية بالغة وبصوت يكاد يكون صراخاً في المجموعة التي فشلت اليوم في تحقيق أمنيتها بإذلال أدهم، كانت تروح وتجئ كالمجنونة أمامهم بينما هم واقفون أمامها كمجموعة من المدانين أمام قاضي لا يرحم، كانت ثورتها عارمة وهي تتحدث، حتى لوتان نفسه أطبق شفتيه ولم يحاول التحدث بأي شيء حتى لا ينصب غضبها عليه هو، فقط ظل واقفاً في أحد أركان غرفة المكتب وبجواره

حارس داليا، كان لوتان يعلم معني تواجد ذلك الحارس مع داليا في غرفة مكتبها، هناك شخص ما لن يغادر تلك الغرفة على قيد الحياة، كانت حياتهم جميعاً مرهونة بإشارة من داليا لتحدد للموت من يستطيع أخذه معه الليلة للجحيم، آثر لوتان الصمت بينما داليا ترغي وتزبد وتصرخ فيهم مهددة إياهم بكل أنواع العذاب في الدنيا، كان أشرف داخل الغرفة معهم ينال نصيبه من التهديد والوعيد وهو يتظاهر بالخوف والتوتر الشديد مما يمكن أن تؤول إليه الأمور ولكن بداخله كان في منتهى الهدوء والثقة، حتى لو كانت تلك آخر لحظات حياته فقد قام بفعل الصواب وهو غير نادم على ذلك، لقد رجع إنساناً مرة أخرى بعد فترة طويلة من كونه مجرد وحش صنعته داليا ولن تستطيع أن تسلب ذلك منه مرة أخرى كما فعلتها من قبل، وبينما هو غارق في أفكاره جاءه صوت داليا الهادر وهي تقول له:

– أشرف، لقد بعثت بك خصيصاً لأنها تعرفك وستثق بك لتأتي بها إليّ، لقد خذلتني اليوم، وأنت تعلم أنني لا أتسامح مع المتخاذلين.

رد عليها وهو يتصنع الارتباك:

– أعلم يا سيدتي ذلك ولكن لولا ظهور أدهم لكانت تحت قدميكِ الآن زاحفة تطلب الرحمة منكِ، كما أنني لم أكن أول من يذهب لإيقاعها في الفخ.

ثم نظر شذراً للفتاة التي تحدثت مع نور قبله وهو يقول:

– لقد كانت هي السبب، هي أول من ذهبت للإيقاع بنور ولكن ماذا حدث، لقد جعلتها ترتاب فيها وتشعر بأن هناك خطب ما، لو كنت ذهبت أنا أولاً لكانت نور الآن هنا بين يديكِ يا سيدتي.

كادت الفتاة أن تصرخ في وجه أشرف وتنعته بأقذع الصفات ولكن نظرة واحدة لوجه داليا ألجمتها عن الكلام، كانت داليا تنظر لها بعينين جاحظتين وهي تقترب منها ببطء، زاد ارتباك الفتاة وقالت بينما الدموع تنزل من عينيها بصوت متهدج:

– لقد كنت مرتبكة يا سيدتي فلم أفعل ذلك من قبل، لقد فعلت ما بوسعي ولكنها ظلت تسألني وأنا كنت متوترة فلم أستطع .....

لم تستطع الفتاة إنهاء كلماتها، ليس بسبب نظرات داليا لها ولكن بسبب ذلك الكيس البلاستيكي الذي هبط فجأة على رأسها بإحكام، كان حارس داليا يحكم قبضته على الكيس بقوة، فجأة وجدت الفتاة نفسها غير قادرة على التنفس، كانت تصارع من أجل الهواء بينما عيناها تجحظان مع اقترابها أكثر فأكثر من الموت، بينما هي تواجه الموت قالت لها داليا بمنتهي البرود:

– لا يوجد لدي خادم يخطئ، إما أن ينجح وإما أن يموت، وأنتِ لم تنجحي يا عزيزتي، أنتِ فقط الملامة على ما يحدث الآن لكِ، أنتِ من فعلتِ ذلك في نفسك بغبائك وحماقتك، وأنا لا أتحمل الغباء.

حاولت الفتاة مراراً تمزيق الكيس ولكن كل محاولاتها كانت فاشلة، مدت يدها للأمام وكأنها تحاول الوصول لداليا ولكنها لم تنجح، كانت داليا قد اختارت للموت من يمكنه أن يصاحبه الليلة للجحيم، و كانت هي تلك الفتاة، فجأة انهارت مقاومة الفتاة وسقطت يدها الممدودة قبل أن يترك الحارس الفتاة الميتة تسقط على الأرض بصوت مكتوم أمام الجميع الذين كانوا يشعرون بالإرتياح على الرغم مما حدث للتو لأنهم لم يكونوا الآن مكانها ممددين على الأرض وقد فارقوا الحياة، كان الصمت هو سيد الموقف، الصمت والموت...وداليا. لم يكن هناك صوت سوى وقع خطوات حارس داليا وهو يسير خلفهم بانتظار أوامر سيدته الجديدة، كلما اقترب الحارس من شخص ما يشعر ذلك الشخص بانقباض قلبه وهو يعلم أنه قد يكون التالي لو أرادت السيدة ذلك، ثم وبعد فترة بدت كالدهر تحدثت داليا قائلة:

– لقد كان هذا درساً لكم جميعاً، لا يوجد معي من يخطئ، لامكان للفشلة بيننا، لن يمكننا تغيير العالم إذا كان بيننا من سيفشل أو يرتبك، الآن اغربوا عن وجهي جميعكم.

تنفس الجميع الصعداء وبدأوا يغادروا الغرفة بخطوات سريعة ولكن داليا قالت بصوت عالي:

- إنتظر أنت يا أشرف، لا تذهب.

تسمرت قدماه في الأرض لدى سماعه لاسمه، كان يظن أنه قد نجى من مذبحة اليوم ولكن يبدوا أنه كان واهماً، توقف أشرف ثم استدار نحو داليا التي أشارت للحارس بغلق الباب بعد خروج الجميع، كانت داليا أمامه والحارس خلفه وهو بين شقي الرحى بينما جثة الفتاة ما تزال على الأرض تنظر للفراغ بعينين شاخصتين، قالت له وهي تجلس على مقعدها الجلدي:

- أتعلم يا أشرف، لقد فكرت لبعض الوقت فيما حدث اليوم، لقد كنت أفكر في قتلك أنت أيضاً لأن كلاكما قد فشلتم في المهمة التي أوكلتها إليكما، هي فشلت بغبائها وأنت فشلت أيضاً، أخذت الكثير من الوقت في التفكير، ربما بطريقة ما ساعدت نور على الفكاك مني، ربما لم تكن لتريد أن ترى زوجة صديقك تعاني الأمرّين، ولكني لم أستطع أن أمسك خطأ واحد يجعلني واثقة ومتأكدة من خيانتك لي، لقد سمعت الحديث الذي دار بينكم ولم أجد أي شيء غير طبيعي أو مريب يؤكد شكوكي، ولكن ....

نهضت داليا من مقعدها واتجهت نحو أشرف الذي راجع خطوة للوراء ليصطدم بالحارس الذي كان واقفاً خلفه مباشرة، قال أشرف بصوت متردد:

- ولكن ماذا يا سيدتي؟

أجابته داليا وهي تنظر مباشرة إلي عينيه:

- ولكن ربما قمت للاتصال بأدهم لكي يأتي لإنقاذ محبوبته، على أي حال هناك طريقة سهلة للتأكد من ذلك يا عزيزي.

فجأة وجد أشرف نفسه محاطاً بالذراعين القويين للحارس الذي كبل حركته تماماً، حاول المقاومة ولكن ذراعيّ الحارس القويتين كانا يطوقانه بإحكام، إقتربت منه داليا وبدأت في التفتيش في جيوبه حتى أخرجت هاتفه النقال وفتحته وأخذت تتصفح المكالمات والرسائل وكل شيء إلا انها لم تجد أي اتصال بأدهم منذ فترة، قالت له:

- هاتفك نظيف يا أشرف.

قال أشرف بينما الحارس ما زال يكبل حركته:

- أرأيتِ يا سيدتي؟ أنا لم ..

قاطعته داليا وهي تقول:

- لقد قلت هاتفك نظيف ولست أنت، ربما كان هناك هاتف آخر لا يعلم به أحد، سوف نرى ذلك يا عزيزي.

obeikan.com

أخذت داليا تفتش كل شبر من ملابس وحتى جسد أشرف نفسه ولكنها لم تجد أي هاتف آخر، شعرت بالقليل من خيبة الأمل ولكنها كانت سعيدة رغم ذلك، لأنه يعني أنه حتى صديق أدهم لم يخونها من أجل صديقه ولم يُفَضّله عليها، أشارت للحارس بإفلات أشرف الذي نظر للحارس نظرة حانقة ثم نظر مرة أخرى لداليا قائلاً لها في ثقة:

– لقد تأكدتِ بنفسك يا سيدتي أنني لم أقم بفعل أي شيء يهز ثقتك بي، لقد كانت تلك الغبية من أفسدت كل شيء وقد نالت عقابها المناسب، لا يوجد من يستطيع خيانتك يا سيدتي، ربما كان هناك أغبياء كما قلتِ ولكن لا يمكن أن يكون هناك وشاة أو أن يكون هناك شخص يخون ثقة سيدتي ومولاتي به، لا يوجد من يستطيع ذلك، كلنا ملكك ولا نستطيع خيانة ثقتك بنا.

بالطبع أسعدت كلمات أشرف داليا وجعلتها تشعر بالقوة والنشوة، كانت على استعداد لتصديق أنه يوجد أغبياء ولكنها لم تكن لتبتلع بسهولة فكرة أن يكون هناك خونة بين رجالها، لذا فقد أعادت له هاتفه وهي تبتسم قائلة:

– أنت محق، فقط أتمني أن تدرك سبب شكّي في الجميع، لقد كنت أريد بحق تلك الساقطة أن تكون الليلة هنا في قصري، ولكنها سوف تأتي تحت قدماي حتماً، إن لم يكن اليوم فقريباً، يمكنك الذهاب الآن.

إبتسم أشرف لداليا وهو ينصرف من الغرفة ليترك الشيطانة مع حارسها ومدير أعمالها القذر لوتان، كانت الابتسامة ما تزال على شفتيه وهو يغادر القصر ولكنها لم تكن بسبب نجاته منها اليوم، كانت ابتسامة نصره عليها اليوم، لقد انتصر على داليا وها هو يخرج من أمامها بريء كالملائكة دون أن تستطيع اكتشاف أن من انتصر عليها اليوم هو نفسه من كان أمامها منذ لحظات، ولأول مرة منذ فترة طويلة يشعر أشرف بأن داليا ربما ليست بالذكاء الذي تحاول الظهور به أو بالقوة والجبروت اللذين تنسجهما حول شخصيتها، لا، إنها إنسانة عادية يمكن خداعها و التغلب عليها، لقد سقطت الكثير من أقنعتها اليوم أمامه، لقد ظنت أنها أذكي منه ببحثها في هاتفه وكأنه غبي سوف يستعمل هاتفه الشخصي ليحذر أدهم، لم تعلم الشيطانة أنه فور علمه بما سوف يحدث قد اشترى هاتف جديد بدون بيانات واستخدمه في إبلاغ أدهم بكل ما سوف يحدث لحظة بلحظة، لم تعلم الشيطانة أنه بمجرد فشل الفخ وأثناء رجوعه للسيارة قد تخلص من الهاتف الآخر دون أن يلحظ ذلك أحداً، وها هو الآن يخرج من قصرها أمام عينيها دون أن تدرك ما فعله، لقد أثبت لنفسه اليوم أنها ليست كما تدعي، أثبت لنفسه أنه أفضل مما كان يظن نفسه، لقد أنقذ حياة نور من براثن الشيطانة، بالتأكيد لن تهدأ وسوف تحاول مرة أخرى اختطافها ولكنه سيكون لها بالمرصاد كما حدث

اليوم، لن يسمح لها بتحويل أدهم لخادم لها كما فعلت معه، ربما هو يفعل ذلك لإنقاذ نفسه عبر لإنقاذه لصديقه من نفس المصير الذي رُسِم له من قبل، لن يسمح لها أبداً.

●●●

كانت جلسة طويلة ومرهقة للأعصاب بحق، تلك الجلسة التي جمعت أدهم بنور وهو يشرح ويحكي لها كل شيء حدث معه خلال الفترة الماضية، قص عليها كل شيء بداية من اهتمام داليا الزائد به ومروراً بعرضها للعمل معه ثم تهديدها له وانتهاءاً بالموقف الذي حدث اليوم ومحاولة خطفها على يد زبانية الشيطانة، كانت نور ترتجف بين يدي أدهم كورقة في مهب الريح، كانت غير قادرة على تصديق أن يأتي كل هذا الشر من إنسانة مهما كانت، كانت ترغب بلوم أدهم و تأنيبه على إخفاؤه كل ما حدث في الفترة الماضية عنها ولكنها كانت تعلم في قرارة نفسها أن أدهم لم يفعل ذلك سوى لحمايتها من الهلع الذي ستشعر به لدى علمها بكل شيء، لم يكن أدهم يريد أن يخفي عنها أي شيء لذا فقد قال لها كل شيء، حتى حواره مع أشرف حكاه لها، لم تصدق أن يقدم أشرف على فعل شيء كهذا حتى لو كانت زوجته خائنة كما ادعت داليا، كانت تعلم حبه لزوجته لذا لم تكن مصدقة لما سمعته عن قتله لزوجته ولكنها كانت قد بدأت تعي مقدار تحكم داليا

في كل الرجال والنساء حولها، لقد كانت شيطانة بحق تفعل كل شيء وأي شيء للوصول لهدفها مهما كان، سمعت نور الكثير وكانت بالكاد تحاول استيعاب كل هذا الكم من الأخبار والأحداث التي حدثت دون أن تعلم عنها أي شيء من قبل، كانت نور تحتضن أدهم بشدة وهو يحكي لها كل شيء، حتى عندما انتهى من ذلك فقد ظلت كما هي في مكانها بين ذراعيه دون أن تنطق بأى كلمة، انتهى أدهم من الحديث وران الصمت في المكان لفترة طويلة، حتى قطعه صوت طرقات على باب منزلهم، طرقات جعلت نور تتمسك أكثر بأدهم وهي تقول له:

- لا تفتح الباب يا أدهم، لا تفتحه، إنها هي قادمة لأخذي منك، لا تتركها تأخذني يا أدهم، لا تسمح لها بذلك.

حاول أدهم تهدئتها وقال لها:

- لا تقلقي يا حبيبتي، لن يستطيع إنسان ايذائك طالما أنا معك، لا تقلقي.

فك ذراعيها من حولها برفق واتجه لغرفته أولاً، لم تدري نور لِمَ ذهب الي الغرفة إلا عندما رأته قادماً منها وهو يحمل سلاحه المرخص ويشد أجزائه بحزم ويتجه نحو الباب، فتح الباب ببطء ليجد أن الطارق لم يكن سوى أشرف، فتح له الباب بسرعة ليدخله وينظر خارج الشقة ليرى هل يوجد أحد يراقبه أم لا، وبمجرد أن أغلق الباب

احتضن أشرف بشدة، حتى أشرف لم يتوقع ذلك من صديقه الذي قال له:

– أنا، أقصد نحن مدينان لك بحياتنا يا أشرف، لا أعلم ماذا يمكنني قوله لك لتعلم كمّ تقديري لما فعلته اليوم.

إبتسم أشرف بصفاء وهو يقول لأدهم:

– لا تشكرني يا صديقي، أنا من يجب علي شكرك، لقد جعلتني أشعر بانسانيتي مرة أخرى، جعلتني أشعر بما نسيته منذ فترة طويلة، أنت من يجب شكره، صدقني.

بادله أدهم الابتسامة وهو يضع ذراعه على كتف أشرف ويدخله إلى الصالون حيث كانت نور ما زالت في مكانها على الأريكة وتنظر بنظرات متوترة خائفة نحو أشرف ، لم يخفى على أشرف سبب تلك النظرات وقال وهو ينظر لأدهم نظرة مليئة بالندم:

– أعتقد انك أخبرت نور عما فعلته مع زوجتي، أليس كذلك؟

هنا وقفت نور غاضبة في وجه أشرف وهي تقول له:

– نعم، أخبرني بأنك قتلت زوجتك التي لم تحب غيرك طوال حياتها، كيف تجرؤ على فعل ذلك يا أشرف؟ كيف نسيت كل شيء وفعلت ذلك؟ كيف، أجبني.

لم يرد أشرف، فقط نظر إلي الأرض وكأنه يتذكر ما فعله مرة أخرى، رغم ما فعله كان أدهم يشفق عليه ويعلم أنه لم يكن بحالته الطبيعية عندما فعل ما فعل، من المستحيل أن يصدق أن أشرف الذي عرفه لسنوات يقدم على فعل ذلك وهو في وعيه، لذا فقد تحدث مدافعاً عنه موجهاً حديثه الي نور لتهدئتها:

- نور، لا تنسي أن أشرف من اتصل بي وخاطر بحياته لإنقاذك، لا تقسي عليه أكثر من ذلك.

رد عليه أشرف قائلاً:

- لا يا أدهم، نور محقة فيما قالت.

ثم نظر لنور وأكمل حديثه بحزن:

- لكن صدقيني يا نور، ربما ما فعلته اليوم لكِ هو محاولة بسيطة مني للتكفير عن ذنبي تجاهها، حتى لو كانت خائنة لم تكن لتستحق تلك النهاية، لقد أهملتها وخنتها وكانت تشعر بذلك ولم تحدثني يوماً عن ذلك، كانت تسامحني ولم أفعل معها المثل، صدقيني حين أقول أن ما أشعر به من ندم وألم أكبر من أي لوم يمكنك توجيهه إليّ.

ساد الصمت لعدة دقائق حتى كسره أدهم بمحاولة لتغيير مجرى الحديث عندما سأل أشرف:

– لم تقل لي يا أشرف لِمَ جئت بنفسك هنا، ألا تظن أن في ذلك خطورة عليك خاصة بعدما حدث اليوم؟

رد عليه أشرف قائلاً وهو يعتدل في جلسته:

– كان يجب أن آتي بنفسي إليكم لأحذركم، لقد تأكدت قبل مجيئي من عدم مراقبتي أو مراقبتكم، داليا تستشيط غضباً يا أدهم بسبب فشلها اليوم في النيل من نور، لم أرها من قبل بهذه الحالة من الغضب والجنون، يجب أن تأخذ حذرك يا أدهم في الفترة المقبلة، ما حدث اليوم لن يكون المرة الأخيرة، صدقني سوف تكررها مرة أخرى حتى تحصل ما تريد وهي لن تقبل بأقل من خضوعك التام لها ولسلطتها المطلقة.

سأله أدهم بعصبية وهو يروح ويجيء أمامه:

– أنا فقط أريد أن اعرف لِمَ كل هذا الإصرار عليّ لهذه الدرجة، يمكنها أن تأتي بمن هو أفضل مني لإدارة قنواتها اللعينة، لِمَ أنا بالذات؟

أجابه أشرف قائلاً:

– الإجابة سهلة يا صديقي، لأنك قلت لا، وهذه الكلمة لا تقال بسهولة ولا تمر دون عقاب بالنسبة لداليا، هل تظن أنها تفعل كل

ذلك وتخاطر بكل شيء لمجرد أن تدير مجموعة القنوات؟ ستكون ساذجاً إذا فكرت بتلك الطريقة، لقد تحديتها يا أدهم عندما قلت لها لا، تحديتها عندما رفضت ما طلبته منك أو بالأحرى ما أمرتك به، تحديتها بشدة وكان نتيجة ذلك مقتل اثنين من أتباعها حتى الآن بسببك.

نظر له أدهم بعدم فهم عندما قال اثنين، كان أدهم يعلم فقط بأمر السائق ولكن الأخير فهم نظرات أدهم لذا أكمل حديثه قائلاً:

– نعم اثنين يا أدهم، لقد قامت بقتل الفتاة التي تحدثت مع نور اليوم صباحاً بسبب فشلها.

شهقت نور بعنف لدي سماعها ذلك بينما اتسعت عينا أدهم غير مصدق لوحشية تلك المرأة، ولكن أشرف أكمل حديثه علي أي حال وهو يقول:

– هل عرفت الآن لِمَ أنت يا أدهم؟ لقد كنت السبب في قتلها لأتباعها الواحد تلو الآخر حتى لا تفقد السيطرة عليهم، إنها تتحكم بهم عن طريق خوفهم منها ومن سلطتها وجبروتها وسحرها ولكنك ها أنت تأتي بكل بساطة تهدم دون قصد أو بقصد كل ما سعت جاهدة تلك الشيطانة لبنائه، لقد أصبح الأمر أكثر من مجرد حاجتها لإعلامي يدير لها قنواتها، لقد أصبح الأمر شخصياً عندما رفضتها

ورفضت جنتها التي يحلم الكثيرين بدخولها، داليا تخاف من فقدان سيطرتها على أتباعها إذا شعروا بأنها ليست بالقوة التي تدعيها، دائماً توهمهم كما كانت توهمني بأنه لم يولد بعد من يقف في طريقها أو يتحداها أو ينتصر عليها، وأنت الآن تفعل كل ذلك وتهدم كل شيء، إنها تريد أن يراك الجميع وأنت خاضع لها وذليل أمامها والأهم أمامهم حتى يعلموا أنها محقة عندما تقول أنه لا يوجد من يستطيع تحديها أو تحدي إرادتها وقوتها، إنها تريدك تحت قدميها لتثبت للجميع أنهم لا يمكنهم التملص من قبضتها وأنها تستطيع إخضاع أي شخص مهما كان عنيداً أو خيّراً .

تحدث أدهم بعصبية قائلاً :

– ولكنني لن أفعل ذلك أبداً، لن أرضخ لتلك الشيطانة مهما فعلت.

أجابه أشرف بأسف:

– أعلم ذلك يا صديقي ولكن هي أيضاً تعلمه، لذا فهي تحاول إجبارك على ذلك عن طريق نور، نقطة ضعفك الوحيدة، لن تهدأ تلك الشيطانة حتى تحصل على مبتغاها منك، لقد اعتادت على الحصول على كل ما تريده وهي لن تسمح بجعلك استثناءاً لتلك القاعدة، سوف تظل تطاردك حتى تنجح في مسعاها، وحينها أنت تعلم يا أدهم

انك لن تسمح لمكروه بالحدوث لنور وستضطر لفعل ما تريده منك بالضبط، لذا فأنا اكررها مرة أخرى لك يا صديقي، احرص دائماً على التواجد مع نور في أي مكان، يجب أن تطلب نور إجازة من العمل بداعي المرض أو أي سبب آخر وتبقي معها في المنزل حتى نكتشف خطوتنا المقبلة.

سأله أدهم ببعض العصبية:

- إذن هذا هو اقتراحك يا أشرف؟ أن نختبئ منها كالجرذان؟ حتى لو فعلت ذلك، هل تظن أنها ستنسانا بعد فترة أو تَمّل وتتركنا لحال سبيلنا، أنت تعلم أن ذلك لن يحدث.

أجابه أشرف:

- أعلم ذلك ولكن على الأقل هذا الحل سيعطينا بعض الوقت حتى نعلم ماذا سنفعله في الفترة المقبلة، إذا كان لديك حلول أخرى أخبرني بها إذن.

لم يستطع أدهم الرد على صديقه لأنه بالفعل كان عاجزاً عن التفكير في أي حل آخر، على الأقل في الوقت الحالي، كان يعلم أنه محق فيما قاله ولكنه كان يكره أن يظل حبيس بيته هو وزوجته بسبب داليا ومحاولاتها القذرة للإيقاع به، ولكن بالرغم من حساسية

الموقف كان أدهم يشعر بالأمل لتواجد أشرف في صفه، كان سعيداً لسماع الأخير يتحدث عن أتباع داليا ويقول هم وليس نحن، كان يشعر بالأمل لأن أشرف تخلص من تبعيته لداليا وأصبح في صفه في حربه ضد الأفعي المسماة داليا وزبانيتها، نهض أشرف من مكانه واستعد للانصراف قائلاً:

- أعلم أن هذا الحل لا يعجبك يا أدهم ولكنه الحل الوحيد الصائب الآن، نحن نحتاج لبعض الوقت لمعرفة خطوتنا القادمة، لن يمكنك الإنتصار عليها وأنت في حالة ثورة، وحتى ذلك الحين لا تنسى أن تظل دائماً في المنزل مع نور ولا تدع سلاحك هذا يفارق يدك.

نظر أدهم ليده ليجدها ما زالت ممسكة بالمسدس طوال الوقت، لم ينتبه لذلك إلا لدى قول أشرف، ربت أشرف على كتفه وقال له:

- إذا علمت أي أنباء جديدة سأخبرك مباشرة، سأنصرف الآن لأدعكما وحدكما، إلي اللقاء يا صديقي.

ترك أشرف المكان حيث زاد هلع نور وتصميم أدهم على مقاومة داليا، لن يرضخ أدهم بسهولة ولن يستسلم دون معركة، هكذا اقنع أدهم نفسه ولكنه لم يكن يعلم ماذا تخبئ له الأيام المقبلة من مفاجآت، لم يكن يعلم أبداً.

لم ينم أدهم تلك الليلة على الإطلاق، كان يحمل سلاحه في يده وهو يختلس النظرات عبر ستائر المنزل ليرى إن كانت هناك أحد يراقبهما من الخارج، كان يعلم أن داليا لن تهدأ حتى تصل إلى نور، كما قال أشرف فإن المسألة تحولت لمسألة شخصية، مسألة تمس هيبتها ونفوذها أمام أتباعها ولن تسمح بسهولة بأن يتحداها أحد دون عقاب، لم يكن ليقبل أدهم تحت أي ظرف من الظروف الرضوخ لمطالبها ولكنه كان يخشى بحق على زوجته، كما قال أشرف هي نقطة ضعفه الوحيدة وداليا تعلم ذلك، كانت نور تنظر له مشفقة عليه مما هو فيه دون أن تستطيع مساعدته في شيء، كانت فقط تطمئن عليه كل فترة وقررت أن تبقى مستيقظة معه لبعض الوقت ولكن في النهاية غالبها النعاس من ارهاق اليوم العصبي، حاولت إثناؤه عن الإستيقاظ طوال الليل ولكنه رفض بإصرار، كانت تعلم أنه عنيد وأنه يفعل ذلك من أجل حمايتها لذا لم تجادله كثيراً واتجهت لغرفتهما وخلدت للنوم بينما ظل هو متيقظاً يراقب الطريق عبر النوافذ ويتأكد كل فترة من إحكام غلق نوافذ وأبواب المنزل، شرب الكثير من القهوة ليبقى على تركيزه وصفاء ذهنه ولكن في النهاية انتصر التعب والإرهاق عليه، في النهاية سقط في هاوية النوم العميق وهو في مكانه بالصالون، كانت الساعة قد تجاوزت الخامسة صباحاً حين حدث ذلك.

أتى الصباح بضياء الشمس وأشعتها الدافئة لتوقظ نور من نومها، نظرت للساعة المجاورة لها لتجد أنها الثامنة صباحاً تقريباً، رغم أن نومها كان متقطعاً وغير منتظم ولكنه منحها بعض الراحة على أي حال، بدأت في مغادرة الفراش لتجد أدهم مستلقي على الأريكة بالخارج يغط في نوم عميق، ابتسمت مشفقة عليه وكادت أن توقظه لينام بالداخل ولكنها آثرت عدم فعل ذلك، فقط اكتفت بإحضار أحد الأغطية من غرفة النوم لتقوم بوضعه عليه مع قبلة حنونة على جبينه ليكمل نومه في مكانه على الأقل حتى تستحم وتعد طعام الإفطار لكليهما، دخلت نور الحمام وقامت بالاستحمام لتغسل باقي إرهاق اليوم الماضي، وقد نجحت في ذلك لحد بعيد، عندما خرجت كان أدهم ما زال في مكانه نائماً فذهبت إلي المطبخ لإعداد الإفطار لهما، كانت تملك كل الوقت الذي تريده خاصة بعد اتصالها البارحة بالمحطة التي تعمل بها وقولها أنها تحتاج للراحة لبضعة أيام قبل أن تكمل عملها مرة أخرى، كانت الآن في المطبخ تبدأ بإعداد الطعام عندما سمعت الطرقات الخافتة علي باب المنزل، تراجعت نور خطوة للوراء وهي تتذكر أحداث البارحة، ذهبت لإيقاظ زوجها ولكنه كان مستغرقاً في نوم عميق فلم تفلح في ذلك، فكرت في عدم فتح الباب ولكن الدقات الخافتة توالت على الباب، اقتربت نور بحذر من باب الشقة لترى من الطارق، نظرت عبر العين السحرية

الموجودة في الباب ولكنها لم تجد أحداً، وبينما هي تنظر سمعت الطرقات مرة أخرى فأجفلت قليلاً، هي لا ترى أي شخص خارج الشقة ومع ذلك الطرقات مستمرة، ولكن حينما أنصتت جيداً بدا لها أنها تسمع صوت بكاء طفلة خارج الشقة، كان بكاء مكتوم وخافت ولكنه موجود فعلاً، كانت مترددة إن كان يجب أن تفتح الباب أم لا ولكن في النهاية لم تستطع الصمود أمام بكاء المسكينة خارج الباب، فتحت الباب بحذر لتجد طفلة لم تتجاوز السابعة من عمرها شقراء الشعر ذات عينين عسليتين ممسكة بدميتها الصغيرة، كانت المسكينة تبكي بصوت خافت وهي تنظر لنور في صمت، نظرت نور في شك في المكان بالخارج ولكنها لم تجد أي شخص فأعادت نظرها إلى الطفلة التي لم تتوقف عن البكاء، سألتها بحب ماذا تفعل في الخارج وحدها، أجابتها الفتاة وهي تبكي:

- والدتي لا ترد عليّ، لقد استيقظت من النوم وذهبت لغرفة والدتي وناديتها لكن لم ترد عليّ، حاولت هزها لتصحو ولكنها لاتصحو، أنا خائفة عليها، من فضلك تعالي لترى ماذا بها.

ترددت نور لدقيقة وفكرت أن تذهب لإيقاظ أدهم ولكنها أشفقت عليه وكذلك على الفتاة الملتاعة، سألتها نور برفق:

- اهدئي قليلاً يا صغيرتي، هل تقيمون هنا في نفس البناية؟

أجابتها الفتاة وهي تمسح دموعها بيدها:

- نعم، نحن في الطابق الموجود أسفلكم، لا أعرف لماذا لا ترد عليّ والدتي، أخشى أن تكون غيبوبة السكر، لقد سمعت والدي من قبل يقول انه حدث لها ذلك من قبل، أرجوكِ تعالي معي لتطمئني عليها، أنا لا أعلم كيف أتصرف.

في النهاية انتصرت دموع الطفلة المسكينة على شكوك نور التي أغلقت باب الشقة في هدوء ونزلت معها للدور السفلي لترى ماذا حدث، كان باب الشقة مفتوحاً بينما الطفلة تجر نور من يدها لتذهب بها إلي غرفة نوم والديها حيث والدتها، دخلت نور الغرفة وهي تتلفت حولها ولكنها لم تجد أي شخص عدا والدة الطفلة التي كانت بالفعل ممددة على الفراش دون حركة، هزت نور الوالدة التي كان وجهها مختفياً وسط شعرها المتناثر على وجهها ولكنها لم تكن تتحرك، كادت نور أن تتحدث مع الفتاة لتحضر لها هاتفاً ولكنها لم تنطق، لأن الفتاة لم تكن موجودة معها في الغرفة، منذ لحظات كانت الطفلة بجوارها ولكنها ليست هنا الآن، توقعت نور أن تكون قد ذهبت لإحضار المساعدة أو الهاتف لكي تتصل بوالدها، حاولت مرة أخرى هز الأم ولكنها كانت لا تتحرك على الإطلاق، بدأت نور في إزاحة الشعر من على وجه الأم لترى ماذا بها ولكنها لم تكد تفعل حتى

انطلقت منها شهقة رعب وهي تتراجع للوراء، لم تكن الأم سوى داليا نفسها التي فتحت عينيها ونهضت من الفراش وعلى وجهها ابتسامة سادية وحشية وهي تقترب من نور التي كانت تتراجع وهي تهز رأسها غير مصدقة لما تراه الآن، كانت نور على وشك إطلاق صرخة مدوية عندما هبطت تلك القطعة من القماش من خلفها على فمها بينما يدين تكبلان حركتها من الخلف، كانت رائحة القماش غريبة ونفاذة، حاولت نور التملص ممن يقيد يدها ولكنها لم تفلح في ذلك، ما هي إلا لحظات حتى بدأ العالم في الاكتساء باللون الأسود أمام أعين نور بينما هي تغيب عن الوعي بالتدريج، تركها حارس داليا بإشارة من سيدته التي أطلقت ضحكة عالية وهي ترى نور تزحف على يدها وقدميها في محاولة يائسة للخروج من الشقة، للهرب من الكمين الذي نُصِبَ لها، كانت داليا تمشي ببطء بجوار نور الزاحفة بينما تشعل سيجارتها وتنفث دخانها باتجاه نور وهي تقول لها:

- هيا، ازحفي يا عزيزتي ربما تستطيعين الخروج من هنا، ازحفي مثل الحشرات أيتها القذرة الفانية، لِمَ لا تحاولين الصراخ مرة أخرى، ربما يسمعك زوجك البطل ويأتي لإنقاذك من قبضتي كما فعلها في المرة السابقة، يا لك من ساذجة بلهاء، لو كنت أعلم أنك ستقعين بسهولة في هذا الفخ لكنت فكرت فيه في البداية، ربما حينها لم أكن لأضطر لقتل إحدي فتياتي بسببك.

كانت كل لحظة تمر على نور يزداد فيها اللون الأسود أمام عينيها وتغيب أكثر فأكثر عن الوعي، في النهاية لم تستطع المقاومة أكثر من ذلك، سقطت نور على الأرض فاقدة الوعي، سقطت فريسة سهلة للشيطانة التي ما أن فقدت نور وعيها حتى فتشت ملابسها بحثاً عن مفتاح شقتها حتى وجدته، أعطته لحارسها وهي تقول له:

– أنت تعلم ما عليك فعله، قم به بسرعة وبهدوء، لا نريد إيقاظ بطلنا الهمام الآن.

أومأ الحارس برأسه وانطلق لتنفيذ أمر سيدته التي ارتسمت علي وجهها أكثر الابتسامات شراً وهي تنظر لنور المسكينة وهي فاقدة الوعي معلنة انتصار داليا هذه المرة، انتصار يقربها كثيراً نحو هدفها الذي رسمته لأدهم.

بعد مرور عدة ساعات بدأ أدهم في الاستيقاظ من نومه الثقيل، نظر لساعة يده ليرى أنها تجاوزت الثالثة عصراً، يبدوا أنه كان متعباً بحق لينام كل تلك الفترة، وجد عليه ذلك الغطاء فعلم أنها نور من قامت بتغطيته وهو نائم فابتسم في كسل وهو ينادي اسمها، لم يجد أي رد منها فنادي مرة أخرى بصوت مرتفع ولكن لا مجيب، توقع أن تكون نائمة فنهض بتثاقل من مكانه واتجه نحو غرفة النوم ولكنه لم يجد زوجته، ولكنه وجد شيئاً آخر، كان مكتوب على مرآة

الغرفة عبارة جعلت النوم يطير من عينيه ليحل محله الفزع والهلع على زوجته، كان مكتوب عليها بحروف من دماء (الآن هي معنا)، أخذ يتلفت حوله كالمجنون وهو ينادي نور بأعلي صوت ولكنها كانت قد اختفت بالفعل، أخذ يجري كالمجنون ليبحث عنها في أرجاء المنزل وهو ينادي باسمها ولكنه لم يستطيع ايجادها، دخل الحمام ليجد نفس العبارة مكتوبة بالدماء على مرآة الحمام الصغيرة (الآن هي معنا)، أمسك برأسه بينما الدموع تنهمر بصمت من عينيه وهو يردد بصوت منخفض اسم نور، لقد فشل في حمايتها، وعدها بألا يمسها مكروه طالما هو بجانبها وها هو يخل بوعده ولا يستطيع الحفاظ عليه رغماً عنه، إنهار أدهم على أرضية الحمام وهو يبكي غير مصدق ما حدث، لقد حصلت الشيطانة على مبتغاها، حصلت على زوجته كما خططت من قبل، وهو فشل في حماية زوجته وحب عمره، نظر أدهم بعيون دامعة نحو المرآة ليجد تلك الجملة المكتوبة بالدماء، ربما كانت هي دماء زوجته التي أصبحت الآن في قبضة شيطانة لا ترحم، وبينما هو في هذه الحالة من الضياع رن جرس هاتف منزله، انطلق بأقصى سرعة نحو الهاتف وهو يتخبط في أثاث المنزل حتى وصل إليه ورفع السماعة وهو يقول بلوعة:

- نور، هل أنتِ يا حبيبتي؟ أجيبيني.

جاءته عبر الهاتف ضحكة داليا المنتشية بالنصر قبل أن يسمع

صوت آخر عبر الهاتف، كان صوت صرخة انطلقت بقوة من حنجرة نور المسكينة، أخذ أدهم ينادي باسمها بصوت عالي ولكن فجأة انقطع الاتصال، أخذ يصرخ في سماعة الهاتف بإسم نور زوجته، توعد وهدد رغم انقطاع الإتصال، وضع السماعة بيد مرتعشة ونظر لشاشة الهاتف ليعرف الرقم الذي اتصل به ولكنه كان رقماً مجهولاً، بعد عدة دقائق جاءه مرة أخرى صوت الهاتف ليرد عليه وللمرة الثانية لا يتحدث أحد، فقط سمع صرخة جديدة من نور، أخذ يهدد مرة أخرى وهو يبكي ولكن انقطع الاتصال للمرة الثانية، صرخ أدهم بصوت عالي وهو يقف عاجزاً عن فعل أي شيء لإنقاذ زوجته، أخذ يحطم كل ما وصلت إليه يديه وهو يبكي و يصرخ في آن واحد، حتى جاءه الإتصال للمرة الثالثة، رفع سماعة الهاتف ليسمع هذه المرة بكاء نور، كانت داليا تستمتع بحق بتعذيب أدهم نفسياً وقد نجحت في ذلك لأقصي درجة، كانت تستمتع بضعفه وبكاؤه وقلة حيلته وانهياره أمامها وأمام قوتها وجبروتها، لذا فقد أغلقت الهاتف في وجه أدهم مرة أخرى وهي تستمتع بكل لحظة من لهوها المريض بأعصابه، إنهار أدهم بجوار الهاتف وهو يجهل حتى كيف يفكر، كأن عقله توقف عن التفكير دفعة واحدة، لا يوجد أي شيء في عقله الآن سوى نور، رن جرس الهاتف للمرة الرابعة، لم يجب عليه مباشرة، فقط إكتفى بالنظر إلى الهاتف لبعض الوقت قبل أن يمسك سماعة الهاتف ببطء ويقول لداليا:

- أرجوكِ لا تؤذيها، ليس لنور علاقة بأى شيء، أنتِ ....

ليفاجأ بالهاتف يغلق في وجهه مرة جديدة، ظل أدهم ممسكاً بالسماعة لبعض الوقت وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة كمن يوشك على الغرق، وبمجرد أن وضع السماعة مكانها فوجئ بالهاتف يرن مرة أخرى، التقط السماعة ولم يتحدث، فقط ظل ممسكاً بها وصوت تنفسه فقط هو ما يصل منه للجانب الآخر، حينها فقط بدأت داليا بالحديث قائلة:

- أول درس يجب عليك تعلمه، لا تحاول الحديث إلا عندما آذن لك، لقد قلت لك من قبل أنت ملكي ولكنك لم تستوعب ما قلته، لا أعلم هل هو غباء أم عناد منك ولكنك لم تستوعبه، الآن ستستوعب كل ما أقوله لك وبالحرف الواحد، زوجتك العزيزة معي الآن يا أدهم، زوجتك التي أعلم أنك ستفعل أي شيء لاستعادتها مرة أخرى ولكنك لن تفعل ذلك إلا بإذني أنا فقط وعندما أريد ذلك، لذا فأنصحك بألا تفعل أي شيء سوف تندم عليه لاحقاً كالإتصال بالشرطة لأن حينها يا عزيزي سوف يعثرون على جثة زوجتك وبجوارها مسدسك المرخص الذي عليه بصماتك.

تذكر أدهم سلاحه الذي كان بجواره عندما خلد للنوم ونظر حوله ولكنه لم يجده، أكملت داليا قائلة بسخرية:

– يا لي من حمقاء، لقد نسيت أن أذكر أننا استعرنا سلاحك عندما كنت نائماً كالملاك الصغير على الأريكة، الآن سلاحك معي ويمكنني فعل أي شيء به وإلصاق التهمة بك، ربما أول شيء أفعله هو إطلاق النار على زوجتك بواسطته، هذا بالطبع إذا قمت بإبلاغ الشرطة، صدقني لن تكون أول مرة أقتل شخصاً ما وألصق التهمة في نفس الشخص الذي كان يحاول إنقاذه مني، فعلتها كثيراً من قبل، هل ترى السخرية في ذلك، أن يتم سجنك عشرات السنين أو حتى ربما يتم إعدامك بتهمة باطلة وليس هذا فحسب، سيتم اتهامك بقتل من كنت تريد حمايته والدفاع عنه، تخيل أن تحمل معك تلك الفكرة كل يوم في حياتك وحتى يوم موتك، يمكنني فعل ذلك بك أنت أيضاً يا أدهم ولكني لا أشعر برغبة في ذلك، لقد قلتها لك من قبل أنني أريدك بجانبي، أنت لست مثل باقي الحمقي الموجودين حولي، جميعهم يطمع في شيء ما يمكنني توفيره لهم، مال، نفوذ، نساء، مغامرة، ولكن أنت مختلف، بالإضافة لأنني لو كنت أريدك أو أريد نور ميتة لكنت فعلت ذلك منذ فترة طويلة ولكنت وفرت عناء وجهد التفكير في اختطافها، لا يا عزيزي، أنا أريدها حية لأنني أريدك أنت، أريدك بجانبي وسوف تصبح بجانبي قريباً سواء شئت أم أبيت، رغبتك لا تهمني كثيراً الآن، كل ما يهمني أن يراك بجانبي نفس الأشخاص الذين رأوك تتحداني، حينها سيعلمون أنه لا مهرب مني ولا يوجد من يستطيع رفض تنفيذ أوامري، لقد قمت من قبل بهز

صورتي أمام أتباعي وخدمي ولكن ليس بعد الآن، هذا انتهى، والآن جاء دورك لتفعل ما فعله الكثيرون من قبلك.

سألها أدهم بصوت متعب:

- وماذا تريدين مني فعله؟

أجابته داليا بحزم وقوة:

- الخضوع لي يا عزيزي، إخضع لي كما خضع من هم أكثر منك قوة وإرادة ونفوذ، اخضع لي واركع تحت قدماي أمام الجميع واقبل سيطرتي وتحكمي في حياتك ومصيرك، حينها فقط ستنال نور حريتها، وليس هذا فحسب، سترى مني حينها ما لم تراه من قبل، سأجعلك تندم على أنك لم تقبل بي سيدة لك من قبل، سأفتح عينيك على ما لم تراه من قبل في حياتك، كل شيء سيكون ملكك يا أدهم، كل ما حلمت أو حتى لم تحلم به من قبل طوال حياتك، حينها ستدرك كم كنت مخطئاً من قبل حين رفضتني ورفضت ما يمكنني منحه إياك، حينها ستدرك كم أنا عطوفة على من أرضي عنه كما رأيت كم أنا قاسية على من أغضب منه، القرار لك يا عزيزي.

ظل أدهم صامتاً لبعض الوقت قبل أن يرد على داليا قائلاً:

- سوف أفعل ما تريدينه، فقط لا تؤذي نور وسأفعل ما تشائين.

جاءته ضحكة قصيرة من داليا قبل أن تقول له:

- إذن نحن متفقون يا عزيزي، بعد ثلاثة أيام بالضبط سيكون هناك أكبر قداس أسود في العام، سوف يحضره أقرب وأخلص أتباعي، سوف تكون موجوداً في هذا القداس لتقدم لي فروض الطاعة والخضوع لي ولقوتي، يجب أن يرى الجميع أن أدهم الذي تحدى سيدتهم وشكك في قدراتها قد تحول لخادم وتابع آخر لسيدتهم ومليكتهم، مثله مثل الكثيرين من قبله، يجب أن يعلم الجميع أنه لايوجد من يستطيع تحدي أو الصمود أمام مليكتهم وسيدتهم، سوف تظل نور معي حتى موعد القداس، إذا فعلت ما آمرك به سوف تكون تلك الأيام الثلاث كالنزهة بالنسبة لنور، لكن لو فكرت في أي شيء أحمق ستكون تلك الأيام الثلاث بمثابة جحيم على الأرض بالنسبة لك ولها، سوف ترى حينها غضبي الحقيقي كما لم يراه أحد من قبل، سأجعلها تتمنى الموت ألف مرة في كل لحظة، سأجعلها تُقبّل قدمي حتى أرحمها وأقتلها ولن يحدث ذلك، سوف أتركك تفكر جيداً تلك الفترة حتى تعلم ما يمكنني أن أجعلك تفقده بسهولة لو عصيتني، والآن حتى تعلم كم أنا رحيمة سأسمح لك بمحادثتها.

بعد لحظات أتاه صوت بكاء نور وهي تمسك سماعة الهاتف وتقول لأدهم وسط دموعها:

– أنا آسفة على ما حدث، كل ذلك هو خطأي يا أدهم، سامحني.

بدا التأثر الشديد على صوت أدهم وهو يقول:

– لا تقولي ذلك يا حبيبتي، لن أدع مكروهاً يحدث لكِ، سوف آتي لإنقاذك وسنكون معاً مرة أخرى قريباً، فقط تماسكي حتى أصل إليكِ.

ردت عليه نور قائلة:

– لا تستمع لما تقوله تلك الشيطانة يا أدهم، لا.....

فجأة دوت صرخة نور في الهاتف، أمسك أدهم السماعة بكلتا يديه وهو يصيح بإسم زوجته ولكن أتاه صوت داليا مرة أخرى وهي تصيح في وجهه:

– حتى وهي ذليلة أمامي تسبني، يبدوا أن زوجتك بحاجة لدرس صغير حتى تتعلم محادثة سيدتها، اقطعوا لها إصبعاً حتى تتعلم الدرس جيداً.

صرخ أدهم في الهاتف قائلاً لداليا:

– لا أرجوكِ، لا تفعلي ذلك، سوف أفعل كل ما تريدينه، لا تؤذيها أتوسل إليكِ.

لم تعلق داليا لثواني ثم قالت له بعد تفكير:

- تفعل أي شيء، حسناً، لنرى ذلك، يمكنك مناداتي سيدتي كما ينادني باقي أتباعي كبداية، لقد أصبحت واحداً منهم الآن، أليس كذلك يا عزيزي؟ اطلب مني أن أصفح عنها وربما حينها يمكنها الاحتفاظ بذلك الإصبع الجميل في مكانه، ولكن لابد أن تقنعني حتى أوافق.

كان أدهم يشعر ببركان داخله وهو عاجز عن حماية زوجته، كان مضطراً لأن يفعل ما تطلبه منك تلك الشيطانة، لذا فقد قال لها في انكسار واضح:

- من فضلك اصفحي عنها يا .... يا سيدتي، هي لا تعني ما تقوله، نور مازالت في حالة صدمة مما حدث معها اليوم، تقبلي أسفي وأسفها واغفري لها زلة لسان لم تقصدها يا سيدتي.

ظلت داليا صامتة لبعض الوقت بينما أدهم يرتعش من فرط التوتر لما سيكون قرارها، ثم تحدثت داليا وقالت له:

-أظنك بحاجة لبعض التدريب ولكنها بداية جيدة، سوف أصفح عنها يا عزيزي، حتى تعلم كم سيدتك رحيمة بخدمها، لا تنسى ما اتفقنا عليه، موعدنا بعد ثلاثة أيام في الساعة الثانية عشر صباحاً في قصري، لا تتأخر لأنك لو تأخرت لن أتأخر أنا في قتل زوجتك الغالية أمام الجميع.

ترك أدهم السماعة تسقط على الأرض بجانبه وأمسك برأسه وهو عاجز عن التفكير، لم يكن يتوقع أن تكون تلك النهاية، أن يصبح تابع آخر من أتباع تلك الشيطانة، لم يتوقع أن يصبح ذليلاً أمامها دون أن يملك أي سلاح ليدافع به عن نفسه أو عن عائلته، كانت الكلمة الأخيرة لداليا في النهاية وها هي تعلن انتصارها الساحق عليه، هو الآن تحت رحمتها بالكامل ولا يستطيع الاعتراض أو قتالها دون أن يعني ذلك خسارته لزوجته، وبينما هو على هذه الحالة المزرية سمع تلك الطرقات السريعة على باب منزله، لم يحاول حتى النهوض من مكانه لمعرفة من الطارق، فقط ظل في مكانه دامع العينين ولكن الطارق لم ييأس وظل يطرق الباب بقوة، في النهاية نهض أدهم بتثاقل وبخطوات مرتعشة اتجه نحو الباب ليرى ما هي الكارثة الجديدة القادمة الآن، لم يكن الطارق سوى أشرف صديقه الذي دخل بسرعة وهو يغلق الباب ويسأل أدهم:

- ماذا حدث؟ لقد اتصلت بك على هاتفك المحمول عشرات المرات ولم أجد أي رد منك، لقد قلقت للغاية وحسبت أن مكروهاً أصابك أو أصاب نور فجئت مسرعاً، هل كل شيء على ما يرام يا أدهم؟

ثم نظر حوله ليجد كل شيء مبعثر على الأرض، لذا فقد سأل أدهم مرة أخرى:

- ماذا حدث هنا؟ رد علي يا أدهم، أين نور؟ هل هي بالداخل؟

عندما لم يرد عليه أدهم اتجه بنفسه نحو غرف المنزل ليبحث عنها وفوجئ بالكلمات الدموية المكتوبة على مرآة الحمام، حينها فهم أشرف كل شيء، فهم سبب صمت أدهم وسر عينيه المنتفختين، رجع مرة أخرى للصالون ليجد أدهم ما زال في مكانه واقفاً دون أن يبدوا على وجهه أي تعبيرات وكأنه جثة هامدة، كان في حالة صدمة شديدة جراء ما حدث، حاول أشرف مراراً دفعه للتحدث أو قول أي شيء ولكن لا مجيب، في النهاية أمسك بأدهم من كتفيه وهو يقول له:

- أدهم يجب أن تتماسك يا صديقي، سوف نجد حلاً لهذه المصيبة سوياً.

فجأة وبدون سابق إنذار أمسك أدهم بملابس صديقه ودفعه بعنف نحو الحائط وهو يكيل له لكمة قوية صارخاً في وجهه:

- سوياً؟ هل تريد إقناعي بأن ليس لك دوراً في كل ما حدث، لقد لعبت الدور جيداً أيها القذر، جعلتني أثق بك وأظنك صديقي، لا تقلق، يمكنك الرجوع لسيدتك وإخبارها بأنني خادمها الآن، سأفعل ما تريده مني، ماذا تنتظر؟ اذهب لتخبرها أن أتباعها زادوا واحداً.

تحسس أشرف وجهه في ألم، كان غاضباً من حديث أدهم له ولكمه إياه ولكنه كان مقدراً لما يمر به، لذا فقد قال له وهو يعدل ثيابه:

- حقاً؟ هل تظن ذلك بحق؟ لو كنت معها كما تقول لماذا أجعلها تفشل في أول مرة حاولت خطف نور؟ لماذا خاطرت بحياتي لأنقذها من تلك الشيطانة واتصلت بك لأخبرك كل ما سوف يحدث لحظة بلحظة حتى تنقذ زوجتك؟ لو كنت معها كما تدعي لما أتيت لك الآن عندما لم ترد على هاتفك، السبب الوحيد الذي يمنعني من الإنصراف الآن هو تقديري لما تشعر به، لو كنت مكانك ربما لكنت فعلت المثل، أنا معك في هذا الأمر يا أدهم وأنت تعلم ذلك.

أخذ أدهم يبكي كالأطفال بينما احتضنه أشرف، قال له أدهم بين دموعه:

- لقد اختطفتها من بين يديّ، اختطفت زوجتي ولم أقدر على منع ذلك.

رد عليه أشرف قائلاً:

- ليس المهم هو ما حدث لأننا لن يمكننا تغييره، ما يمكن تغييره هو القادم فقط، يجب أن نفكر سوياً في خطوتنا المقبلة.

ابتسم أدهم ابتسامة تهكم وهو يقول لأشرف:

- تتحدث وكأننا نستطيع مواجهتها، إنها تملكني الآن بعدما امتلكت نور، لابد أن أفعل ما تطلبه مني.

رد عليه أشرف بعصبية:

- هل استسلمت بهذه السهولة يا أدهم؟ هل تظن أنك لو فعلت ما تريده ستتركك تعيش في سلام مع زوجتك، صدقني أنا أعلم أفضل منك، ستظل تطاردك ولن تتركك تفلت من براثنها إلا عندما يحلو لها ذلك، وصدقني هي تتمسك بشدة بأى شيء تملكه،أدهم ، عندما جئت لي في منزلي كانت حالتي مثل حالتك الآن وربما أسوأ، لقد قتلت زوجتي يا أدهم، هل تسمعني، قتلت زوجتي، عندما طلبت مساعدتي كنت في البداية رافضاً لذلك ولكن عندما فكرت في الأمر شعرت وكأنها علامة من الله حتي أكفر عن بعض ذنوبي، أنت من جعلتني أتخلص من خيوط العنكبوت التي أحاطتني بها تلك الشيطانة، أنت من جعلتني أشعر بأنه يوجد سبب يجعلني أريد البقاء على قيد الحياة بعدما كنت يائساً من كل حياتي، لا يمكنك الاستسلام يا أدهم صدقني، لأنك لو استسلمت لها لن ترحمك وستظل خادمها حتى الموت، لقد رأيت وشاهدت ماهي قادرة على فعله وطوال كل تلك الفترة لم أراها ترحم شخص ما أو تتركه لحال سبيله بعدما فعل ما

طلبته منه، ولن تكون استثناء لها، إذا كنت بالفعل تريد النجاة لنور من مخالب داليا فلا يوجد أمامك حل آخر سوى مواجهتها وبقوة ولكن في نفس الوقت بحذر.

ربما كانت كلمات أشرف بمثابة العلاج الذي كان يحتاجه أدهم الآن، كان أدهم يعلم في أعماقه أن ما قاله صديقه صحيح، لن تتركه داليا يهنأ بحياته وستظل تذكره دائماً بأنه خادمها وتابع لها حتى يوم مماته، لذا فقد اعتدل في جلسته ومسح دموعه ثم قال لأشرف:

- ولكن ماذا نستطيع فعله لإنقاذ نور؟

أجابه أشرف وعلى وجهه ابتسامة مشجعة:

- ربما أعلم إجابة ذلك السؤال، الآن فلتنهض من مكانك وقم للاغتسال لأن لدينا من يجب مقابلته أولاً وقبل كل شيء.

وبالفعل نهض أدهم واتجه للحمام للاغتسال وهو يعلم أنه لايمكن أن يسقط دون مقاومة ولن يرضخ دون حرب مع الشيطانة أولاً، نظر للمرآة ليجد تلك الكلمات تذكره بما حدث، رمي عليها بعض الماء حتى زالت من أمامه، لن يترك داليا تملي عليه حياته و تحوله إلي تابع لها حتى لو كلفه ذلك حياته، لن يسمح لها بذلك على الإطلاق.

●●●

openkan.com

انطلق كلاً من أدهم وأشرف في سيارة الأخير لمقابلة ذلك الشخص الذي تحدث عنه أشرف، لم يتحدثا كثيراً في طريقهما وكان ذلك يناسب حالة أدهم المزاجية حالياً، كان بحاجة للتفكير بعمق في كيفية إنقاذ نور مما هي فيه الآن والخروج من هذا الكابوس الذي قفز له في أرض الواقع ليحاول تحطيم حياته بأكملها، ولكن بعد فترة وجد أدهم أن صديقه يتجه بالسيارة نحو المريوطية، نفس الطريق المؤدي لقصر داليا، تعجب أدهم من ذلك لذا فقد سأل أشرف قائلاً:

- أليس هذا هو الطريق المؤدي الي قصر داليا؟

أومأ أشرف برأسه إيجاباً وقال له رداً على سؤاله:

- بلي، ولكننا لسنا متجهين لقصرها الآن، الشخص الذي أخبرتك عنه يعمل في فيلا قريبة من قصر داليا ولابد لنا من رؤيته، أظن هو الوحيد القادر على مساعدتنا في استعادة نور.

سأله أدهم مرة أخرى:

- لكن من هذا الشخص ولماذا سيساعدنا وكيف عرفته؟

إبتسم أشرف في رفق وأجابه قائلاً:

- أنت تسأل أسئلة كثيرة ونحن اقتربنا من المكان بالفعل، وفّر الأسئلة الآن وستعرف كل شيء قريباً عندما نقابله، دعنا فقط ندعو

أن يوافق على مساعدتنا في الخروج من هذا المأزق خصوصاً أنه لن يسعد كثيراً برؤيتي تحديداً.

لم يكن أشرف يعطي الكثير من الأجوبة لأدهم ولكنه لاذ بالصمت حتى يصلا إلى تلك الفيلا، ربما حينها يستطيع معرفة المزيد حول هذا الشخص الغامض، لم تمضي أكثر من ربع ساعة وكانا بالفعل وصلا إلى المكان المنشود، فيلا راقية قديمة نوعاً ما تبتعد بضعة كيلومترات عن قصر داليا، توقف أشرف بالسيارة أمام بوابة الفيلا وترجل من السيارة متجهاً نحو البوابة الخارجية للفيلا وأخذ يطرق على البوابة وينادي على شخص يدعي ملاك:

- عم ملاك، هل أنت هنا؟ نحن بحاجة للتحدث معك، لن نأخذ من وقتك الكثير.

خرج عليه رجل عجوز طاعن في السن يرتدي جلباباً يدل على أصوله الصعيدية، نظر بتمعن في وجه أشرف قبل أن يقول له:

- الفيلا ليست للبيع يا سيد.

رد عليه أشرف قائلاً له:

- لست قادماً من أجل الفيلا، أنا قادم لك أنت، أنت والد عوض، أليس كذلك؟

تفحّص العجوز ذلك الزائر المجهول قبل أن يقول له بشك:

- ولماذا تسأل عن عوض؟ ماذا تريد منه؟ هو ليس موجوداً هنا على أي حال، لقد غادر إلى بلدتنا منذ فترة، هل أعرفك؟ شكلك يبدوا مألوفاً لي ولكن لا يمكنني تذكر أين قابلتك.

أجابه أشرف:

- نعم لقد رأيتني من قبل ولكن هل نستطيع أنا وصديقي الدخول والتحدث معك لبعض الوقت؟ صدقني الموضوع هام ويستحق وقتك.

طرق الرجل العجوز مفكراً لبعض الوقت ثم فتح البوابة الحديدية حتى يدخل أشرف بسيارته إلى حديقة الفيلا، وبينما كان أشرف يقوم بركن السيارة كان أدهم يدقق النظر في وجه الرجل العجوز، لقد رآه من قبل، نعم، هو نفس الرجل الذي سأله عن الطريق إلي قصر داليا ليلة أن زارها هو ونور لأول مرة ولم يتحدث معهما، كان يبدوا عليه الامتعاض من أدهم حينها، بالتأكيد أعتقد إنه أحد أتباع داليا الجدد لذا فقد تصرف معه بعدائية واضحة، ترجّل الرجلين من السيارة بينما مشي ملاك أمامهما حتى وصلا إلى طاولة في حديقة الفيلا، كان يبدوا عليها أنه لا يقطن أحد بها منذ فترة وأن ملاك هو فقط حارسها، جلس الجميع وحينها بدأ ملاك بالحديث قائلاً:

– حسناً، لقد دخلت وجلست، فلتخبرني الآن يا بنيّ ماذا تريده مني ولماذا تسأل عن ولدي عوض؟

اعتدل أشرف في جلسته على المقعد قبل أن يبدأ حديثه ثم قال:

– أنت بالفعل رأيتني من قبل، كنت هنا منذ حوالي العام، لقد كنت المخرج المسئول عن تغطية قضية عوض ولدك.

بدا بعض الضيق على وجه الرجل العجوز ولكنه لم يصرح بذلك، فقط اكتفي بسؤاله لأشرف:

– قضية عوض، إذن أنت تعلم بخصوص ما حدث، ولماذا أنت هنا الآن؟ هل علمت بخروجه من السجن وأتيت من أجل المزيد من الشهرة على حساب ولدي؟ ألم يكفي ما عاناه من قبل؟

رد عليه أشرف بسرعة قائلاً:

– لا بالطبع يا عم ملاك، من فضلك دعني أكمل كلامي أولاً ثم يمكنك طردنا من هنا إذا أحببت.

صمت ملاك لبعض الوقت ثم قال:

– حسناً، أكمل ما تريد قوله.

بدأ أشرف إكمال حديثه قائلاً:

– لقد كنت من مرتادي قصر داليا من قبل، ورأيت عوض عدة مرات في قصرها، أعلم أنه كان حارس قصرها لفترة من الزمن وكنت أرى أحياناً ابنته الراحلة رحمها الله، لم أكن قريباً منه بالطبع ولكن من المرات القليلة التي رأيته فيها علمت أنه إنسان طيب ويعشق ابنته، لذا لم أصدق عندما علمت بأنهم يدّعون قتله لابنته الوحيدة والتي كانت تمكث معه في قصر داليا، وبصفتي مخرج في قناة تليفزيونية كنت على اطلاع أولاً بأول بأحداث القضية، علمت أنه تمت إدانته بقتلها بداعي الدفاع عن الشرف.

نهض ملاك من مقعده غاضباً وهو يقول:

– حفيدتي كانت شريفة ولم تفعل ما يغضب الرب حتى يقتلها، عوض لم يقتل ابنته، لقد تم قتلها بدم بارد أمام عينيه دون أن يستطيع الدفاع عنها، أنصت لي يا رجل، لا أظن أن هناك فائدة من وجودك هنا، أنت تضيع وقتك ووقتي، فلتنصرفا الآن قبل أن تندما على المجيء لهنا.

رد عليه أشرف حانقاً:

– لن أنصرف من هنا حتى تسمع ما لدي لقوله، أعلم أن عوض بريء مما تم اتهامه به، ولكن رغم ذلك تمت إدانته والحكم عليه بالحبس ستة أشهر لأن القاضي اعتبرها قضية دفاع عن الشرف،

ولكنه لا يستطيع رفع رأسه وسط أهله لأنه لم ينتقم من قاتلي ابنته، نحن هنا لنساعده في نيل انتقامه من داليا ومن كل من يعاونها .

فجأة سمع أشرف صوت من خلفه يقول:

– كل من يعاونها؟ إذن لماذا لا أبدأ بك أنت؟ هل نتحدث عن نفس الإنسانة التي تدين لها بالولاء؟ ولماذا تظن أنني سأساعدك؟

كان هذا هو عوض، رجل يرتدي جلباب مثل والده، عريض المنكبين في منتصف الثلاثينيات، تحولت آثار الحزن في قلبه لتجاعيد شقت طريقها عبر وجهه لتزيد من تجهمه، حينها تحدث أدهم لأول مرة موجهاً كلامه لعوض:

– هل سمعت من قبل عن مقولة عدو عدوي هو صديقي؟ هذا هو السبب، أنت اُتّهِمت باطلاً بتهمة لم تفعلها، وأشرف هنا جعلته الشيطانة يقتل زوجته أمامها ظناً منه أنها خائنة، لقد خدعت الجميع، أشرف الذي تراه الآن يريد بحق القضاء عليها كما يريد بقيتنا ذلك، صدقني كلنا بحاجة لبعضنا البعض ولن يستطيع فرد واحد فقط القضاء عليها ولكن إن اتحدنا ربما نتمكن من فعل ذلك.

سأله عوض وهو يعقد ذراعيه أمامه قائلاً:

– وأنت؟ ماذا فعلت بك؟

رد عليه أدهم بحزن قائلاً:

– لقد اختطفت زوجتي وهي الآن تهددني بها إن لم أكن تابعاً لها كما كان الكثير من قبلي، عوض، كلنا هنا نحتاج لبعضنا البعض، لن يستطيع شخص واحد فقط منا القضاء عليها، يمكنك الانضمام إلينا لمساعدتنا فيما نريده كما تريده أنت بالضبط، أو قضاء بقية حياتك تحمل العار والفضيحة بينما يأكلك الحزن والندم على أنك لم تنتقم ممن قتلت ابنتك، سيأتي يوم أعلم أنك ستندم به من عدم الانضمام إلينا للقضاء على تلك الأفعي.

صمت عوض لبعض الوقت ثم سألهما قائلاً:

– أنتما من الأغنياء، تستطيعان القضاء عليها بأنفسكما، لِمَ لا تقوما بتأجير بعض البلطجية أو ما شابه، لماذا تحتاجان إليّ في هذا الأمر؟

هنا رد عليه أشرف بسرعة:

– لأنك تعلم كل مداخل ومخارج القصر، لقد كنت حارسه لفترة طويلة وتعلم كل شيء عنه، أنت الوحيد القادر علي إدخالنا هناك دون أن يلاحظنا حراسها، عوض، صدقني لن نستطيع إكمال ذلك الأمر بدونك، كما قال لك صديقي هنا أنت تحتاجنا كما نحتاجك نحن أيضاً، إن عدونا مشترك وهدفنا أيضاً مشترك، انضم إلينا وساعدنا في القضاء على تلك الشيطانة.

طرق عوض مفكراً لبعض الوقت، ربما كانت تلك هي الفرصة التي لطالما تمني الحصول عليها للقضاء على من قتلت ابنته أمامه عندما رفضت أن تصبح إحدي جواريها، بعد فترة من الصمت تحدث عوض قائلاً:

- يبدوا أننا لم ندعوكم بعد لشرب شيء ما، دعنا أولاً نعد بعض الشاي ونأتي للتحدث أكثر عن هذا الموضوع.

وقبل أن يغادر وجه حديثه لأشرف قائلاً:

- لِمَ لا تأتي معي ونترك والدي وصديقك ليتحدثا حتى ننتهي نحن؟

أومأ أشرف برأسه إيجاباً ونهض من مقعده لمساعدة عوض بينما ظل أدهم في مكانه مع الرجل العجوز، بعد أن غابا عن الأنظار داخل الفيلا تحدث ملاك قائلاً لأدهم:

- أنت سيء الحظ يا بني.

إستعجب أدهم جملة ملاك لذا فقد سأله:

- ماذا تعني بذلك؟

إبتسم الرجل العجوز وهو يقوم بلف سيجارته ثم قال له:

– أنا أتذكرك كما أتذكر صديقك، لم أرك إلا مرة واحدة ولكنني عندما دققت النظر بك تذكرتك، منذ فترة ليست بالبعيدة توقفت أمام الفيلا وسألت على عنوان القصر، أتذكر أنني لم أرد عليك ولكن هذا بسبب أنني إعتقدتك شخص آخر من كلاب داليا الذين يتبعونها في كل مكان ويفعلون كل شرور العالم داخل قصرها، يبدوا أنني كنت مخطئاً بشأنك، أنت فقط وُجّهَت لك الدعوة الخاطئة للمكان الخطأ، أنت لست مثلهم، أنت فقط سيء الحظ كما قلت لك، سيء الحظ لأنك قابلتها يوماً ما، وها أنت تدفع ثمن ذلك غالياً.

ثم ساد الصمت مرة أخرى بينهما قبل أن يسأل ملاك أدهم ويقول له:

– ما دمنا سنرى بعضنا البعض كثيراً في الفترة المقبلة لِمَ لاتخبرني بقصتك يا بني، ماذا أوقعك في طريق تلك الشيطانة؟

لم يدري أدهم السبب ولكنه لسبب ما لا يعلمه استراح لذلك الرجل العجوز، له تلك النظرة الطيبة الحكيمة التي نراها في عيون آبائنا وأجدادنا، لذا فلم يكن مستغرباً أن يحكي له كل شيء، كل ما مر به منذ بداية تلك الكارثة التي حلت على رأسه، حتى إنه حكي له عن الكابوس الذي رآه في السيارة عندما انتهي من مقابلته لداليا

في أحد الكافيهات، ربما كان أدهم بحاجة لكي يزيح ذلك الثقل من على كاهليه، ربما هو بحاجة لأن يحكي فقط لعلّ يساعده هذا على التفكير بهدوء أكثر، المهم أنه قص عليه كل شيء من البداية التي شهدها ملاك نفسه عندما طلب منه أدهم إرشادات للطريق حتى اللحظة التي دخل فيها الفيلا للتحدث معه ومع ابنه عوض، كان الرجل يستمع فقط دون أن يعلق على أي شيء، ربما هذا ما جعل أدهم يتحدث بحرية في كل ما حدث، لم يقاطعه ملاك ولم يتحدث طوال فترة تحدث أدهم، كان يشعر بأن الأخير بحاجة للتحدث أكثر من حاجته لسماع نصائح رجل عجوز مثله، أنهى أدهم حديثه لملاك الذي قال له بحزن:

- أنا أصدقك يا بني، من المؤسف أن تضطر لخوض كل ذلك بمفردك دون أن يكون هناك أحد بجوارك، ولكن حمداً لله فقد بعث الله لك صديقك أشرف بعد أن ساعدته في كشف الغشاوة عن عينيه وأرجعته مرة أخرى لنفسه ،أمس أنت ساعدته وهو الآن يساعدك، نحن أيضاً سنساعدك يا ولدي، ربما بدا لك عوض ابني فظّاً ولكن لابد أن تلتمس له العذر، ما رآه صعب على أي والد أن يمر به، سوف تصبح أباً في يوم من الأيام وتعلم مقدار محبة الوالد لولده.

رد عليه أدهم قائلاً:

- صدقني يا عم ملاك أنا لا ألومه، لو كنت مكانه لما وثقت بأحد

خاصة لو كان على صلة بداليا، ولكنني أخبرتك بكل شيء بمنتهى الصراحة، لا تتخيل كما أنا مستريح الآن بعدما قابلتك، أحمد الله على الصدفة التي جمعتني بك اليوم.

ابتسم ملاك بتؤدة وقال:

– صدفة؟ لا أظن ذلك يا ولدي، هل تظن أنها صدفة أن يعلم صديقك عن عوض ولدي؟ صدفة أن يكون هو من يقوم بتغطية الخبر عندما حدث ما حدث، صدفة عندما قابلتني أول مرة كنت في طريقك لقصر خادمة الشيطان، صدفة أن يخرج ابني من السجن فقط قبل فترة قليلة من مجيئك اليوم لطلب مساعدته؟ انه القدر يا ولدي، إنها رسالة لنا جميعاً بأن الله لا يرضى عما يحدث في ذلك القصر، رسالة لكي نقاوم ذلك الشر ونقضي عليه معاً من أجل ما نحب وأحببناه يوماً ما، هل فكرت من قبل في الكابوس الذي رأيته كما تقول؟ في رأيي انه ليس كابوس كما تدعي، إنها علامة، علامة لتوقن أنه لا مهرب لك مما أنت فيه سوى بالله، أنت قلت بنفسك أنك لم تستطع الفرار منها حتى بدأت تتلو القرآن، لم تفكر حينها في معني ذلك ولكن دعني أنا أقل لك، هذه علامة يا ولدي بألا تسمح لها بالسيطرة عليك، القرآن هو ما أنقذك حينها والقرآن يعني الله والتمسك بجانبه، لن تنجو في الدنيا إلا بتمسكك بدينك وعقيدتك، هذه الرؤيا تطمئنني عليك يا

ولدي، لأنها تعني أنك لن تستسلم للشيطان ولا خادمته، سوف تقاوم وتكافح ضدهما وأنا وولدي معك في هذا الأمر، لقد جمعنا الرب دون ميعاد لأننا من نستطيع القضاء على هذا الشر ومعاً سوف نفعل ذلك.

ربّت ملاك على كتف أدهم الذي ابتسم بدوره، حينها رأي كلاً منهما عوض وأشرف قادمان بصينية عليها أكواب الشاي وأخرى عليها بعض الطعام، قال أدهم:

- لقد بدأت في القلق عليهما، لقد تأخرا كثيراً.

أجابه ملاك قائلاً:

- لقد أشرت لعوض قبل انصرافه أن يتأخر، كنت بحاجة للتحدث معك قبل أن نوافق على مساعدتك يا ولدي، كنت بحاجة للاطمئنان أنها ليست لعبة من داليا خاصة بعد علمها بخروج عوض من السجن، سامحني إن كنت شككت بك من قبل ولكني الآن معك وأشعر أنك صادق وسنكون معك حتى نحرر زوجتك من قبضة تلك الشيطانة.

لم يعلق أدهم على ما قاله ملاك، فقط إكتفى بالابتسام والنظر إلي عوض و أشرف الذين اقتربا منهما، بعد أن وضع عوض صينية أكواب الشاي قال وهو يجلس:

– لقد تحدثت مع أستاذ أشرف بينما نحن نعد الطعام فيما يجب علينا فعله أولاً، لن نستطيع بمفردنا شق طريقنا نحو القصر لتحرير زوجتك بدون عدد كافٍ من الرجال و السلاح، القصر يحميه على الدوام أكثر من عشرون فرداً للأمن وكلهم من أتباع داليا، أي مستعدون للموت في سبيلها ومن أجلها، لن يكون إجتيازهم سهلاً وكأننا سنجتاز حديقة عامة، سوف يقاتلون حتى الموت للدفاع عنها، كما أنه دائماً مراقب بكاميرات المراقبة التي تراقب كل شبر من حديقة القصر وأسواره، يجب وضع خطة محكمة وتجهيز الرجال والسلاح لاقتحام القصر.

قال أدهم متسائلاً:

– ولكن أين لنا بالرجال و السلاح كما تقول؟ كما أن التخطيط لعملية اقتحام كما تقول سوف تتطلب أيام وربما حتى أسابيع، ونحن لا نملك الوقت لذلك.

رد عليه عوض قائلاً:

– بالنسبة للوقت فقد أخبرني أستاذ أشرف عن مهلة الثلاثة أيام التي منحتها إياك تلك الشيطانة، صدقني إنها كافية لتجهيز كل شيء، ثم أنه بالمال يمكنني الحصول على خدمات بعض الأشخاص الذين سيكونون ذو فائدة لنا فيما نحن مقبلين عليه، لا تنسى أنني

كنت بالسجن أي تعرفت على الأشخاص المناسبين لمساعدتنا في هذا الأمر، دع كل شيء لي أنا، أعلم أنك لن تستطيع مساعدتي في مسألة الرجال والسلاح، والأفضل لك ألا تتورط في ذلك، أنا من تم قتل ابنته وأنا من سينتقم، لكننا نحتاج الآن للمال حتى أبدأ في تجهيز الأمر بسرعة، وبالنسبة لمكان لقائنا سيكون هنا في الفيلا، مالك الفيلا يعمل في دولة أوروبية ولا يأتي هنا إلا مرة واحدة في العام ولن يأتي قبل عدة أشهر مقبلة.

قال له أدهم:

- المبلغ الذي تحتاجه سيكون عندك غداً صباحاً، لا تقلق بخصوص هذا الأمر، كل ما أكترث بأمره هو رجوع زوجتي إليّ.

هنا تكلم ملاك قائلاً:

- حسناً، بهذا نكون قد انتهينا من الحديث عن هذا الأمر، هذا وقت الطعام، فلنأكل شيئاً سوياً.

رفض أدهم دعوة ملاك بلطف ولكنه قال له:

- يا بني، عندنا في الصعيد دعوة الغريب لتناول الطعام لا تخص فقط كونك جائعاً أم لا، إنها تحيتنا للغريب واعطاؤه الأمان، عندما نطلب منك تناول الطعام معنا فهذا يعني أنك أصبحت جزء من عائلتنا ولك الأمان وعهد منا بألا نغدر بك أو تغدر أنت بنا، هيا، لاتحرج رجلاً عجوزاً في سن والدك.

إبتسم أدهم بلطف وبدأ بتناول الطعام بالفعل، ورغم أنه كان معهم بجسده ويتحدث معهم ولكن تفكيره كان هناك، على بعد عدة كيلومترات من مكانه الآن، داخل قصر الشيطانة، كان عقله يفكر بحال نور الآن في ذلك القصر الملعون، وحدها مع تلك الشيطانة التي قلبت حياة الزوجين الهادئة رأساً على عقب.

●●●

فتحت نور عينيها بصعوبة بالغة، كانت تشعر بجسدها ثقيلاً ورأسها يريد الإنفجار من الألم، بدأت في النظر في المكان الذي فيه الآن، في البداية لم تكن تعي ما حدث لها ولكن بالتدريج بدأت في استيعاب ما حدث، بدأت في استيعاب أنها كانت ضحية فخ شيطاني من داليا للإيقاع بها واختطافها، صحيح أنه فشلت في المرة الأولى ولكنها ها هي نجحت في المرة الثانية في تحقيق مأربها واختطافها، بدأت تنظر حولها لترى غرفة مظلمة لا ينيرها إلا شمعة يتيمة تنير بالكاد المكان المحيط بداليا وفراشها التي هي عليه الآن، لم يكن هناك أثاث يذكر في الغرفة، فقط الفراش وطاولة خشبية متهالكة تم وضع الشمعة فوقها، بدأت نور في محاولة النهوض من الفراش، في البداية كانت محاولاتها فاشلة ولكن بعد مضي بعض الوقت بدأت في استعادة بعض من قواها فوقفت وأمسكت الشمعة لترى باقي الغرفة

المظلمة التي هي فيها الآن، كانت غرفة ذات حوائط سقط من عليها بعض الطلاء وبلا نوافذ على الإطلاق، اقتربت نور من باب الغرفة الخشبي وحاولت فتحه ولكن دون جدوى، فجأة لتسمع ذلك الصوت من خلفها يقول:

- يا لكم من أغبياء، لماذا دائماً تظنون أننا يمكن أن ننسى الباب مفتوحاً؟

انتفضت نور وأطلقت صرخة صغيرة وهي تنظر خلفها بسرعة لمواجهة صاحبة الصوت التي لم تكن سوى داليا نفسها، كانت جالسة في أحد أرجاء الغرفة البعيدة والتي لم تنظر لها نور عند تفقدها للغرفة، كانت جالسة على مقعد قديم في الطرف البعيد من الغرفة ناظرة بشماتة وتشفّي إلي نور المسكة بالشمعة التي يرتجف شعاعها بالضبط مثل نور، كأن كلاهما خائف من الشيطانة، حاولت نور أن تخرج كلماتها حازمة وهي تقول:

- سوف يأتي أدهم لإنقاذي قريباً، لن تستطيعي السيطرة عليه كما تريدين يا داليا.

ضحكت داليا وهي تقول لها:

- بالطبع سوف يأتي لإنقاذك، ولكن نجاحه في ذلك من عدمه مسألة أخرى يا عزيزتي، أنا أعتمد على قدومه من أجلك، هذه هي

obeikan.com

نقطة ضعفه الوحيدة وأنا أنتظر موعد قدومه بفارغ الصبر، هل تعلمين لماذا أنتظر؟ ليراه كل من حولي ذليلاً راكعاً تحت قدمي لأفكر في العفو عنك، ليرى الجميع أن من يفكر في عصياني سيندم كما لم يندم أبداً في حياته من قبل، يجب أن يتعلم الجميع ذلك الدرس، أنه لا مهرب ولا مفر مني إلا لي، صدقيني لم أكن أتمني أن تكون تلك هي بداية علاقتي بأدهم ولكنه رفضني وأنا لا يرفضني أحد، أنا من أرفض، من أقرر وأتحكم وأسيطر وأنتقم وأقسو وأعفو، لكنه رفض كل ما كان يمكنني منحه إياه، هو عنيد وأنا قاسية، لنرى من منّا سينتصر في النهاية.

قالت لها نور وهي تقترب منها:

- أنتِ لستِ قاسية فحسب، أنتِ شيطانة.

أجابتها داليا بثقة:

- هذا شرف لي، الشر يكمن في قلوب جميع البشر، الجميع بلا استثناء، وأنا هنا لأمجد هذا الشر داخلكم وأغريه للظهور والتحكم في كل ما تفعلونه في حياتكم، مادام الشر موجوداً في قلوب البشر سأظل موجودة بداخل كل البشر، رضوا أم أبوا، دعينا من هذا الحديث الآن، لقد جئت إليكِ لأمر آخر.

نهضت داليا من مقعدها واقتربت من نور التي تراجعت في خوف واضح للوراء، نادت داليا على حارسها الذي دخل الغرفة ناظراً لنور بعيون باردة، كان يحمل بين يديه الجاكت الجلدي الذي أهدته لها داليا التي قالت لها:

- لقد لاحظت يا عزيزتي أنكِ لم ترتدي هديتي بعد، هذه قلة ذوق منكِ ألا تجربي الهدية حتى الآن.

فجأة انقض الحارس على نور وكبّل حركتها تماماً رغم محاولاتها المستمرة للفكاك منه ولكنها لم تستطع التغلب علي قوته الجسمانية، ألقاها على الفراش وقام بتقييد كلتا يديها في الفراش، حاولت دون جدوى التملص من قيودها وهي تصرخ في وجه الحارس، اقتربت داليا منها وهي تحمل الجاكت قائلة:

- أنتِ لا تعلمين قيمة هديتي لكِ، لقد أعجبك من قبل وسألتي عن نوع الجلد المستخدم في صنعه، حينها لم يكن بإمكاني إرواء فضولك ولكنكِ الآن في قصري وتحت رحمتي لذا فسأخبركِ، إنه مصنوع من أفخر أنواع الجلود بالعالم، إنها جلود البشر يا عزيزتي، هل ترين كم هو جميل وناعم؟ لا تنكري أنه قد أعجبك قبل أن تعلمي مصدره، بعض تلك الجلود جاءت من سلخ أعدائي وهم أحياء والبعض الآخر كان بعد موتهم، ولكن لا يهم ذلك الآن، ما يهم أن

تجربي هديتك، أن يلمس جسدك جلد آخر لضحية من ضحاياي حتى تعلمي ما أنا قادرة على فعله أيتها الفانية. اقتربت أكثر وهي تحمل ذلك الجاكت بينما نور تحاول نزع قيودها بطريقة هستيرية وسط صراخها المستمر ودموعها التي تتسابق للخروج من عينيها، كانت داليا مستمتعة بقدر الرعب الذي تسببه لضحيتها الجديدة، بعد فترة من استمتاعها بصراخ وبكاء نور غرست تلك الإبرة في عنقها لتبدأ نور في الهدوء تدريجياً وهي تغلق عينيها، قالت لها داليا وعلى وجهها ابتسامة شيطانية:

- الآن سنبعث لزوجك العزيز صورة لكِ وأنتِ بهذا المنظر حتي يفكر ألف مرة قبل إتيان أي عمل أحمق، ربما تكلفه تلك الحماقة حياة زوجته، ربما تلك الحماقة تجعل جلدك الناعم رداءً لشخص آخر يوماً ما بعد مقتلك، ثم اقتربت منها بينما نور تغيب عن الوعي وقالت لها:

- وربما لن أستطيع الانتظار لمقتلك وأضطر لسلخ جلدك وأنتِ على قيد الحياة، كل شيء يمكن حدوثه معي يا عزيزتي.

●●●

توقف أشرف بسيارته أمام الفيلا التي يحرسها ملاك، كانت الفيلا قد تحولت في اليومين الماضيين إلى مقرهم لترتيب ما سوف

يحدث غداً في منتصف الليل، أطلق بوق سيارته عدة مرات حتى أتى إليه ملاك وفتح له البوابة ليدخل أشرف بسيارته للداخل وقبل إغلاق البوابة تلفت حوله بحثاً عن أي سيارة تراقب أشرف فلم يجد ما يثير الإرتياب، ترجل أشرف من سيارته وانطلق في طريقه لأدهم الجالس في حديقة الفيلا على مقعد ينظر بحزن لهاتفه النقال، إقترب أشرف من صديقه ليجده يبكي بصمت، عندها انتابه القلق على أدهم فسأله عما حدث، لم يتحدث الأخير، فقط اكتفي بأن مد يده بالهاتف لأشرف ليرى بنفسه ما جعله على تلك الحالة، حينها علم أشرف سبب دموعه، كانت صورة لنور وهي فاقدة للوعي ومقيدة بالفراش بينما هناك نص على الصورة يقول لأدهم (أنت تعلم ما عليك فعله غداً في منتصف الليل، لا تحاول إدّعاء البطولة حرصاً علي من تحب)، جلس أشرف بجوار أدهم وربت على كتفه قبل أن يقول له بتأثر:

– لا تقلق عليها يا أدهم، إن نور قوية وسوف تصمد، غداً مساءً سوف تكون معك مرة أخرى وسيكون كل ما حدث مجرد ماضي لن تتذكره بعد فترة.

نظر إليه أدهم وهو يغالب دموعه ثم سأله:

– هل من أخبار عرفتها من قصر داليا عن نور؟

رد عليه أشرف بخيبة أمل:

– للأسف لا جديد، حاولت كثيراً معرفة أين تحبسها داليا ولكني لم أستطع معرفة ذلك، كل ما استطعت معرفته دون أن أثير الشك حولي هو أنها بخير وأنها موجودة داخل الفيلا ولكن لا يعلم مكان تواجدها سوى داليا ولوتان وحارسها فقط، حتى الخدم في القصر لايعلمون أين هي تحديداً، ولكن كما قلت لك هي بخير وبصحة جيدة، إنها مجرد أزمة وستمر سريعاً، صدقني.

صمت أدهم لبعض الوقت قبل أن يسأل أشرف في محاولة لتغيير الموضوع:

– دعك من هذا الآن، هل انتهى عوض من الإتفاق مع الرجال الذين سنستعين بهم أم لا؟

أجابه أشرف سريعاً:

– أنا لا أعلم التفاصيل ولكني أظنه قد انتهى من هذا الأمر، على أي حال هو قادم في أي دقيقة الآن، لقد اتصلت به في طريقي إلى هنا وقال إنه اقترب من الفيلا، كل شيء سيكون على ما يرام.

بمجرد أن انتهي أشرف من جملته حتى رأي عوض يدخل من بوابة الفيلا قادماً في اتجاههما، تحدث أولاً مع والده قبل أن يتوجها

سوياً نحو أدهم وأشرف، جلسا على الطاولة معهما وبدأ أدهم بالسؤال قائلاً:

- أخبرني يا عوض، هل كل شيء يسير على ما يرام؟

أجابه عوض وهو يلتقط أنفاسه:

- نعم، لقد تم الاتفاق علي كل شيء، اليوم مساءً سيتم تسليم الأسلحة هنا، أما بالنسبة للرجال فقد اتفقت معهم على كل شيء، سيكونون في أماكنهم غداً في الموعد المحدد.

هنا سأله أشرف هذه المرة:

- ألن تقول لنا مَن هؤلاء الرجال الذين اتفقت معهم؟

رد عليه عوض بحزم:

- من الأفضل لكما ألا تعلما، كلما قلت معرفتكما كلما قل تورطكما في الأمر، حتى الرجال أنفسهم الذين سيدخلون الفيلا معي لا يعلمون أي شيء عنكما، لا تقلقا بخصوص هذا الأمر، أنا المسئول عن هذا الموضوع حتى النهاية، لو فشلت مهمتنا تلك سأكون أنا فقط المسئول ولن يصيبكما مكروه، يكفي أنكما ستساعدنني في الأخذ بالثأر ممن قتل ابنتي.

obeikan.com

قال له أدهم :

– لا يمكن أن يفشل هذا الأمر يا عوض، حياة زوجتي تعتمد على نجاحنا في هذه العملية، لن أقبل بالفشل لأن ثمنه بالنسبة لي سيكون باهظاً، سيكون حياة من أحب، هل تسمعني؟

طمأنه عوض بقوله:

– لا تقلق، بإذن الله سننجح في مسعانا ونخلص العالم من تلك الشيطانة التي تعيث فساداً في الأرض، ولكن هناك أمر ما يجب علينا مناقشته، لقد تركت القصر منذ حوالي العام تقريباً وبالتأكيد تغيرت أشياء كثيرة خلال تلك الفترة، نحتاج أن نعلم بالضبط عدد الحراس الموجودون في القصر و محيطه وأماكن كاميرات المراقبة، لقد سألت أستاذ أشرف عن تلك المعلومات بما إنه يرتاد القصر حتى الآن ولكنه لا يعلم كل ما نحتاج لمعرفته.

تحدث أشرف قائلاً:

– للأسف هذا صحيح، ربما أنا أدخل القصر كثيراً بالفعل ولكنني لست ملمّاً بكل ما سألني عليه عوض، هناك الكثير مما لا أعرفه ولن أستطيع توفيره خاصة خلال تلك الفترة القصيرة.

أخذ أدهم يفكر لبعض الوقت ثم تحدث إليهم قائلاً:

- هناك من يستطيع مساعدتنا في الحصول على كل ما تريده يا عوض من معلومات، هو الوحيد الذي سيوفرها لنا ولكن هذا الأمر يتطلب رجلين هما أنت يا عوض وسيكون معك أشرف، كما أن هناك بعض الأجهزة التي يجب عليك يا عوض توفيرها خلال الساعات القليلة المقبلة بسرعة وبأي تكلفة.

نظر له أشرف وقال له:

- ما الذي يدور بخلدك يا أدهم، على أي حال إذا كان يمكنني المساعدة في ذلك فلن أتردد.

إبتسم أدهم له قبل أن يقول:

- أعلم ذلك يا صديقي، صدقني إن دورك أساسياً في خطوتنا المقبلة، انصتوا لي جيداً حتى يعلم كل فرد ما هو مطلوب منه.

●●●

كان لوتان قد أنهى عمله مع داليا في قصرها في حوالي الساعة الثانية بعد منتصف الليل، رافقته حتى باب القصر وهي تتحدث معه عن بعض الأعمال حتى وصلا للباب فقالت له:

– حاول أن تنال قسطاً وفيراً من الراحة، غداً أمامنا يوم طويل ورائع، غداً أهم قداس أسود في السنة وسيحمل الكثير من المفاجآت.

إبتسم لوتان بخبث وهو يرد عليها قائلاً:

– بالطبع يا سيدتي، غداً هو يوم الانتصار على الأعداء، لن يقف بطريقك أي شخص الآن، قريباً ستتحكمين في كل شيء، سأكون غداً عصراً عندك هنا في القصر لترتيب التحضيرات النهائية للقداس والحفلة التي تليه، عمتِ مساءاً يا سيدتي.

وقفت داليا عند القصر وهي تراقب لوتان يتجه نحو سيارته السوداء الفارهة استعداداً للرحيل من القصر قبل أن ترجع هي للداخل، ركب السيارة وأدار محركها وبدأ في الإنطلاق للخروج من البوابة التي فتحها له أحد الحراس الأشداء الذين يحرسون المكان، كان الوقت متأخر والطريق شبه مهجور لذا فقد أسرع لوتان بالسيارة، كان بحاجة للنوم بعمق حتى يستطيع المواصلة غداً، غداً هو أهم يوم في العام كله بالنسبة لداليا، جميع كبار أتباعها سيكونون متواجدين غداً وسوف يأتي أيضاً بعض الأتباع من دول أخرى لتقديم احترامهم وخضوعهم لداليا، وبالطبع لتقديم تبرعاتهم السخية جداً، كانت الأخيرة هي ما تهم داليا أكثر من أي شيء، وبينما هو غارق في تفكيره فوجئ بإشارة حمراء في التابلوه أمامه تفيد بوجود إطار مثقوب، بدأ

في تقليل سرعة السيارة حتى توقف بجانب الطريق وترجّل منها ليرى ماذا حدث، دار حول السيارة ليجد أن هناك إطاران من الإطارات الأربعة مثقوبين، بدأ الشك يسري بداخل لوتان، كان يعلم أن لداليا أعداء كثر وبالتالي فهو مستهدف مثلها بصفته مدير أعمالها، لذا فقد استل مسدسه الذي يحمله معه دوماً وأخذ يتلفت حوله ولكن لم يكن هناك أي شخص، كانت منطقة زراعية تنتشر بها أشجار الفواكه التي وقفت في الظلام وكأنها مئات الظلال السوداء تنتشر حوله، أخرج هاتفه النقال للإتصال بداليا لتبعث له سيارة أخرى تنقله للمنزل ولكن لم يكن هناك شبكة في هذا المكان المقفر، كانت منطقة زراعية مهجورة وبالتالي فإن تغطية الهاتف بها سيئة للغاية، كان مضطراً للانتظار، ربما يحالفه الحظ و يجد سيارة أجرة تحمله من هذا المكان، ولكن لنصف ساعة كاملة لم تمر أي سيارة على الإطلاق ولم يكن على استعداد للمشي وحيداً في هذا المكان ليصل لمنطقة مأهولة، كان يعلم أن تلك المنطقة مليئة بقطاع الطرق والبلطجية، لذا فقد ظل يحاول الاتصال ولكن باءت كل محاولاته بالفشل نتيجة عدم وجود شبكة في هذا المكان المهجور، كان قد مر عليه حوالي أربعون دقيقة وهو في هذا المكان حينما رأى من بعيد بصيص أمل قادم نحوه، كانت أضواء سيارة قادمة من بعيد باتجاهه، لم يكن لوتان ممن يثقون بالحظ لذا فقد شدد قبضته على مسدسه داخل جيب سترته بينما السيارة تتقدم نحوه، أشار لقائدها للتوقف وقد بدأ الأخير بالفعل

بتقليل سرعته بالتدريج حتى توقف أمام لوتان، كانت مصابيح السيارة تمنعه من رؤية من بالداخل، لذا فقد اقترب بحذر من نافذة السائق ليرى من هو، تنفس لوتان الصعداء عندما وجده أشرف ذلك المخرج الذي يعمل في القناة الفضائية لدي محمد كامل، ولكنه لم يفقد حذره بالكامل لذا فقد سأله وهو يتلفت حوله للبحث عن أي شخص آخر:

- سيد أشرف، ما الذي أتي بك لتلك البقعة المهجورة في هذا الوقت المتأخر؟

ابتسم له أشرف قائلاً:

- لقد كان هناك حفلة ديبلوماسية لأحد السفارات بمكان ليس بعيد عن قصر السيدة داليا، طلب مني السيد محمد كامل بتغطيتها لصالح المحطة.

سأله لوتان مرة أخرى:

- إذن أين باقي الفريق الذي قام معك بتغطية الحفلة؟

أجابه أشرف بثقة:

- لقد انتهينا مبكراً من تغطية الحفل وبقيت أنا مع بعض الأصدقاء هناك لبعض الوقت، هل كل شيء على ما يرام؟ لِمَ كل هذه الأسئلة؟ ولِمَ أنت متوقف هنا يا سيدي؟

رد عليه لوتان وهو يتصنع الابتسام:

– لقد ثقب إطارين من سيارتي والشبكة هنا سيئة للغاية لأتصل بمن ينقلني.

قال له أشرف:

– يمكنني إيصالك لأي مكان تريده يا سيدي، هذا شرف لي.

تردد لوتان لبعض الوقت ولكن لم يكن لديه خيارات أخرى بالإضافة لكونه يعرف أشرف جيداً ويعرف أنه من أتباع داليا المقربين، لذا فقد قال له:

– حسناً، إذا لم يكن هناك مشكلة بالنسبة لك فأنا أتمنى ذلك.

رد عليه أشرف بابتسامة عريضة:

– لا مشكلة على الإطلاق يا سيدي، هذا من دواعي سروري.

أغلق لوتان سيارته بإحكام قبل أن يركب سيارة أشرف الذي بدأ في الانطلاق في طريقه مرة أخرى، وبينما هما منطلقان قال لوتان:

– هل يمكنني استعارة هاتفك، إن هاتفي معطل على ما يبدو.

ناوله أشرف الهاتف ببساطة، أمسك به لوتان وحاول الاتصال منه بداليا ولكن أيضاً الشبكة كانت معدومة ولم يتمكن من إتمام الإتصال، أعاده لأشرف شاكراً إياه قبل أن يقول له الأخير:

– الشبكة دائماً سيئة للغاية في هذا المكان، لقد تعرضت لعدة مواقف سخيفة بسبب انقطاع الإتصال أثناء تحدثي في هذه المنطقة، على أي حال أين تحب أن أنزلك يا سيدي؟ أم تحب أن أقوم بايصالك للبيت؟ لا مشكلة لدي في ذلك.

لم يكن أحد يعلم محل إقامة لوتان سوي داليا نفسها، وكان يحب أن يظل الوضع هكذا حتى يتحاشى أي تهديد من أي عدو لداليا، لذا فقد رد على أشرف بقوله:

– لا أريد إرهاقك لهذه الدرجة، فقط إنزلني في أي مكان بالقاهرة وسأستقل سيارة أجرة إلى الب.....

لم يستطع لوتان إكمال جملته لأن الصاعق الذي وضع على عنقه كان أسرع منه، فجأة تم صعقه بآلاف الشحنات الكهربية في لحظة واحدة، أكمل أشرف طريقه وهو يبتسم ناظراً في المرآة أمامه لعوض الذي كان مختبئاً في أرضية السيارة في المقعد الخلفي طوال تلك الفترة، سقط لوتان فاقداً للوعي دون أن يعلم ما سوف ينتظره في الفترة المقبلة، لم يكن يعلم كم سيعاني وكم سيدفع ثمناً لكل أخطاؤه السابقة.

بدأ لوتان في استعادة وعيه ببطء، في البدء لم يكن مستوعباً لأي شيء ولكنه بدأ في تذكر ما حدث له في السيارة، كان أشرف بجانبه يقود

obeikan.com

السيارة قبل أن يفقد وعيه نتيجة صعقه بالكهرباء، حاول التحرك من مكانه ولكنه فوجئ بأنه مقيد اليدين والقدمين بقوة في مقعد معدني، لم تكن تلك هي مشكلته الوحيدة، لم يكن لوتان قادراً على رؤية أي شيء لأن عينيه كانتا معصوبتين مما منعه من رؤية أي شيء، بدأ الفزع يتملكه بقوة لذا أخذ في الصراخ بأعلي صوت ربما يسمعه أحد ويأتي لانقاذه، وفي نفس اللحظة كان كلاً من أدهم وأشرف وعوض خارج الغرفة المحبوس بداخلها لوتان الآن، قال عوض لهم:

- لقد كانت فكرتك رائعة يا أستاذ أدهم لإصطياد ذلك القذر خاصة بعد الاستعانة بجهاز التشويش على الإشارات حتى لا يستطيع الاستعانة بهاتفه، لقد جعله ذلك وحيداً دون أن يقدر أحد على مساعدته، ولقد نفذنا كل شيء كما قلت بالضبط ولكن الآن يجب أن نتفق، ما سوف يحدث بالداخل الآن أنا المسئول عنه، لن تحاولا منعي من فعل أي شيء ولن أسمح لكما بذلك، أنت يا أستاذ أدهم تريد زوجتك وأنا مسئول عن إعادتها لك سالمة، ولكن طريقتي في فعل ذلك تخصني أنا وحدي فقط، أنتم لا علاقة لكما بالعنف أما أنا فأعلم ما يجب فعله لأحصل على ما أريد من خادم الشيطانة، لن تناقشاني ولن تمنعاني حتى أحصل منه على كل ما أريده، سوف تلتزمان بما ناقشناه واتفقنا عليه من قبل، إذا رفضت ذلك فيمكنك أنت الدخول ومحاولة استجوابه بطريقتك، هل نحن متفقين على ذلك؟

أومأ أشرف برأسه إيجاباً بينما قال أدهم بعد فترة من الصمت:

- أنا لا يهمني سوى رجوع زوجتي، أفعل ما تراه ضرورياً يا عوض، أنا فقط أريد زوجتي.

رد عليه عوض وهو يفتح باب الغرفة:

- سوف ترجع لك يا أستاذ أدهم، لك كلمتي على ذلك، الآن لنبدأ.

دخل الثلاثة الغرفة تباعاً ليروا أمامهم لوتان الذي يحاول بإستماتة تمزيق قيوده المعدنية دون جدوى، بمجرد أن سمع خطوات أقدامهم توقف لوتان عن الحركة، كان عاجزاً عن رؤيتهم نتيجة العصابة التي تحيط بعينيه، انتظر أن يتحدث أحدهم ولكنهم كانوا صامتين كالقبر، فقط اكتفوا بمشاهدته على هذا الحال، بدأ لوتان بالتحدث قائلاً:

- يا لك من غبي يا أشرف، هل تعصب عيناي بعدما رأيتك وقابلتك؟ أنت غبي للغاية، أنت لا تدري ما سيكون عقابك لدى السيدة داليا بعدما أفضح ما فعلته معي أيها القذر.

لم يجد لوتان أي إجابة على جملته ممن دخل الغرفة، كانوا ما زالوا على صمتهم مما جعل فزعه يزداد ولكنه حاول جاهداً ألا يظهر عليه ذلك الفزع، سألهم بعصبية شديدة:

– لماذا أنتم صامتون؟ هل تمارسون لعبة ما عليّ؟ هل تظنون بأنني سأنهار بهذه الطريقة الساذجة؟ يا لكم من حفنة من الحمقي، لقد اختار أشرف جيداً الأغبياء المناسبين لذلك، الطيور على أشكالها تقع كما تقولون أيها العرب.

لم يرد عليه أحد هذه المرة أيضاً، كان فزع لوتان يزداد كل لحظة تمر عليه وهو على هذه الحالة، ربما سيكون شعوره أفضل بقليل لو كانوا يتحدثون معه ليعرف من هم وماذا يريدون، ولكن هذا الصمت المطبق كان يشعره بالفزع التام، صرخ في وجوههم:

– لماذا لا تردون علي أيها الحمقى الأغبياء، فليجيبني أحدكم، رد أيها القذر المسمي أشرف، ماذا تريدون مني؟ ماذا تريدون؟

كان هذا الصمت التام يكسر أعصابه أكثر ألف مرة لو كانوا تحدثوا وهددوه أو حتى قاموا بضربه، ظل يصرخ ويسب دون إجابة، فقط صدى صوته هو الشيء الوحيد الذي يرجع لأذنيه مرة أخرى، حاول كثيراً فك قيوده المحكمة حتى بدأت الدماء تسيل من معصميه وهو يصرخ من الألم، لم يسمع أي صوت ولم يحاول أحد إيقافه عما يفعله، فجأة وبعد كل هذا الصمت المميت بدأ يسمع صوت خطوات تقترب منه، خطوات لشخص واحد يقترب منه ببطء ولكن بثقة، كان هذا الشخص هو عوض الذي اقترب من لوتان وهو يحمل بيده

مجموعة من المسامير الطويلة ومطرقة، سحب عوض مقعد ليجلس أمام لوتان الذي انتظر أن يتحدث هذا الشخص المجهول بالنسبة له ويقول أي شيء ولكن عوض لم يفعل ذلك، اكتفي بوضع أحد المسامير على فخذ لوتان وبكل قوة نزل عليه بالمطرقة ليغرسه عميقاً في فخذ لوتان الذي أطلق صرخة ألم عالية، كان يشعر بألم جعل الدموع تنهمر من عينيه بقوة، كان على وشك البصق على وجه من فعل ذلك ولكن عوض عاجله بضرب المسمار بقوة أكبر ليخترق لحم جسده أكثر وأكثر، أطلق لوتان صرخة أخرى، ظل عوض لبعض الوقت ينظر إليه دون أن يتحدث، كان ينتظر انتهاء لوتان من الصراخ أولاً، وعندما بدأ بالفعل صراخه في الانخفاض عاجله عوض بطرق مسمار آخر في فخذه الآخر بقوة ليصرخ لوتان من جديد، كان الألم يعصف برأسه لدرجة أنه أخذ في البكاء بقوة، انتظر عوض مرة أخرى حتى ينتهي لوتان من صراخه، مرت عدة دقائق على لوتان وهو على هذه الحالة من الألم و البكاء، قال لوتان بصوت أقرب للبكاء:

– ماذا تريدون مني أيها الأوغاد؟ قولوا لي ماذا تريدون؟ سأخبركم بأي شيء ولكن اجعلوه يتوقف عن فعل ذلك أرجوكم.

أزال عوض العصابة التي كانت تمنع لوتان من رؤيتهم ليراهم لأول مرة منذ تم اختطافه، أغمض عينيه للحظات بسبب الضوء

في المكان ولكنه بالتدريج بدأ في معرفة الجميع، وبينما هو يتفحص وجوههم قال له عوض ببطء:

- في البداية دعنا نتفق على ما سيحدث من الآن فصاعداً، كل كلمة سباب تخرج منك سيقابلها مسمار في جزء من جسدك، لقد جربت حتى الآن اثنين فقط وعلمت كمّ الألم الذي يمكن أن يتسببا به، كل سؤال سأسأله ولن تقوم بالإجابة عليه بصدق وبسرعة سيقابله مسمار آخر، كل إجابة لن تعجبني سيقابلها مسمار آخر، كل محاولة للكذب أو الهرب من السؤال سيقابلها مسمار آخر، صدقني أنا أتمنى أن تكذب، أن تسبنا، أن تفعل أي شيء يجعلني أتسبب لك بمزيد من الألم الذي تستحقه، ولكنني سأضطر بالالتزام بالاتفاق إذا التزمت أنت به، هل نحن متفقين أم تود تجربة المسمار الثالث في جسدك؟

أومأ لوتان بسرعة برأسه إيجاباً وهو يقول بصوت يملئه الألم:

- نعم، نعم، نحن متفقين، سوف أجيب على كل ما تريد ولكن فقط توقف عن ذلك أرجوك.

رد عليه عوض وهو ينظر في عينيه قائلاً:

- ممتاز، فلنبدأ إذن.

إقترب منهما أدهم وسأل لوتان:

- أين أخفيتم زوجتي في القصر؟

أجابه لوتان قائلاً:

- إنها ليست في القصر، إن داليا تحتفظ بها في....

لم يستطع لوتان إكمال جملته لأن عوض قام بغرس المسمار الثالث في فخذه وطرق فوقه بشدة ليصرخ لوتان مرة أخرى من الألم، قال عوض:

- يبدوا أنك لم تفهمني جيداً، دعني أقولها لك مرة أخرى، أي محاولة منك للكذب سيقابلها مسمار في جسدك، لقد كان كلامي واضحاً، أليس كذلك؟

لم يستطع لوتان الرد فوراً بسبب الألم ولكنه رد بعد فترة قائلاً:

- حسناً، أنا آسف، لن أكذب ولكن توقف يا عوض أرجوك.

أعاد أدهم السؤال مرة أخرى عليه، حينها أجابه لوتان بصوت متقطع:

- إنها محبوسة في القصر، في القبو تحديداً، يوجد بالقبو عدة غرف تحتفظ داليا بداخلها بمن هي على وشك قتلهم أو من

تختطفهم للضغط على أشخاص آخرين للانضمام إليها، أقسم لك هذه هي الحقيقة.

سأله أدهم:

- كيف نستطيع الوصول للقبور؟

أجابه لوتان قائلاً:

- من خلال باب صغير موجود أسفل السلالم الكبيرة في بهو القصر الرئيسي، هذا هو المدخل الوحيد للقبور، زوجتك في الغرفة الثانية على اليسار بمجرد نزولك السلالم المؤدية للقبور.

سأله أدهم مرة أخرى:

- الآن أريدك أن تقول لي كل ما تعرفه عن تلك الشيطانة، من هي حقاً ولماذا تفعل كل هذا معي، وتذكر كلمات عوض لك إذا حاولت الكذب.

رد عليه لوتان بقوله:

- صدقني لا أحد يعلم كل شيء عنها، أنا عملت معها أكثر من خمس سنوات ولا أعلم عنها إلا ما تخبرني به فقط، داليا لا تقول لأحد من هي ولا أي شيء يخصها، حتى تلك القصص التي تقصها للبعض عن نشأتها وعائلتها كلها ليست صحيحة، لقد أخبرتك بقصة

منهم بالتأكيد، هل أخبرتك بقصة والديها الذين لقوا حتفهم في حرب الكويت، لا؟ ربما أخبرتك بتلك القصة عن نشأتها المتواضعة في حي شعبي وتعرضها للمضايقات بسبب جمالها وهربها من ذلك البلطجي.

عندما وجد لوتان عينا أدهم تتسعا علم أنه كان على حق فأكمل حديثه:

- إذن أخبرتك بتلك القصة، قصة الفتاة الفقيرة المكافحة التي فضلت الهرب على الزواج من ذلك الوغد، صدقني هي دائماً ما تغير القصة باختلاف الشخص ومستواه، هي تفعل كل ذلك لكي تكسب تعاطفه معها حتى يسقط في حبائلها، وعندما يكتشف أنه كان مخدوعاً طوال الوقت يكون الأوان قد فات للهرب منها، ولكن لا أحد يعلم أي شيء حقيقي عنها، لم يزرها أحد في القصر من عائلتها يوماً ما طوال فترة عملي معها، كل ما أعلمه أنها كانت فقيرة بالفعل وبدأت بالعمل لدي زوجها الراحل، كانت فاتنة بحق رغم فقرها ولم تكن تدخر وسعاً في محاولة لفت أنظار رجل الأعمال العجوز حتى تحقق لها ما أرادت، بدأت بإثارة اعجابه حتى فوجئنا في يوم من الأيام بخبر زواجهما على كل الجرائد والمجلات، كنت حينها أعمل لديه وبعد أن توفي اختارتني لأعمل لديها كمدير لأعمالها، شيئاً فشيئاً بدأت بإستيعاب ما تقوم به ولكني لم أعترض، لكن لم يكن فقط خوفاً منها ولكنها كانت تغدق علي بالأموال والنساء والمخدرات وكل شيء حتى أظل معها أخرس

أعمى وأصم، وقد كنت بالفعل كذلك، لذا فقد جعلتني أدير لها كل شيء خاصة عملها الذي لا يعلم عنه الكثير.

قاطعه أشرف قائلاً:

- تقصد السحر وعبادة الشيطان.

أجابه لوتان بقوله:

- لا ، أقصد الدجل والاحتيال.

سأله أدهم بقوله:

- ماذا تقصد بذلك؟

رد عليه لوتان:

- هل صدقتم بالفعل أن داليا لها علاقة بالشيطان وأنها خادمته أو تابعة له؟ داليا تفعل كل ما تفعله من أجل السيطرة والمال فقط، هل تتخيلون كمية الأموال التي تأتي لها من جميع أتباعها لنيل رضاها ورضا الشيطان كما تدعي، ملايين الجنيهات والدولارات كل عام تأتي لها دون أن تطلبها حتى، لماذا تظنون إذن أن كل أتباعها من الطبقة الغنية، لأنهم يستطيعون الدفع لكي يدخلوا جنة داليا، وصدقوني هي لا تتوانى في فعل أي شيء لإرضاء من يدفع لها جيداً، تقيم لهم حفلات عملاقة مبهرة مليئة بالمخدرات والجنس والنساء وكل شيء

obeikan.com

وأى شيء يشتهيه هؤلاء الأشخاص، كل ما يريدونه يكون أمامهم وبين أيديهم لتضمن بقائهم دائماً تحت سيطرتها ولكيلا يتوقف نهر الأموال المتدفق عليها وحدها، داليا ليس لها علاقة على الإطلاق بالسحر، انها مجرد دجالة محترفة تجيد فن خداع البشر لأنها تعلم ما بداخلهم من رغبات وشهوات يحاولون إخفائها.

تقدم نحوه أشرف وهو يقول :

– ماذا تعني بأنها دجالة، لقد شاهدتها من قبل تقتل فتاة خنقاً دون حتى أن تلمسها وأنت كنت موجود معنا وأنت من قمت بإخراج جثة الفتاة من القاعة.

رد عليه لوتان:

– نعم، لقد كنت موجوداً حينها، وقمت بإخراج الفتاة وبمجرد أن خرجنا من القاعة ساعدتها على النهوض وأعطيتها باقي المال الذي اتفقنا عليه وانصرفت لحال سبيلها، كل ما كنت تراه داخل القاعة من معجزات أو أفعال خارقة لداليا كانت تمثيلية معدة بعناية لخداع الحمقى الذين عندما يرون ذلك سينخدعون به ويظنون أنها فعلاً كما تدعي، حينها سيهابها الجميع ولن يجرؤ أحدهم على عصيان أوامرها أو الإفلات منها، لقد قمت معها بالعديد من تلك التمثيليات التي كان يصدقها الجميع، ذات مرة أطلقت بنفسها الرصاص على

أحد الرجال وشاهده الجميع يسقط مضرجاً في دمائه قبل أن تتلو عليه صلاة شيطانية كما تطلق عليها ليقف أمام الجميع معافي مقبلاً يدها لأنها أعادته للحياة مرة أخرى، حينها ظن الجميع أن باستطاعتها إحياء الموتى إن أرادت ذلك، كانت الطلقات فارغة والدم كان عبارة عن أكياس من الطلاء الأحمر التي تنفجر والشاب كان مأجوراً لأداء هذا الدور، أنا من أشرفت بنفسي على كل ذلك، حينها ظن الأغبياء أنها تستطيع إحياء من تريده، حتى الشيطان نفسه الذي تدعي عبادته لا يستطيع ذلك، فما بالك ببشرية، ولكن الخدعة انطلت على الجميع وصدقوها، داليا ماهرة للغاية في جعلك تصدق بالضبط ما تريدك تصديقه، ولكن كل ما تراه من أفعال خارقة هو محض وهم لا أكثر، لقد قلت لكم إنها مجرد دجالة محترفة وأنا أساعدها في عملها لا أكثر.

سأله أدهم:

– وماذا عن الدعوة التي فتحتها لأجدها فارغة ثم بعد فترة كان عليها كتابة وبعد فترة أخرى أجدها في مكتبي بدلاً من السيارة، أكانت هذه خدعة أيضاً؟

أجابه لوتان:

– بلي، كل ما كان يحدث هو تبديل للدعوات حتى تشعر وكأنها

تملك قدرات أو قوى خاصة فيسهل إخضاعك وإقناعك بقبول ما تريده هي منك، رغم أن كل ما حدث هو تبديل للدعوات عن طريق أبنائها من دار الأيتام، لقد تم تدريبهم على القتل واقتحام وكل ما يمكنه إفادة داليا، إنها تستغل الجميع لتحقيق أهدافها، حتى الأطفال في دار الأيتام تستغلهم لتصل لما تريده، إنها تقوم بإنشاء جيل جديد من الشباب الذي لن يتورع عن فعل أي شيء لتحقيق أياً كان ما تطلبه منهم داليا، جزء من الأطفال تستغلهم في الدعارة والقرابين البشرية، والباقي يتدرب ليصبحوا آلات قتل في يد داليا لتواجه بهم من يتجرأ على الوقوف ضدها، إنها تقوم بإعدادهم لكي ينتشروا في جميع مختلف أنواع الوظائف بعد تخرجهم من الجامعة، يمكنك أن تطلق عليهم عملاء نائمين ولكن بمجرد أن تستدعيهم داليا سينفذون كل ما تأمر به، تخيل أن يكون لديها أتباع في كل جامعة وكلية يقومون بتوسيع قاعدة داليا.

سأله أدهم قائلاً:

– ولماذا أنا؟ لماذا فعلت معي كل ذلك؟ لماذا هي مصممة على أن أكون أحد أتباعها بأي طريقة حتى لو باختطاف زوجتي؟

رد عليه لوتان بقوله:

– لأنك مشهور ولأنك تحديتها، هي تريد استغلال شهرتك، في البدء

عندما رأتك في التلفاز لأول مرة فكرت في أن تستعين بك، هي تملك الكثير من الأتباع الأغنياء ولكن كل يوم يزداد رغبتها في المزيد، لذا فقد بدأت في استقطاب المشاهير حتى يساعدوها في خطتها المجنونة.

سأله أدهم مرة أخرى:

- أي خطة مجنونة تتحدث عنها؟

أجابه لوتان:

- السيطرة على الجميع، داليا بدأت تفقد حذرها الذي كانت تتعامل به في البداية، في البدء كانت حريصة على ألا يعلم عنها الكثيرون، فقط أتباعها ومن تحاول استقطابهم، ولكنها مع كل نجاح في كسب المزيد من الخدم والتابعين لها كان يزداد غرورها ورغبتها في قوة وسيطرة أكبر على الجميع، الجميع بلا استثناء، لذا عندما شاهدتك جاءت لها تلك الفكرة بعمل مجموعة من القنوات الفضائية، مجموعة كاملة تتحدث في كل شيء وأي شيء دون خطوط حمراء عدا طبعاً خطوطها هي، جاءت لي ذات يوم وهي تتحدث بحماس كبير عن تلك الفكرة، في البدء كانت القنوات ستكون قنوات عادية مثل باقي القنوات أي ستتحدث عن نفس الموضوعات التي تتناولها باقي المحطات الفضائية ولكن بإبهار أكبر حتى تجذب المشاهدين لقنواتها فقط ولكن مع الوقت كانت ستتغير تلك السياسة لتبدأ رويداً رويداً

في دس السم في العسل للمشاهدين الذين سيشاهدون تلك القنوات، حتى إنها فكرت في جعل إحدي تلك القنوات قناة دينية، لتبدأ بالتدريج في مناقشة بعض المواضيع الشائكة في الأديان وجعل الكل يتشكك في الدين حتى يصل إلى عدم اليقين في دينه، حينها تكون فرصتها لبث أي فكرة ترغب بها في عقول الناس بعدما يكونوا قد أدمنوا مشاهدة قنواتها، كانت بتلك الفكرة تريد السيطرة على الملايين وليس فقط بضعة مئات كما هو الحال الآن، ومن أجل تلك الفكرة سخرت كل طاقاتها واتصالاتها لتحقيق ذلك، لقد انتهت بالفعل من التعاقد مع الكثير ممن سيعمل لديها في تلك القنوات ولكنها احتاجت لوجه يثق به المشاهدين، وجه يعلم الجميع أنه شخص جيد وله مبادئ وقيم لأن هذا الشخص وحده سيستطيع إقناعهم بأي شيء وكل شيء تريدهم أن يقتنعوا به، هنا أتي دورك يا أدهم ولكنك رفضت ذلك، رفضته قبل حتى أن تعلم ما حقيقة القنوات التي كنت ستديرها من أجلها، ولم تكتفي بذلك بل تحديتها أيضاً وعلم الجميع بذلك لأنها قالت لجميع أتباعها أنك ستكون معها وأنك وافقت حتى قبل أن تخبرك بالأمر، كانت متأكدة أنك لن ترفض عرض مثل الذي قدمته لك، كانت متأكدة من قدرتها على السيطرة عليك كما سيطرت على من قبلك ولكن عندما رفضت استشاطت غضباً، هي تتحكم بأتباعها بالقوة والسلطة و الترهيب، لو تركتك تمضي لحال سبيلك فماذا سيكون

تأثير ذلك عليها؟ هل تعتقد أنها كانت ستقول لنفس الأشخاص أنك رفضت عرضها الوهمي ورفضتها هي شخصياً، لم تكن لتسمح لذلك بالحدوث لذا فقد فعلت كل ما فعلته من أجل أن تضمن موافقتك على ما تريد، أرهبتك عن طريق زوجتك لترغمك على الموافقة.

سأله ادهم:

– وماذا بخصوص حالة نور التي كانت تسوء يوماً بعد يوم، كيف فعلت ذلك؟ كيف جعلتها ترى تخيلات وأشياء غير حقيقية، لقد كادت نور تنتحر بسبب ما فعلتوه بها أيها الأوغاد.

أجابه لوتان:

– بالأدوية، لقد أجرينا بحث شامل عنك وعن زوجتك وعلمنا أنها تعاني من صداع مزمن يجعلها تتناول مسكنات للألم يومياً، داليا قامت بتأجير من يقتحم منزلك ويقوم بتغيير تلك المسكنات بحبوب هلوسة تجعل حالة زوجتك تسوء بالتدريج حتى ترى أوهام وخيالات لا وجود لها في الواقع، كانت تعلم أنك لا تتناول تلك الأدوية لذا فسوف ترى زوجتك ترى أشياء لا تراها أنت مما سيجعلك تشك في أن زوجتك قاربت على الجنون بسبب انتقام داليا منها، وكانت النتيجة النهائية لتناول تلك الأدوية هي النزعة الانتحارية وأظن أن زوجتك قد حاولت بالفعل الانتحار، كل ذلك سيجعلك توقن أن لداليا قدرات

شيطانية، في النهاية ستستجيب لما تريده إما خوفاً من عقابها أو خوفاً على حياة زوجتك.

تذكر أدهم أن عندما توقفت نور عن تناول تلك المسكنات بدأت بالفعل حالتها الصحية في التحسن حتى رجعت بصحة جيدة كما كانت من قبل.

جلس أدهم وهو غير مصدق لكل ما يسمعه الآن وغمغم بصوت منخفض:

- يا إلهي، كل ما فعلته تلك الحقيرة كانت لمزيد من السيطرة والتحكم في الناس، تدعي السحر الأسود وعبادة الشيطان فقط لتنال المزيد من المال والسلطة.

سادت حالة من الصمت بين الجميع، كان الصوت الوحيد في المكان هو الأنين المكتوم للوتان جراء جروحه الدامية، بعد فترة سأل أشرف السؤال الذي كان يخشي طرحه على لوتان:

- وماذا عن زوجتي؟ هل... هل كانت حقاً خائنة؟

لم يجب لوتان وتحاشي النظر في عيني أشرف، لذا فقد أمسك عوض بمسمار آخر وكاد أن يغرسه في فخذ لوتان قبل أن يصرخ الأخير:

- لا، لا أرجوك، سأتحدث.

أخذ لوتان نفساً عميقاً ونظر لأشرف قبل أن يقول له:

- لا، لقد كانت بريئة من كل ما سمعته.

انهار أشرف على الأرض بينما دموعه تسقط في صمت واضعاً يديه على رأسه، حينها أكمل لوتان حديثه لأشرف قائلاً له:

- كل ما سمعته كان زائفاً، لقد أتينا ببرنامج محاكاة للأصوات وراقبنا هاتف منزلك حتى نحصل على عينة من صوت زوجتك وبمجرد الحصول عليها تم الاستعانة بفتاة ليل للتحدث بطريقة جنسية مع أحد الأشخاص مدعية أنها زوجتك وبواسطة هذا البرنامج غيرنا صوتها ليبدوا مثل صوت زوجتك، أما بالنسبة للصور فقد تم تركيبها ولم تكن حقيقية، كل شيء كان كذباً وداليا استطاعت بطرقها المختلفة زرع الشك بداخلك نحو زوجتك حتى تقوم بقتلها، لقد كان الأمر بالنسبة لها لعبة.

نظر له أشرف بغضب ثم نهض فجأة ليسرع نحو لوتان ويصيبه بوابل من اللكمات وهو يصرخ قائلاً:

- لعبة أيها الحقير، جعلتموني أقتل زوجتي البريئة بعدما لوثتم شرفها ولوثتم عقلي لكي أقتلها أمام داليا ثم تقول لي لعبة؟ سوف أقتلك أيها الحقير، سوف أقتلك.

خطف أشرف المطرقة من يد عوض وهمّ بالنزول بها على رأس لوتان الذي صرخ وهو يبعد رأسه عن المطرقة، ولكن يد عوض كانت أسرع من أشرف، أمسك عوض بيد أشرف قبل أن تهوي بالمطرقة على رأس لوتان بينما كان أدهم يحاول السيطرة على صديقه ويرجعه للخلف بعيداً عن لوتان المرعوب، كان أشرف يصرخ ويبكي في نفس الوقت بينما تخرج من بين شفتيه كلمات غير مفهومة نتيجة حالته العصبية السيئة، حاول مراراً الفكاك من أدهم ولكنه لم يستطع، في النهاية استكانت حركته بين ذراعي أدهم القويين وأخذ يبكي كطفل صغير فقد والدته.

أكمل لوتان حديثه قائلاً لهم:

– هذه هي فكرة داليا عن المرح، لقد شعرت بمقدار حبك لزوجتك لدى رؤيتكما معاً في حفلاتها في بداية تعرفك عليها، فعلت كل ذلك من أجل أن تستمتع برؤية ذلك الحب يتحول لبغض وكراهية، كانت تريد أن تثبت لنفسها أنها تستطيع تحويل إنسان ما من شخص محب لشخص قاتل لمجرد أنها أرادت ذلك، أنا آسف إذا قلتها بهذه الطريقة ولكنها بالفعل كانت مجرد لعبة بالنسبة لها، كانت تلعب بعقلك طوال الوقت لتجعلك مستعد لقتل زوجتك التي طالما أحببتها، لا تلومني أنا، لم أكن من غرس ذلك السكين في قلبها، أنت من صدقت كل ما قالته لك وأنت من قتلتها بيدك.

صرخ أدهم في وجه لوتان قائلاً له في ثوره:

– من أنتم لتقرروا من يحيا ومن يموت؟ تتصرفون وكأنكم آلهة أو أنكم فوق القانون تفعلون بالأبرياء ما تشاؤون، أنتم مجموعة من المرضي أيها القذر.

لم يعلق لوتان على ما قاله له أدهم، ظل أشرف منهار على الأرض بينما أدهم يحاول مواساته والتخفيف من وقع الصدمة عليه ولكن أشرف كان في عالم آخر، كان يتمتم باسم زوجته الراحلة وهو غير منتبه لما يدور حوله، لم يكن أمام أدهم إلا إخراج صديقه من تلك الحجرة اللعينة حتى لا يرى لوتان أمامه، ساعده على النهوض حتى وقف على قدميه وبدأ في المشي ببطء مع أدهم الذي رمق لوتان بنظرة نارية قبل أن يغادر الحجرة وهو يسمع ذلك الحقير يصرخ في هلع:

–لا تتركوني وحدي مع عوض، إرجع يا أدهم، سوف يقتلني إذا تركتني معه، لقد قلت لكم كل ما أعرفه كما طلبتم، ارجع هنا الآن.

خرج أدهم من الغرفة ولم يعر أي اهتمام لصراخ لوتان، كان يعلم أنه محقاً فيما قاله ولكن مع كل ما فعله لوتان أو على الأقل ساعد داليا في فعله كان يستحق تلك النهاية وليس أي شيء أقل من ذلك، نهض عوض من مقعده واتجه نحو باب الغرفة ليغلقه بإحكام من الداخل وهو يقول:

- هكذا أفضل حتى لا يقاطعنا أحدهم، لا أريدهم أن يُصدَموا عندما يرون حالتك بعدما أنتهى منك.

أخذ لوتان في التحديق برعب في وجه عوض الذي يقترب منه وكأنه الموت نفسه، كان يشعر بأن هذه هي لحظاته الأخيرة، لذا أخذ يستجدي عوض قائلاً له:

- أرجوك يا عوض، أتوسل إليك، داليا هي من أمرتني بقتل ابنتك، لم أكن أريد فعل ذلك ولكنك تعلم أنه لا يمكنني رفض أمر لها، لقد كانت حياتي أمام حياة ابنتك وأنا اضطررت لفعل ذلك، سامحني يا عوض، سوف أفعل كل ما تريده ولكن لا تقتلني، لا تقتلني يا عوض.

قال له عوض وهو يقف أمامه قائلاً:

- لا تقلق يا لوتان، ستخبرني بكل شيء أريده قبل أن أقتلك، ستخبرني كل التفاصيل الأمنية للقصر وستخبرني بعدد أفراد الحراسة داخل وخارج القصر، ونوع تسليحهم وكل شيء، كل شيء ستقوله وبكل صدق، أنا متأكد من ذلك، صدقني حين أقول أنك ستتحدث كعجوز ثرثار يتذكر ماضيه بأكمله، هل تعلم لماذا؟ لأنني أستطيع حملك على فعل ذلك وسأفعله بكل سرور، والأهم لأنك تستحقه أيها الوغد.

كانت الساعة قد تجاوزت الخامسة فجراً عندما كان أدهم جالساً في حديقة الفيلا ينظر لصورة نور زوجته على هاتفه النقال، جاء من خلفه الرجل العجوز ملاك بهدوء حتى لا يفزعه وجلس بجواره في صمت، بعد فترة قال له ملاك:

- لقد وضعت أستاذ أشرف في أحد غرف الفيلا حتى يرتاح قليلاً، الحبوب التي أعطيها له كانت مفيدة لأنه ما إن تناولها حتى غرق في النوم العميق، مسكين هذا الرجل، ما سمعه الليلة من ذلك الشيطان دمره تماماً، ربما يشعر بتحسن بعد عدة ساعات من النوم.

لم يعلق أدهم على ما قيل له من ملاك الآن، ولكن بعد فترة من الصمت سأله قائلاً:

- لم أعرف حتى الآن ماذا حدث لحفيدتك، كيف ماتت إذا كان يمكنني السؤال؟

تنهد ملاك بعمق ونظر لقرص الشمس الذي بدأ يخرج على استحياء لينير المكان بضوء أزرق خافت وهو يتذكر ما حدث، قال لأدهم بعد فترة من الصمت:

- ربما كان ما حدث لحفيدتي كانت غلطتي، أنا من رشحت عوض لتلك الوظيفة بعد أن غادرها الحارس السابق، لم نكن نعلم

حينها ما يحدث داخل ذلك القصر الملعون، علمت بالوظيفة من سمسار بالمنطقة سألني عما إذا كنت أعرف شخصاً موثوقاً به يمكن تعيينه حارساً لقصر داليا، كان المرتب مجزي وبالطبع رشحت ولدي لتلك الوظيفة، ذهب هو وابنته الوحيدة للعمل هناك، ماتت زوجته أثناء ولادتها ولم يكن له في الدنيا غير ابنته مريم، كانت في السادسة عشر من عمرها حينما انتقل عوض للعمل هناك، في البداية كان كل شيء على ما يرام، مكان مخصص لنومهما و طعام وفير وراتب ممتاز، حتى إنه بدأ بتوفير المال من أجل زواج مريم، ولكن بعد عدة أسابيع بدأ كل شيء في التغير، بدأت داليا في التودد لمريم وطلبت من عوض أن تمكث معها بالقصر في بعض الأحيان، كانت تغدق عليها بالهدايا والملابس والعطور، بالطبع لفتاة في سنها كانت مريم سعيدة بكل هذا الاهتمام، لم ترى والدتها طوال حياتها وها هي داليا تعاملها وكأنها ابنتها، أو على الأقل هكذا ظن عوض ولدي، لذا لم يمانع في البداية بل كان سعيداً باهتمام داليا بها، كان يظنها سيدة محسنة تحب الخير وتعطف على ابنته الصغيرة، لم يكن يعلم أنها كانت تعدها للعالم الذي تمتلكه داليا، لم يكن يعلم أنها كانت تعد ابنته الوحيدة لتكون واحدة من الفتيات العذاري التي تقدمها لكبار أتباعها، بمرور الوقت بدأ يعلم حقيقة هذا المكان الموبوء، بدأ يدرك حقيقة الحفلات التي تقام بالقصر في الساعات المتأخرة من الليل كل مساء، بدأ يعلم

أن داليا قد تفعل أي شيء للحصول على المزيد من المال ولكنه لم يستطع الفكاك منها، كانت أقوى من أن يستطيع مواجهتها لو فكر في ترك العمل لديها، ظل في عمله خائفاً يغض الطرف عمّا يحدث داخل القصر لخوفه على نفسه وعلى ابنته من بطش داليا، لكن كل ذلك تغير عندما أرادت تلك القذرة ضم مريم لمجموعتها العفنة من الفتيات اللاتي تقدمهن إلى الأثرياء، عندما أخبرته مريم بما تريده منها داليا صُعِق من هول ما قالته، كان يعلم أنه لن يستطيع مواجهتها لذا فقد حاول الهرب من القصر ومعه مريم ولكن زبانية داليا أمسكوا به وبحفيدتي وقامت داليا بقتلها أمامه، جعلت ذلك الشيطان الموجود بالداخل مع عوض يطلق الرصاص عليها أما عينيه لأنها رفضت تنفيذ ما أمرتها به، كانت تستطيع قتل عوض أيضاً ولكنها كانت تريد تعذيبه لباقي حياته، ليتها قتلته حينها، قامت داليا بتلفيق قتل ابنته له وتم الحكم عليه بالسجن، اضطررنا لبيع كل ما نملك لإحضار محام كبير له، كان الحل الوحيد أمامه هو الدفع بأنها جريمة شرف حتى ينال ولدي حكم مخفف، هل تعلم ما يعني ذلك؟ لم تكتفي تلك الشيطانة بقتل ابنته بل وصمت عائلتنا بالعار أبد الدهر، حفيدتي جعلتها غانية وولدي جعلته قاتل، السبب الوحيد الذي جعل عوض يوافق على قبول الاعتراف بأنها كانت جريمة شرف هو الإنتقام من داليا لدى خروجه من السجن، هذا هو ما جعله يتحمل ما تعرض له

من إهانات واتهامات في شرف ابنته داخل السجن، وقد بعثك القدر في طريقنا حتى نحصل على انتقامنا منها ومن ذلك الكلب بالداخل، لقد قلت لك من قبل يا أستاذ أدهم وها أنا أقولها لك مرة أخرى، لقائك بنا ولقائنا بك لم يكن صدفة، لقد كان قدراً لأننا وحدنا من نستطيع إيقاف حمام الدماء الذي تريقه داليا كل ليلة داخل قصرها.

غمغم أدهم بطريقة متهكمة حزينة:

- نعم، سنوقف حمام الدماء بصناعة حمام دماء آخر.

رد عليه ملاك وهو ينظر له في عينيه:

- أحياناً يجب وقف العنف بالعنف، والشر بالشر، لو كنت لاتتفق معي في ذلك فقل لي طريقة متحضرة تنقذ زوجتك من مصيرها غداً، قل لي وسيلة نحفظ بها الدماء توقف داليا عما تفعله كل ليلة في قصرها الشيطاني، داليا عبارة عن شر خالص يا بني، شر يستفحل خطره كل يوم، شر يستشري في الجسد كالسرطان، لذا من أجل وقف هذا السرطان يجب استئصاله، هل سمعت عن سرطان توقف لأن الطبيب قال له أنه يؤذي المريض ويقتله فلابد له أن يتوقف، لا، الشر يجب أن نواجهه بشر أقوى وأعنف وأشرس منه حتى يتوقف، ولن تتوقف داليا عن تحويل عالمنا إلى جحيم إلا إذا قمنا بما يجب علينا القيام به، هذا هو الحل الوحيد وأنت تعلم ذلك جيداً، ما سوف

يحدث غداً هي السبب فيه ولا أحد سواها، لقد آذت الكثيرين وآن لهذا أن يتوقف إلى الأبد، ولن يتوقف إلا بموتها.

لم يعلق أدهم على ما قيل له من ذلك الرجل العجوز، كان يعلم أنه محقاً فيما قاله لذا لم يحاول الإعتراض على أي شيء، فقط اكتفي بالرجوع لهاتفه النقال وتأمل صورة نور وهي مبتسمة على شاطئ البحر في الإسكندرية، كان كل ما يهمه هو رجوعها له سالمة مهما كلف ذلك من دماء، ظل على حالته تلك لكثير من الوقت، لم يحاول ملاك التحدث مرة أخرى لأنه شعر بأن لا يوجد ما يقال بعد الآن، أخذ يلف سيجارته بيده وهما في انتظار رجوع عوض بعد الانتهاء من مهمته البغيضة، بعد الانتهاء من أول انتقام له ممن قتل ابنته ووصمها بالعار رغم شرفها، مرت عليهما أكثر من ساعة وهما في مكانهما يتأملان شروق الشمس في صمت حتى أتي عوض من بعيد، إقترب باتجاههما ولكنه عرج أولاً إلى صنبور مياه في الحديقة، كان واضحاً لأدهم سبب احتياجه للمياه، كان الماء يسقط نقياً على يديه ليغادرهما بلون أحمر قاني، لون دماء لوتان التي أغرقت يدي عوض، ظل عوض يغسل يديه من دماء لوتان عدة دقائق قبل أن يتوجه لهما ويلقي بنفسه على أحد المقاعد، سأله عوض عن أشرف فأخبره بأنه تركه ينام لبعض الوقت بعد ما سمعه بالداخل، أومأ عوض برأسه ثم قال:

– لقد علمت من ذلك الوغد كل شيء كنت أريد معرفته بخصوص القصر والأمن به، كل شيء سيكون على ما يرام، الرجال سيأتون الليلة وسأقابلهم وحدي وألقن كل فرد ما عليه القيام به الليلة.

سأله أدهم ببعض الارتباك:

– هل قتلته؟

لم يبدو على عوض كأنه سمع سؤال أدهم وأكمل حديثه قائلاً:

– كانت فكرة جيدة التي اقترحتها يا أستاذ أدهم بخصوص أجهزة التشويش على الاتصالات، لقد كانت مفيدة عندما اختطفنا لوتان ولم يجد شبكة على الإطلاق، لم يكن يعلم هذا الأحمق أننا أذكي منه واستعملنا هذا الجهاز ضده.

أعاد أدهم السؤال مرة أخرى:

– أجبني يا عوض، هل قتلته؟

صمت عوض للحظة وأكمل للمرة الثانية حديثه متجاهلاً سؤال أدهم:

– سينفعنا كثيراً اليوم لدى دخولنا القصر، سيمنع كل من بالقصر من استخدام هواتفهم لطلب النجدة مما سيعطينا كل الوقت الذي سنحتاجه لتنفيذ ما خططنا له.

سأله أدهم مرة أخرى ولكن بعصبية هذه المرة:

- لماذا لا تريد الإجابة؟ هل قتلته يا عوض أم لا؟

طال صمت عوض هذه المرة ونهض من مكانه قائلاً لأدهم:

- لقد اتفقنا قبل دخولنا الغرفة لهذا الوغد أنني المسئول عن كل شيء، لم أفعل ذلك لأنني أريد التحكم، فعلته لحمايتك أنت وصديقك، قلت لك كلما قلت معرفتك كلما كان ذلك أفضل لك، لقد غادرت الغرفة وهو حي يرزق، هذا هو فقط ما يعنيك، إذا سقطنا في قبضة الشرطة أنا فقط من سيتحمل تبعات ذلك، أنا أريد أن يكون لي الشرف الوحيد بقتل هؤلاء الكلاب، ولن أدعك أو صديقك تأخذا هذا الشرف مني، الآن أقترح أن ننال جميعنا قسط من الراحة لأن لدينا ليلة طويلة، إذهب الآن يا أستاذ أدهم لتنام قليلاً كما فعل صديقك.

غادر عوض المكان متجهاً نحو الفيلا بينما نهض ملاك هو الآخر من مكانه وهو يقول لأدهم:

- لا تغضب منه يا ولدي، صدقني هو يفعل ذلك لحمايتكم، هو يريد أن يرى نهاية داليا أكثر منك وسيفعل ذلك وحده دون أن يورطكما في أي مشكلة مع الشرطة، اذهب الآن للنوم وعندما نستيقظ سننهي للأبد هذا الكابوس.

●●●

– أين ذلك الحقير المسمي لوتان؟

نطقتها داليا غاضبة وهي تروح وتجيء في مكتبها أعلى القاعة الكبيرة التي سيتم فيها إقامة القداس الأسود الأهم في العام بأكمله، كان لوتان هو المسئول عن تنظيم كل ما يتعلق بقداس الموت لذا فقد كانت في قمة سخطها وغضبها عليه لعدم حضوره حتى الآن، كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة مساءً دون أن يظهر لمتابعة ترتيبات القداس، صاحت في أحد الحراس بعصبية:

– هل ذهبتم إلى منزله أم لا؟

رد عليه أحد رجالها بسرعة:

– لقد فعلنا ذلك يا سيدتي، حارس العمارة يقول أنه لم يأتي منذ البارحة لمنزله ولكنه يقول أيضاً أن هذه ليست المرة الأولى، أحياناً لا يأتي للمنزل لعدة أيام وعندما يظهر يكون معه إحدى الفتيات، لا ندري هل هو بصحبة إحدى العاهرات أم أنه حدث له مكروه، لقد اتصلنا به على هاتفه ولكنه مغلق لذا لم نستطع تعقب هاتفه لمعرفة مكانه ،ولا نستطيع إيجاده في أي مكان من التي يذهب إليها بانتظام.

صاحت داليا مرة أخرى بمزيد من العصبية:

– يا له من وغد قذر، يختفي في أكثر الأوقات احتياجاً له، على أي حال سنكمل كل شيء من دونه، لا يجب أن يشعر أي شخص اليوم

بأن هناك ما ينقصه، جميعكم مسئولون أمامي عما سوف يحدث الليلة، لن أرضى بمزيد من التقصير كما حدث من لوتان، وعندما سأراه سأجعله يندم على ولادته من الأساس، إياكم أن تخذلوني الليلة.

أومأ الحارس برأسه إيجاباً على ما قالته سيدته وبدأ في الانصراف من المكان عندما دخلت سحر للمكتب وهي تقول:

- ماذا بكِ؟ لم أركِ من قبل بتلك العصبية، إهدئي قليلاً وكل شيء سيسير كما تريدين بالضبط، لقد تأكدت بنفسي من كل التفاصيل، السيارات ذهبت بالفعل لإحضار الضيوف الأجانب من فنادقهم والفتيات جاهزات للحفلة التي ستعقب القداس الليلة.

جلست داليا على مقعدها وهي تشعل سيجارتها بعصبية قبل أن تلقي القداحة على المكتب وقالت:

- أنا غير مطمئنة لغياب لوتان، هل تعتقدي أن مكروهاً قد أصابه يا سحر؟

ردت عليها سحر وهي مبتسمة:

- هل يمكن لأي شخص مهما كان أن يؤذي أحد أتباعك المقربين؟ حتى لو كان مخبولاً لما استطاع فعل ذلك، أنتي داليا الشرقاوي ولا يمكن لأحد إثارة غضبك أو تحديكِ.

نظرت داليا خارج النافذة لتتأمل حديقة قصرها التي امتلأت بالعاملين الذين يستعدون للحفل عقب القداس ثم قالت بصوت متخفض أقرب للغمغمة:

– نعم، أنا داليا الشرقاوي، لا يمكن أن يكون هناك شخص بتلك الحماقة لكي يؤذي مدير أعمالي، هو بالتأكيد مع إحدي العاهرات يقضي وقتاً طيباً وسيرجع، لا يوجد من يستطيع أن يتحداني.

ثم أضافت دون أن تنظر لسحر قائلة لها:

– هل تعلمين يا سحر، لقد فعلت الكثير حتى أصل لما وصلت إليه اليوم، كان أمامي الكثير من العقبات لتجاوزها، في يوم من الأيام منذ بضعة سنوات كنت لا أعرف متى سآكل الوجبة التالية، الآن لدي من المال ما لا يمكنني حصره لو أردت ذلك، لقد اضطررت لخسارة الكثير حتى أحصل على الكثير.

سألتها سحر ببعض التعجب:

– سيدتي، لِمَ تتحدثين بهذه الطريقة؟ هل يوجد ما يقلقك؟

أجابتها داليا ببطء:

– لا أعلم، لا أشعر بأنني بخير الليلة، أشعر بأن خطباً ما سوف يحدث، أُؤمري الحراس بمضاعفة الحراسة على القصر، لا أريد أي ثغرات اليوم، كل شيء يجب أن يكون كما أريد بالضبط.

نهضت سحر لتنفيذ أوامر سيدتها التي نهضت بدورها لتضغط زر في قاعدة المكتب لتفتح جزء من أرضية المكتب، نظرت عبر الجزء المفتوح المغطي بالزجاج العاكس للقاعة أسفل المكتب، كانت داليا قد صنعت تلك الفجوة الزجاجية خصيصاً لترى أتباعها في القاعة وهم بانتظار حضورها، كانت تريد أن تراهم وهم تحت أقدامها دون أن يعلموا أنها تنظر إليهم الآن، بالنسبة إليهم هو مجرد سقف زجاجي في القاعة ولكن بالنسبة إليها كانت تراهم وهم متشحين بالسواد في انتظار قدوم سيدتهم، كانت تشعر بضآلتهم مقارنة بها، الجميع ينتظرها بالساعات، الجميع يأتمر بأمرها وينفذ كل ما يخطر على بالها، كانوا كالدمي بالنسبة إليها، ولكن كان هناك ما يجعلها متوترة دون أن تعلم ما هو، وما زاد الطين بلة هو اختفاء لوتان الغير مبرر، لكنها كانت تحاول استبعاد أن يكون شخص ما قد اختطفه، كانت تريد تصديق أنه لا يمكن لأحد أن يتحداها أو يتحدى قوتها، لا يمكن أن يكون هناك شخص ما على هذه الدرجة من الحماقة حتى يجعلها عدوته، كانت تقنع نفسها بأن اختفاء لوتان هو حدث عارض وليس حادثة متعمدة من شخص ما، لم تكن لتقبل فكرة أن هناك شخص ما بالخارج يستطيع مواجهتها أو استعدائها، ظلت داليا لبعض الوقت تنظر للأتباع وهم يتجمعون بالقاعة أسفل منها واحداً تلو الآخر، جميعهم أتى تلبية لها ولأوامرها، وأدهم سيكون هو جوهرة التاج الذي يزين رأسها، أدهم الذي رفضها في البداية ولكنه مثل غيره

اضطر للموافقة في نهاية الأمر، لن تسمح لأي شخص أن يقول لها لا، تذكرت داليا بينما هي واقفة تتأمل أتباعها لمحات من حياتها السابقة، حينما كانت مضطرة لتنفيذ ما يطلبه منها غيرها لتظل على قيد الحياة، حينما كانت كلمة لا ملغاة من قاموسها لأنها لم تكن تملك رفاهية الرفض، الآن تنتقم من الجميع، الآن تنتقم من كل شخص يقول لها نفس الكلمة، لأنها تذكرها بما اضطرت لفعله فيما سبق، وبينما هي غارقة في أفكارها دخلت عليها سحر مرة أخرى لتقول لها:

- سيدتي، أدهم فريد هنا، لقد جاء وهو في انتظارك، هل أدعه يدخل؟

لم ترد داليا في البداية حتى أن سحر ظنت أنها لم تسمع ما قالته لذا رددت السؤال مرة أخرى بصوت أعلى، نظرت لها داليا نظرة باردة قاسية قبل أن تقول لها:

- لقد سمعتك من المرة الأولى يا عزيزتي، أدخليه وانتظريني بالخارج.

لم تدري سحر سبب تلك النظرة القاسية على وجه داليا ولكنها أسرعت بالخروج على أي حال لإحضار أدهم الذي دخل المكتب بعينين زائغتين وقدمين لا تقويان على حمله، دخل على مكتب داليا التي كانت تنظر له نظرة شماتة قاسية قبل أن تقول له:

- أهلاً بك يا عزيزي أدهم، أرجو أن تكون الفترة الماضية التي أعقبت خطف زوجتك العزيزة قد جعلتك على درجة أكبر من التعقل، لا نريد أن يصيب نور أي مكروه بسببك، أليس كذلك؟

ظل أدهم واقفاً يتطلع لداليا لبعض الوقت قبل أن يقول لها:

- أين هي؟ أريد أن أراها للاطمئنان عليها.

طقطقت داليا بلسانها قبل أن ترد عليه وهي تقترب منه:

- أدهم، أدهم، يبدوا أنك لم تتعلم أي شيء، الليلة كل شيء سيتغير، من الآن فصاعداً لا تقل لي ما تريده لأنني لا أهتم بصراحة بأى شيء قد يريده أحد سواي، يجب أن تتعلم كيفية التحدث معي يا عزيزي، سوف أصبح سيدتك كما أصبحت سيدة لمن قبلك ومن سيأتي بعدك، يجب أن تتعلم بسرعة أن ما يهم هنا هو ما أريده أنا، ما أرغب به أنا فقط.

ثم طوقت عنق أدهم بذراعيها بدلال قبل أن تضيف:

- ولكن لتعلم كم أن سيدتك قد تكون رحيمة عندما ترغب في ذلك فسأدعك تراها هذه المرة فقط، وبعد انتهاء القداس والحفل يمكنك أخذها معك للبيت والبكاء سوياً أو أياً كان ما ستفعلانه بعد الخروج من هنا، بعد أن تكون قد أقسمت بالولاء لي ولقوتي، هل رأيت كم أنا عطوفة يا عزيزي؟

غمغم أدهم قائلاً:

- نعم يا... يا سيدتي، أنتِ عطوفة بالفعل، الآن هل يمكنني رؤيتها، بعد إذن سيدتي بالطبع؟

ابتسمت داليا ولم تعلق، فقط ضغطت زر الاستدعاء على مكتبها ليأتي لها حارسها الشخصي وعندما دخل المكتب قالت له:

- اجعل السيد أدهم يرى زوجته لدقيقة واحدة، هل تسمعني؟ دقيقة واحدة لا أكثر، ثم رافقه حتى مكان القداس وابقي معه هناك.

أومأ الحارس برأسه إيجاباً وأمسك أدهم من ذراعه كطفل صغير وجره أمامه في حين لم يبدي أدهم أي مقاومة، جل ما كان يريده هو الاطمئنان علي نور، ظل الحارس يدفعه أمامه حتى وصل لذلك الممر المظلم المقبض الذي لا توجد إنارة به سوي مصباح وحيد في منتصف الممر يضفي جواً من الرعب، فتح الحارس الغرفة المتواجدة بها نور التي صرخت صرخة قصيرة مع فتح الباب، كانت تنتظر الموت قادماً لها في أي لحظة عبر هذا الباب ولكن بدلاً من ذلك وجدته أدهم هو من يدخل عليها ويركض تجاهها، لم تصدق عينيها وهي ترى زوجها أمامها، احتضنته بعنف وهي تقول له من بين دموعها:

- ما الذي أتي بك يا أدهم، ليتك لم تأتي من أجلي، من فضلك لا تفعل ما تريده تلك الأفعي، أعلم أنها ستطاردنا مدى الحياة ولن تسمح لك بالخروج كما دخلت، ستصبح إنساناً آخر يا أدهم.

قبّل جبينها قبل أن يقول لها:

– أعلم ذلك، أعلم أنني سأخرج من هذا المكان غير ما دخلت، ولكن من أجلك يا حبيبتي أنا مستعد لفعل أي شيء، سوف تخرجي من هنا سالمة وأنا بجوارك، لا تقلقي.

قالت له نور بتأثر:

– من فضلك ارحل من هنا قبل فوات الأوان.

أجابها وهو يغالب دموعه:

– كيف أرحل، هذا هو المكان الوحيد الذي أتمني الوجود فيه الآن، بجوارك أنتِ يا حبيبتي.

دخل الحارس الغرفة ليقبض على ذراع أدهم مرة أخرى بينما يديّ نور تحاولان التشبث به، حاول أدهم فك قبضة يد الحارس عنه ولكن الحارس كان قوياً بحق، اكتفي أدهم بقوله لنور وهو يخرج من الغرفة:

– لا تقلقي يا نور، كل شيء سيكون على ما يرام، سأعود من أجلك يا حبيبتي، سأعود من أجلك.

في نفس الوقت كانت داليا قد ارتدت رداء الكاهنة العظيمة والذي ستحضر به القداس الأسود، قداس الموت، أخذت سحر تساعدها في ارتداء ذلك الرداء الأحمر القاني اللامع المليء بالرموز الغريبة الشيطانية و النجوم الخماسية، سألتها داليا بفتور:

- هل تم إعداد كل شيء؟

أجابتها سحر بسرعة:

- نعم سيدتي، تم إعداد القاعة كما أمرتِ بالضبط، الرجل الذي سيّدّعى الموت أمام الحضور موجود الآن خارج القاعة بانتظار أمر سيدتي لإدخاله، هو يعلم دوره بالضبط فلا تقلقي، سوف يصدق الجميع أنه قد مات نتيجة اللعنة التي ستطلقينها عليه.

قالت داليا وهي تعدل من ثيابها:

- حسناً، حان الوقت إذن.

بدأت الموسيقي المرعبة المنبعثة من السماعات المتناثرة بأنحاء القاعة في الازدياد إيذاناً بدخول الكاهنة العظيمة داليا للمكان، في سرعة ونظام وكأنهم جنود تدربوا على ذلك اصطف جميع أتباع داليا في صفوف متتالية بينما جباههم لأسفل، فُتِح باب القاعة ببطء لتطل منه داليا بثوبها الأحمر تنظر ببطء للصفوف المتعاقبة لأتباعها والذين جاؤوا من كل مكان لحضور أهم قداس أسود في العام، وقفت داليا وسطهم وهي تشعر بنشوة القوة والعظمة بينما الآخرين ينظرون للأرض دون أن يجرؤوا على رفع رؤوسهم دون إذن سيدتهم، بعد فترة من التطلع لأتباعها أشارت داليا بإصبعها لتتوقف الموسيقي الغامضة بغتة وتبدأ هي في الكلام ببطء قائلة:

- أهلاً بكم في قصري، جميعكم أتيتم الليلة تلبية لدعوتي بالحضور، أرى بعض الوجوه التي جاءت من دول أخرى لحضور قداس الليلة، دعوني أعدكم بشيء، الليلة ستكون مختلفة في كل شيء، الليلة نتقدم خطوة كبيرة للأمام في طريقنا الطويل لتمجيد الشيطان وإعطاؤه حقه الذي سُلِب منه تحت مسميات الدين والأخلاق والمبادئ، كنتم من قبل تتبعون تلك الترهات، كنتم تؤمنون بالخير والشرف والأمانة، ولكن هل وجدتم السعادة في ذلك؟ هل وجدتم ما كنتم تبحثون عنه، بالطبع لا، لأنكم لو كنتم قد وجدتموه لما أتيتم إلى، لما أتبعتم كاهنتكم العظيمة في رحلتكم للبحث عن السعادة الحقيقية، السعادة التي لن تأتي بالأخلاق والتدين، السعادة تؤخذ غصباً، السعادة تأتي بالأنانية المفرطة، الشيطان يعدكم بالسعادة المطلقة، السعادة التي تأتي من الأنانية وحب التملك وحب السلطة والنفوذ والمال، تلك هي السعادة التي يريد العالم حرماننا منها، السعادة التي يعدكم بها الشيطان والتي ستتحقق عن طريقي أنا فقط، أنا كاهنته العظيمة وخادمته المتواضعة، أنا التي سأريكم الطريق نحو الأفضل والأقوى والأكثر، لن نرضى بما يحاول العالم فرضه على نفسه، نحن أفضل من الباقين، أغنى من الباقين، أعظم من الباقين، لذا فلا يجب ولن يحدث أن نقيد أنفسنا بما قيدوا به أنفسهم، إن الأخلاق والمباديء هي ما تقف عائقاً بين الانسان والعظمة، لذا تخلصوا من تلك القِيَم البالية في سبيل أن تصبحوا عظماء أيها السادة، أنتم سادة

أهل الأرض وأنا سيدتكم جميعاً، وإن كان باقي البشر لا يستطيعون تغييرنا إذن نحن من سنقوم بتغييرهم، الليلة أزف إليكم أن اللمسات الأخيرة توضع حالياً لأكبر مجموعة قنوات خاصة بنا في الشرق الأوسط، ستكون بدايتها مبهرة حتى يتابعها الجميع، سوف يكون كل شيء بها ساحر ورائع، سوف يتعلق بها الجميع بلا استثناء، وعندما يفعلون سنضع لهم السم في العسل، نبدأ بالتدريج أن نسقيهم أفكارنا وتعاليمنا، أن نجعلهم يبتعدوا عن دينهم ويقتربوا ممن نريده، في النهاية سنجعلهم يفكرون مثلنا ويتصرفون مثلنا، في النهاية سوف نجعل الكل تابعاً للشيطان ودون حتى أن يشعر بذلك، حينها سنكون ملوك عالمهم، عالمهم الذي احتقر الشيطان في يوم من الأيام ولكنه معنا سيتعلم كيفية احترامه وتبجيله، معنا سيتعلمون كيف يصبحوا خدمنا ورعايانا، لا تنسوا أبداً من نحن، نحن سادة العالم وحاكميه، نحن من ستنحني الجباه أمامنا ويموت العبيد بإشارة من أصابعنا، تذكروا دائماً أن لنا الحق في قتل كل من يقف عائقاً أمام تحقيق ملذاتنا وشهواتنا، لا توجد قوانين لإخضاعنا سوى قانون الشيطان فقط، فلنشرب نخب تلك الليلة ولنمجد الشيطان كما يجب.

تقدم أحد الأشخاص المتشحين بالسواد وهو يحمل في يده اليمنى ديك أسود مشوه الوجه بينما في يده اليسري خنجر أسود منقوش في وسطه النجمة الخماسية المميزة للشيطان، وضع الديك على المذبح الرخامي الأسود وبضربة واحدة قطع رقبته لتنطلق نافورة من الدماء

وجهها نحو كأس عظمي كبير حتى امتلأ عن آخره بالدماء لتمسك به داليا بكلتا يديها وترفعه عالياً قائلة بصوت عالي هز أرجاء القاعة:

- تقبل منا يا سيدنا وحاكمنا هذا القربان المتواضع من خدمك وأتباعك على الأرض.

ثم ارتشفت رشفة من ذلك الكأس قبل أن تخفضه وتناوله لمساعدها والذي فعل مثلها وارتشف رشفة منه قبل أن يناوله لمن بعده، ظل الكأس يدور على أتباع داليا حتى انتهى الكل من شرب الدماء، حينها تحدثت داليا مرة أخرى قائلة:

- والآن وقبل أن نكمل يجب أن تروا ذلك.

وبمجرد أن أنهت جملتها فُتِح باب القاعة ليدخل حارسين ضخمين يجران رجلاً في منتصف الأربعينيات من العمر، كان زائغ البصر مكبل اليدين، ألقاه الرجلين في منتصف القاعة عند قدميّ داليا التي أخذ الرجل في تقبيل قدمها وهو يستجديها للإبقاء على حياته، لم تلتفت كثيراً لما كان يقوله وقالت مخاطبة الجمع أمامها:

- هذا الرجل حاول الهرب من مصيره، أعطيته كل شيء طلبه مني وكان جزاء ما فعلته هو محاولته الهرب مني، ولكن لا أحد يهرب من الكاهنة العظيمة، لا أحد يستطيع مواجهتي والإفلات من عقابي، تذكروا ذلك جيداً يا سادة وليكن ما سترونه الآن درساً لكم جميعاً.

بدأت داليا في ترديد بعض الكلمات الغامضة بصوت منخفض في البداية ولكنه أخذ في الازدياد مع الوقت، كان الرجل يبكي ويطلب منها التوقف عما تفعله، كان يقول لها بتوسل:

– اغفري لي أيتها الكاهنة العظيمة، لقد كنت مخطئاً، من فضلك لا تفعلي ذلك.

ولكن داليا لم تأبه بكلماته واستمرت في ترديد كلماتها الغامضة وبدأت الإضاءة في القاعة في التذبذب بازدياد حدة وعنف كلماتها الخارجة منها، فجأة وأمام الجميع بدأ الرجل في التشنج والاختناق، بدأ وجهه في التحول للون الأزرق وهو يمد يده نحو داليا التي أكملت ما تفعله وهي تركز نظرها على ذلك الرجل الذي بدأ يتلوى في الأرض وهو يحيط رقبته بيديه وكأنه يحاول التقاط أنفاسه بلا جدوى، ظلت داليا على حالها وكلماتها تزداد غموضاً ورعباً حتى صرخت في النهاية صرخة هزت جنبات القاعة لترجع الإضاءة كما كانت فجأة ويرى الجميع ذلك الرجل مستلقي على الأرض بلا حركة والدماء تسيل من فمه ببطء، نظر الجميع نحو ذلك الرجل دون أن يستطيعوا الحركة أو الحديث، بعضهم تحسس رقبته وكأن حبل وهمي يلتف حولها، وكأنه أصبح مكان ذلك الرجل الميت، نظرت داليا إلى الحاضرين، نظرت إلى عيونهم المرتعبة، نظرت بإنتصار وقوة قبل أن تقول:

– لا تدعوا هذا المشهد يغيب عن ناظريكم، تذكروه دائماً لأن تلك هي نهاية من يخون الكاهنة العظيمة، تلك نهاية كل من يتحدى قدرتها وقوتها، تلك نهاية من يقول لا.

ثم أشارت لسحر بيدها لتخرج سحر مسرعة من القاعة بينما صوت داليا يتردد في المكان:

– من سترونه الآن شخص آخر ممن كان على وشك مواجهة غضبي وانتقامي ولكنه رجع إلى رشده سريعاً، لذا استحق أن أريه بعض رحمتي.

دخل حارس داليا الشخصي وهو يمسك أدهم من ذراعه وتوجه به نحو داليا التي كانت تنظر له بعظمة وخيلاء، كانت تلك هي اللحظة التي انتظرتها منذ عرفت أدهم وها هو القدر يحمله إليها أمام الجميع ليكون عبرة لكل من يحاول رفض داليا أو مقاومة المصير الذي اختارته له، دخل أدهم للقاعة وتطلع قليلاً في وجوه الموجودين والتي كانت تخفيها أغطية الرأس السوداء ليبدوا وكأنهم مجموعة من الشياطين السوداء، قالت داليا بصوت عالي وهي تنظر شذراً لأدهم:

– من ترونه أمامكم الآن هو أدهم فريد، بالتأكيد الكثير منكم بل ربما الجميع يعرفه، لقد اخترته ليكون خادماً لي وتابعاً يأتمر بأمري وينفذ مصيره الذي وضعته له، في البداية عارض ذلك بشدة ولكنه

الآن أمامكم جميعاً أتى بنفسه لقصري ليقدم فروض الولاء والطاعة العمياء للكاهنة العظيمة بعدما تأكد بنفسه ما أستطيع فعله وكيف يمكنني الانتقام إذا أردت ذلك ومتى أردت ذلك، الليلة أعلنه أمامكم تابعاً لي وأخاً لكم في قدركم الذي رسمه لكم الشيطان الأعظم، إنحني أيها الخادم أمام سيدتك ومولاتك وتذكر دائماً قوتها وسطوتها عليك وعلى من سواك من البشر الفانين من أمثالك.

ظل أدهم في مكانه مرفوع الرأس وهو لداليا، اقتربت منه داليا ببطء لتهمس له في أذنه:

- هذا ليس وقت الشجاعة أو حتى الحماقة يا عزيزي، أنت تعرف ما أملكه ولا أظنك تريد إغضابي فتؤذي بعنادك من تحب.

نظر لها أدهم لبعض الوقت قبل أن يقول لها بصوت منخفض:

- سوف أفعل ما تريدين ولكن بعد أن تأتي بزوجتي وأتأكد من مغادرتها هذا المكان الملعون، حينها يمكنك الحصول على ما تريدينه مني، وليس قبل ذلك، هذا بالطبع لو أردتِ ألا تجعلي صورتك تهتز أمام الجميع الآن عندما أرفض تنفيذ أوامرك كبقية أتباعك.

صمتت داليا لدقيقة قبل أن تشير برأسها لحارسها الذي خرج من القاعة بخطوات سريعة لإحضار نور من محبسها، ظلت داليا تدور حول أدهم وهي تنظر له وعلى وجهها ابتسامة شيطانية بينما

obeikan.com

ظل أدهم في مكانه دون أن يتحرك أو يبدوا على وجهه أي انفعال، ما هي إلا دقائق قليلة وعاد الحارس وهو يجذب نور بقوة من يديها، دخلت نور القاعة لتفاجأ بهذا الجمع من أتباع داليا الواقفين في صفوف وكأنهم زبانية جهنم، فقط ينظرون إليها بنظرات متوحشة وكأنهم مجموعة من الضباع على وشك الانقضاض على فريسة ضعيفة، بمجرد أن رأت نور زوجها ركضت نحوه لترتمي في حضنه ولكن قبل أن تصل إليه كانت داليا أسرع منها لتمسكها بقوة من شعرها لتطلق نور صرخة قصيرة من الألم بينما داليا تجذبها نحوها وتضع ذراعها حول رقبتها، حاول أدهم التحرك للذود عن زوجته ولكن وقوف الحارس بينه وبين داليا الممسكة بنور حال دون ذلك، نظرت داليا نحو نور قبل أن توجه سؤالها لأدهم قائلة:

– والآن هو وقت السؤال الأهم يا عزيزي، هل أنت مستعد لمخالفة كل معتقداتك ومبادئك التي عشت بها طوال عمرك من أجل إنقاذ من تحب، لقد أحضرتها مثلما طلبت ولكنها لن ترحل من هنا حية إلا حينما تفعل ما أريد بالضبط، فلتختر أنت مصيرها، إما الرحيل معك علي قدميها إذا فعلت ما أريده منك، أو الرحيل معك على ذراعيك عندما أقتلها أمامك، إنحني أمام الكاهنة العظيمة وأعلن ولائك التام لي، حينها يمكنك أن تأخذ جوهرتك الثمينة على قيد الحياة.

نظر أدهم لزوجته الباكية في صمت وقال لها بتأثر:

- نور، هل تثقين بي؟

أومأت برأسها إيجاباً وهي تقول من بين دموعها:

- نعم يا أدهم، نعم.

حينها نظر لداليا وهو يقول لها بحزم:

- لن أفعل ما تريدينه مني أيتها الشيطانة، أنتِ مريضة، تريدين أن تتحكمي بالجميع ولكننا لسنا مثل هؤلاء الأوغاد الذين يحيطون بكِ طوال الوقت.

نظرت داليا له بغضب وهي تراه يهينها أمام أتباعها بهذه الطريقة السافرة، زادت من ضغط ذراعها على عنق نور التي سعلت من قوة ضغط داليا قبل أن تقول له الأخيرة بغضب هائل:

- سوف تنحني وتركع أمامي أيها القذر، فعلها الكثيرين قبلك وستفعلها مثلهم، إنحني أمام سيدتك أيها الحقير.

نظر لها أدهم بكراهية وظل في مكانه دون أن يتحرك، إزداد غضب داليا وهي تُهان أمام الجميع بهذه الصورة ممن ادّعت السيطرة عليه، صرخت في وجهه قائلة:

- إذن أنت من حكمت عليها بالموت أيها الأحمق، سوف أجعلها تتلوى أمامك من العذاب ولن تستطيع فعل أي شيء لإنقاذها، سوف تنحني أمامي ودموعك تغرق وجهك لأرحمها ولن أفعل، لم يتحدي أحد من قبل داليا الشرقاوي ونجي بذلك، ولن تكون استثناء.

ثم قالت بصوت عالي للجميع:

- من يقتل تلك القذرة ويصبح من أقرب أتباعي لي، من يريد نيل شرف خدمتي؟

ارتفعت يد في الهواء ليأتي صوت صاحبها ليقول:

- إمنحيني هذا الشرف يا سيدتي، أنا أفعل ذلك.

لم يكن صاحب هذا الصوت سوى أشرف نفسه الذي كان واقفاً مرتدي السواد مثل باقي أتباع داليا التي رفعت رأسها وقهقهت قبل أن تقول لأدهم:

- ها هو صديقك المقرب يختار أن يفعل ذلك ليرضي سيدته، هل رأيت الآن ما أنا قادرة على فعله أيها الغبي الفاني؟

اتسعت عينا أدهم وهو يرى أشرف يخرج من بين الجمع المتشح بالسواد ليتقدم أمام داليا ويقف في صمت، صرخ أدهم به قائلاً:

– أنت، كيف يمكن ذلك، أنت يا أشرف ستقتل نور، كيف تستطيع فعل ذلك أيها الحقير، هل جننت؟ سوف أقتلك أيها القذر، سوف أقتلك.

لم يعلق أشرف علي ما قاله صديقه، ظل ثابتاً في مكانه قبل أن تناوله داليا خنجراً وتقول له:

– لم أكن مخطئة عندما جعلتك من المقربين لي يا عزيزي، كل يوم أتأكد من حسن ظني بك عندما اخترتك لتصبح بقربي، هيا، أسعد سيدتك و نفذ إرادتي وحقق مصيرها المحتوم الذي رسمته لها.

تناول أشرف الخنجر ببطء من يد داليا ونظر له لبعض الوقت بينما أدهم يحاول الوصول إليه ولكن الحارس يمنعه من ذلك، أمسك أشرف بالخنجر واقترب من نور التي أحكمت داليا من إمساكها، نور التي لم تصدق ما كان أشرف على وشك فعله، لقد أنقذ حياتها من قبل والآن ستُقتل على يده هو نفسه، ظلت نور تحرك رأسها يميناً ويساراً وهي تقول لأشرف:

– لا يا أشرف، لا تستمع لتلك الشيطانة، لا تستمع لها من فضلك، لا تجعلها تنتصر عليك، أنت أفضل من ذلك، أرجوك.

نظر لها أشرف نظرة أخيرة قبل أن يرفع الخنجر عالياً بكلتا يديه، قالت له داليا بصوت منخفض:

- هيا يا أشرف، إفعلها كما فعلتها مع زوجتك العاهرة من قبل، إنها تستحق الموت كما استحقته تلك القذرة.

كان أدهم يصرخ ويتلوى في محاولة للتخلص من الحارس دون جدوى بينما نور تبكي وهي تتطلع للحظاتها الأخيرة في عالمنا وداليا تنظر بجشع لأشرف في انتظار نزول النصل على نور، فجأة صرخ أشرف بصوت عالي:

- الآن يا عوض، الآن.

لم تفهم داليا ما معنى ذلك ولكنها فوجئت بصوت طلقات نارية كثيفة تأتي من خارج القاعة وصوت حراسها وهم يصرخون والطلقات تخترق أجسادهم خارج المكان بينما في نفس اللحظة يهبط أشرف بالخنجر بأقصى قوة لديه نحو هدفه الذي حدده بدقة، نزل الخنجر بقوة ليخترق جانب داليا نفسها التي أطلقت صرخة قصيرة وهي ترى الدماء تنفجر غزيرة من جانبها الأيسر بينما الخنجر منغرس بقوة وصوت أشرف يقول لها:

- زوجتي لم تكن عاهرة أيتها القذرة، لم تكن عاهرة.

تراخت قبضة داليا عن نور بينما داليا تتراجع للوراء غير مصدقة ما حدث للتو، نظرت بعينين جاحظتين وهي تمسك جانبها وتنزع

الخنجر ليسقط على الأرض بدوي معدني كئيب ثم ترفع يدها وتري الدماء تغطيها، وقبل أن يستوعب حارسها الصدمة كان أدهم يقبض بقوة على مسدس الحارس المثبت بخصره ويرفعه نحو الحارس ليطلق منه رصاصتين استقرتا في صدر الحارس ليسقط مضرجاً في دماؤه، حاول الحارس الوقوف بصعوبة بالغة ولكن الرصاصة الثالثة التي انطلقت من أدهم لتستقر في رأسه كانت كفيلة بقتله ليسقط ميتاً على الأرض، ركضت نور باتجاه أدهم وسط صرخات النساء الموجودات بالقاعة، احتضن أدهم زوجته بقوة بينما أسرع أشرف نحو باب القاعة ليحكم غلقه من الداخل ليمنع دخول أي شخص من حراس داليا للقاعة ثم نزع من أذنه سماعة الهاتف التي كان بواسطتها عوض يستمع لكل ما يحدث داخل القاعة في انتظار اللحظة التي سيهجم فيها، حاول أحد الحضور الانقضاض على أدهم لانتزاع المسدس منه ولكن اللكمة التي وجهها له أدهم قبل أن يطلق عليه رصاصة لتصيبه في كتفه جعلت الجميع يتراجع للوراء بينما أدهم يصرخ في وجوههم ملوحاً بالمسدس قائلاً:

- الكل يتراجع للوراء، أي شخص سيحاول ارتكاب أي حماقة سيجد رصاصتي في صدره، تراجعوا أيها الأوغاد.

تراجع الجميع وصوت النساء التي تبكي من الصدمة يملأ القاعة، نظر أشرف وعلى وجهه ابتسامة لأدهم قبل أن يقول له:

– كان يجب عليّ فعل ذلك يا صديقي، لو كان تقدم شخص آخر لكان قتل نور.

ربّت أدهم على كتف أشرف ولم يتكلم، في الوقت الذي كانت فيه داليا التي سقطت على الأرض تنظر بوجه يعلوه الألم والصدمة لأشرف قبل أن تقول له بصوت منخفض:

– كيف... كيف ذلك...أنا سيدتك، أنا، لا، لن أموت، أنا سيدتك، أنا ال... أنا الكاهنة العظيمة.

اقترب منها أشرف بينما ظل أدهم في مكانه موجهاً المسدس نحو الجمع المرتعب ثم قال أشرف لها بحزم:

– لا، أنتِ لستِ سوى إنسانة مريضة قذرة، إعتقدتي أنكِ تتحكمين بنا وسنفعل ما تريدينه منا فقط لأنك الأقوى، أنظري لحالك الآن، هل تشعرين بأنكِ الأقوى، لست سوى امرأة على وشك الموت أيتها العاهرة العفنة.

ظل دوي الطلقات النارية الكثيف متواصل في الخارج لبعض الوقت قبل أن يبدأ في الانخفاض تدريجياً ليصبح دوي إطلاق نار

متقطع، كان يبدوا أن عوض قد نجح في مهمته في التخلص من جميع حراس القصر، بعد مضي دقائق من توقف إطلاق النار دوت طرقات عنيفة على باب القاعة ومعها جاء صوت عوض من الخارج قائلاً:

- أنا عوض، افتحوا الباب بسرعة.

أسرع أشرف ليفتح الباب، دخل عوض ومعه بضعة رجال يحملون الأسلحة الآلية ويتلفتون حولهم للتأكد من عدم وجود أي حراس آخرين لم يتم القضاء عليهم بعد، دخل عوض القاعة لينظر لداليا التي بدأت في فقدان كمية كبيرة من دمائها، نظر لها نظرة مليئة بالتشفي والانتقام قبل أن يقول لها:

- في يوم ما أجبرتيني على رؤية ابنتي تُقتل أمامي بدم بارد، الآن سأراكِ تُقتلين بدم أبرد.

ثم نهض وصاح في الموجودين:

- ها هي سيدتكم تموت أمامكم، تلك هي من خسرتم كل شيء لتكسبوها، فلنرى هل ستنقذكم مما أنتم فيه أم لا، هل ما زلتم تعتقدون أنها خالدة، انظروا إليها الآن لتدركوا كم كنتم مجموعة من الحمقي، لقد كانت تخدعكم طوال الوقت وأنتم صدقتم كل ما رأيتموه، جميعكم تستحقون نهايتها لأنكم لو لم تكونوا أنتم بهذا الجشع والقذارة لما كانت هي بهذه القوة والشر.

ثم نظر للرجل الملقى على الأرض والذي قتلته داليا وقام بتوجيه المسدس نحوه قائلاً له:

- لقد انتهت التمثيلية، انهض أيها الوغد ليعلم الجميع الخدعة التي كانوا يصدقونها.

لم يتحرك الرجل من مكانه، لذا فقد وجه عوض مسدسه نحو رأسه قائلاً وهو يسحب أجزاء المسدس:

- حسناً إذن، ما دمت ميتاً بالفعل لن يضيرك طلقة في رأسك.

وقبل أن يضغط عوض الزناد فوجئ كل من بالقاعة بالرجل يفتح عينيه وينظر نحو عوض قائلاً له في إرتياع:

- أرجوك لا تطلق الرصاص، هي من أجبرتني على فعل ذلك نظير مبلغ من المال، لقد فعلت ذلك فقط لكسب بعض المال، من فضلك لا تقتلني.

شهق بعض من بالقاعة وهم يرون بأعينهم كذب ادعاءات سيدتهم بكونها صاحبة قدرات شيطانية وسحرية ليكتشفوا أن طوال هذا الوقت كانوا يبجلون ويتبعون دجالة لا أكثر، نظر عوض للرجل وأمسك به من ملابسه وقال له:

– لولا أمثالك من الأوغاد لما استطاعت هي فعل كل هذا الكم من الشرور والآثام، بالنسبة لي أنت مذنب مثلها تماماً.

قالها وأطلق الرصاص على رأس الرجل ليسقط مضرجاً في دمائه فعلاً هذه المرة، أطلق الرصاص عليه وسط صرخات وشهقات الحضور، بعد ذلك خرج عوض من القاعة ليخرج معه كلاً من أدهم ونور وأشرف قبل أن يُحكِم رجال عوض غلق باب القاعة من الخارج، قال أدهم:

– هيا لنخرج من هذا المكان بسرعة، سوف تأتي الشرطة بالتأكيد بسبب صوت الأسلحة التي انطلقت من القصر وحتماً سمعها كل من حول القصر.

أمسك عوض بذراع أدهم قبل أن يقول له والتصميم يملأ صوته:

– لن نرحل بعد، أمامنا مهمة أخرى لتنفيذها ثم نرحل من هنا إلى الأبد.

لم يفهم أدهم معنى حديث عوض ولكن الأخير قادهم للطابق العلوي ثم لمكتب داليا، دخلوا المكتب خلف عوض غير عالمين سبب وجودهم هنا الآن بدلاً من الهرب، رأى عوض الحيرة في عيونهم لذا فقد قال لهم:

- أحياناً قد تكون قمة الرحمة هي قمة العنف.

لم يفهم الثلاثة معنى كلماته ولكنهم وجدوه يقوم بإطلاق بعض الأعيرة النارية على السطح الزجاجي الذي كانت ترى منه داليا أتباعها في القاعة أسفل المكتب، تحطم السطح الزجاجي ليسقط بعنف في القاعة الممتلئة بزبانية داليا المرتعبين، صرخ البعض بينما الزجاج المتناثر يسقط عليهم ويصيب بعضهم بجروح، ناول أحد الرجال عوض برميل صغير ليمسك به عوض ويفرغ محتواه في القاعة على الموجودين بها، أخذ بعضهم في الصراخ وهم لا يفهمون ما الذي يسقط عليهم ولكن عندما اشتم الجميع الرائحة المميزة للبنزين علم الجميع ما كان ينتويه عوض، صرخ أدهم في عوض وهو يحاول انتزاع البرميل منه:

-لا يا عوض، لا تفعل ذلك، سوف تصبح مثلهم إذا فعلت ذلك.

دفعه عوض ليسقط بعيداً عنه وهو يقول:

- لن يصبح لما فعلناه معنى لو ظل هؤلاء على قيد الحياة، سيخرج منهم ألف داليا أخري وسيظل العالم كما هو وربما أسوأ، لابد من فعل ذلك، لابد أن يموتوا، لابد أن يُحرقوا كما حرقوا قلبي على ابنتي.

حاول أدهم النهوض لمنع عوض ولكن يد عوض التي أمسكت بقداحة داليا الذهبية الملقاة على مكتبها كانت أسرع منه، سقطت القداحة في القاعة الممتلئة بالبنزين بينما عوض يصيح بصوت عالي لتسمعه داليا الموشكة على الموت:

- هذه هي نهايتك أيتها الشيطانة، تذكري أنها كانت على يدي أنا.

وفي لمح البصر تحولت القاعة لجهنم، أخذ الأتباع الذين أمسكت بهم النيران في الركض في كل اتجاه وهم يطلقون أعتى صرخات الألم بينما باقي الأشخاص منهم من ركض نحو باب القاعة في محاولة يائسة لفتحه والبعض الآخر اتجه نحو داليا، حتى بعد ما حدث ورأوه بأعينهم كانوا ما زالوا يعتقدون أنها قادرة على إنقاذهم، إبتسمت لهم بسخرية مريرة وهي تتألم ثم قالت لهم:

- أيها الأغبياء، لو كنت أستطيع إنقاذكم لكنت أنقذت نفسي قبلكم، ما زلتم أغبياء حتى وأنتم في نهايتكم .

تعالت صرخات الجميع والنيران تأكلهم ببطء واحداً تلو الآخر بينما داليا على الأرض ترى ذلك، ترى إمبراطوريتها تسقط بمنتهى القوة وبمنتهى السرعة أمامها بينما هي تصارع الموت، في نفس الليلة التي ظنت فيها أنها امتلكت كل شيء، بدأت تفقد وعيها بالتدريج وهي

تشعر بلفح النيران الحارقة يزداد من حولها بينما الكل يركض في كل اتجاه دون جدوي، بدأت تشعر بجلدها وكأنه يذوب من الحرارة التي تأكل أجساد زبانيتها، حينها فقط بدأت تراهم، أشباح كل من قامت بقتله من قبل، بدأت وهي في لحظاتها الأخيرة ترى تلك الأشباح التي تخرج لها من الأدخنة البيضاء الكثيفة التي أغرقت القاعة، أشباح أطفال ورجال ونساء تقترب منها ببطء، تخرج الواحد تلو الآخر من الدخان الأبيض لتتجه نحوها في صمت ليحيطوها ويروا نهايتها بأنفسهم، أحست باقتراب لحظتها الأخيرة في الدنيا بعدما ظنت أنها ملكت الأرض ومن عليها، أحست بنهايتها لذا صاحت وهي تتألم:

- سأعود يا أدهم، سأعود، لن تهنأ بيوم واحد في حياتك، سأعود وحينها سترى ما يمكن أن يحدث لك، هل تسمعني، سأعود ولن أتركك، لن تهنأ أبداً... أبداً.

احتضن أدهم زوجته وهو يسمع كلمات داليا الأخيرة قبل أن يتراجع الجميع للوراء بسبب الحرارة العالية التي وصلت إليهم لتلفح وجوههم بقوة، حينها فقط قال لهم عوض:

- الآن نرحل، الآن انتهى كل شيء.

بدأت أصوات صافرات سيارات الشرطة والمطافئ تصل لأسماعهم بينما هم يركضون للخروج من البوابة الخلفية للقصر ليقفزوا في سيارة

وينطلقوا في طريقهم بعيداً عن القصر الذي بدأ بالاحتراق بعد أن خرجت النيران من القاعة لتأكل كل محتويات القصر، قصر الشيطانة، كان عوض يقود السيارة وبجواره أشرف الذي أغلق عينيه واستكان في مكانه بعد انتهاء ذلك الكابوس بينما في المقعد الخلفي كانت نور بين ذراعيّ أدهم ودموعها تسيل منها في صمت، ساد الصمت التام في السيارة بينما سيارات الإطفاء تمر بجوارهم مسرعة باتجاه القصر المحترق الذي تتصاعد منه ألسنة اللهب بقوة لتأكل كل شيء في طريقها، ألسنة اللهب التي رافقتها أرواح وأطياف كل ضحايا خادمة الشيطان وسيدة قصره، سيدة قصر الشيطان.

تطلع ضابط الجوازات في جواز السفر الممسك به في يده، نظر لصورة جواز السفر ثم لصاحبته قبل أن يقول لها:

- لم تأتي إلى مصر منذ فترة طويلة، هل أنتِ هنا من أجل السياحة أم العمل؟

خلعت السيدة نظارتها الشمسية التي كانت تخفي معظم وجهها قبل أن تقول للضابط بلهجة جافة:

- العمل، هناك أمور معلقة يجب الانتهاء منها للأبد.

تطلع الضابط مرة أخرى لصورة جواز السفر قبل أن يختم الجواز بخاتم الوصول ويعطيه لصاحبته قائلاً:

- أهلاً بكِ في مصر مدام داليا الشرقاوي.

النهاية

obeikan.com

حقوق الطبع محفوظة للناشر

أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامى

يحظر نشر أو اقتباس أى جزء
من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع
إلى الناشر

obeikan.com